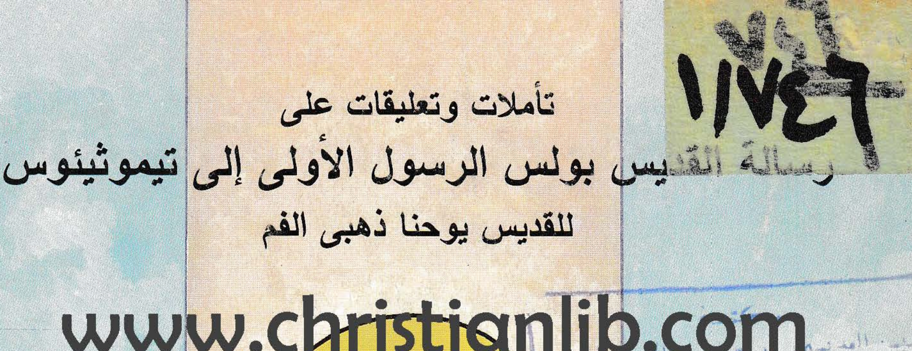
تأملات وتعليقات على

رسالة القديس بولس الرسول الأولى إلى تيموثيئوس

للقديس يوحنا ذهبى الفم



ترجمة
سعاد سوريال الخامية

تقديم
نيافة الأنبا بسنتي

تأملات وتعليقات على
رسالة القديس بولس الرسول الأولى
إلى تيموثيئوس
للقديس يوحنا ذهبى الفم

مترجمة لأول مرة للفرنسية بواسطة

M. FELIX ROBIOU

تحت إشراف M. JEANNIN

أستاذ علم البلاغة بكلية SAINTDIZIER

سنة ١٨٦٧

تقديم

نيافة الأنبا بسنتى

أسقف حلوان والمعصرة

نقلته إلى العربية

سعاد سوريال المحاميه

الحاصلة على درجة بكالوريوس فى العلوم اللاهوتية





القديس الجليل يوحنا الذهبي الفم





صاحب القداسة
الأنبا شنودة الثالث بابا الاسكندرية
وبطريرك الكرازة المرقسية



تقديم الكتاب

(شهية هى أقوال القديسين وأخبارهم مثل الماء للغروس الجدد) هكذا هى نظرة كنيستنا لأقوال الآباء القديسين وتفاسيرهم..

فكم هو مشبع للروح أن تتغذى بكلمة الله إذ "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله"..

وكم يزداد الشبع إذا شرحت الكلمة وفسرت بواسطة قديس عظيم ناسك، أسلوبه رائع وجذاب ولقب لأجل ذلك بذهبى الفم.

الرب يعوض المترجمة الأستاذة / سعاد سوريال المحامية على جهدها وتعبها فى ترجمة وإعداد هذا الكتاب..

أرجو أن يكون شبعاً لأرواحنا ببركة القديسة العذراء مريم والدة الإله وبركة القديس بولس الرسول وتلميذه القديس تيموثاوس .. وبركة القديس يوحنا ذهبى الفم..

وبركة ذهبى الفم القرن العشرين صاحب القداسة البابا شنودة الثالث مشجع العمل الروحى ورائده فى كل الكرازة المرقسية وكل العالم المسيحى.

٢٧ فبراير ١٩٩١م
٢٠ أمشير ١٧٠٧ش
الأسبوع الثالث من
الصوم الكبير المقدس

بسنتى
بنعمة الله
أسقف حلوان والمعصرة



الإهـداء

إلى زوجى

إلى روحك الوديع الـهادئ، وقلبك النقـى الذى يؤهلك لمعاينة الله ولدخول الفردوس.

أهدى يازوجـى الحـبيب هـذا الكتـاب الذى أنجـزته معونة الله بإرشاد روحه القدوس.

وحقا فإنك جدير بهذا الإهداء فالذى أعاننى الله فيه إنما هو ثمـرة من ثمـار تشـجيـعك لى على البـحث والدراسة.



كلمة شكر وتقدير

إننى أتقدم بالشكر من أعماق قلبى لكل من ساهم فى صدور هذا الكتاب وأخص بالذكر نيافة الحبر الجليل الأنبا بسنتى أسقف المعصرة وحلوان الذى دأب على ألا يرفض طلبا لأبنائه مهما كلفه ذلك من جهد فرغم مشغولياته الكثيرة تفضل مشكورا بمحبته الغامرة بتحرير كلمة التقديم التى شرف بها الكتاب بعد أن راجع البعض من فصوله وإبداء الملاحظات اللازمه.

كما اشكر بكل تقدير وإعزاز نيافة الحبر الجليل الأنبا متاؤس الأسقف العام لكنائس مصر القديمه الذى تكرم بعدم رفض رغبتى فى مراجعة الكتاب بأكمله بعد علمه أن ظروف نيافة الأنبا بسنتى حالت دون ذلك.

كما أشكر الأستاذ نبيل فخرى بشاره المدير ببنك مصر بالإسكندرية الذى تكرم بمراجعة الترجمة للتأكد من مطابقتها من حيث المعانى للنص الفرنسى، والحق أن فى مراجعته هذه قام بعمل ترجمة كاملة قمت بمقارنة الكثير منها بما ترجمته فوجدت الترجمتين تكادا أن تكونا متطابقتين من حيث المعانى الأمر الذى طمأننى وأراحنى.

المترجمة



مقدمه للمترجمه

"تكفيك نعمتى لأن قوتى فى الضعف تكمل"(٢ كو ٩:٧)

إننى بالحق ماكنت أبدا مستحقه لهذه النعمة الجزيله التى أعطتنى أن أتناول أقوال القديس بولس الرسول فى ضوء تفسير القديس يوحنا ذهبى الفم، لذلك أشكر الله الذى عضدنى بمعونته وإرشاد روحه القدوس وأعطانى أن آخذ بركة هذين القديسين العظيمين معا.

كما أشكر البابا المعظم قداسة الأنبا شنودة الثالث، ومعلمنا الأعظم وبطريرك عصرنا الذهبى فى المعرفة الكتابية والكنسية، والذى بدفعته الغيورة الحافزة وجهنا من خلال محاضرات قداسته بمعهد الكتاب المقدس إلى بعث تراثنا الآبائى والكنسى، والإستفاده بكنوزه الروحيه الثمينة بقيام كل من له باع بترجمة ما يمكن ترجمته من كتب أولئك الآباء القديسين أمثال قديسنا ومعلمنا العظيم يوحنا ذهبى الفم، وذلك لإثراء المكتبة القبطية والإنتفاع بكنوز أولائك الآباء.

وإننى إذ أعرض هذا الكتاب على القراء الأحباء فقد أقتضت الأمانة منى أن ألفت النظر بأن الترجمة تمت بتصرف بمعنى أننى حذفت بعض الشروح التى فيها أسهاب وتطويل وأيضا بعض الأمور التى تبدو أنها غريبة عن عصرنا الحاضر.

كما أننى تسهيلا للقارئ لم أكتف بالتحليل الوارد فى صدر كل موعظة والشامل لرؤوس المواضيع التى أحتوتها، بل رأيت أن أتخذ منه عناوين، بحيث يتصدر كل عنوان الموضوع المتعلق به، وذلك حتى يتمكن القارئ من متابعة كل موضوع على حدة، كما أننى أضفت لبعض المواضيع ايضاحات وتعليقات أقتضتها الضرورة ووردت فى الحواش.

أتوسل إليك يارب أن تستخدم كلمات هذا الكتاب بفعل روحك القدوس لأجل منفعتى ومنفعة الكثيرين، بشفاعة سيدتنا وأمنا كلنا السيدة العذراء القديسة مريم والدة الإله، والقديسين المعلمين العظيمين القديس بولس الرسول، والقديس يوحنا ذهبى الفم، وجميع سادتنا الآباء والشهداء والقديسين الأطهار الذين أرضوك بحياتهم الطاهره وسيرتهم الصالحه منذ البدء.

وببركة وصلوات قداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية، ولعظمتك الإلهية يارب كل مجد وعزة وكرامه من الآن وإلى أبد الآبدين آمين.

+ + + + +

نبذة عن القديس بولس الرسول

للمترجمة أيضا

أما القديس بولس الرسول كاتب الرسالة فهو عبراني من سبط بنيامين (رو ١١:١، فى ٣:٥) ولد فى طرسوس عاصمة ولاية كيليكية [١] من أبوين يهوديين حوالى سنة ٥ أو ٦ ميلادية، بالإسم العبرانى شاول، كما دعى أيضا بولس وهو اسم روماني، فقد كانت اسرته تتمتع بحقوق المواطنة الرومانية كما كانت هناك عادة منتشرة أن يحمل بعض الأشخاص اسمين أحدهما عبراني والآخر يونانى أو رومانى، وقد أفصح عن أسمه الرومانى (بولس) لأول مرة عندما دعاه الوالى سرجيوس بولس ملتمسا أن يسمع كلمة الله (أع ١٣ : ٧-٩) وربما أفصح عن هذا الإسم أمام الوالى ليفخر بجنسيته الرومانية. ويلاحظ أنه منذ ذلك الحين فصاعدا لم يُعرف إلاّ بهذا الإسم حتى نهاية حياته.

تعلم القديس بولس الشريعة اليهودية عند رجلى غمالائيل الذى كان أشهر علماء الشريعة فى زمانه (أع ٢٢ : ٣) ومن ثم أقام من نفسه محاميا لإثبات الشريعة اليهودية، وجنديا محاربا ضد كنيسة المسيح. وبينما هو يتشدد فى إضطهاد المسيحيين إختارته النعمة الإلهية فتحول عن طريقه وكرس نفسه بكل قوة لخدمة المسيح. وقد قال عنه ذهبى الفم

(١) أع ٩ : ١١، ٢١ : ٣٩، ٢٢ : ٣.

إن التأمل فى رجوع بولس ورسوليته يعطى الرجاء لكل من هو بعيد عن الإيمان ولا يترك عذرا لأى إنسان يرفض الإيمان المسيحى.

وللقديس بولس الرسول أربع عشرة رسالة وبينها أربع رسائل تسمى اصطلاحيا بالرسائل الرعوية، وجه إثنتين منها إلى تلميذه تيموثيؤس أسقف أفسس، والثالثة وجهها إلى تلميذه تيطس، والرابعه الموجهة إلى صديقه فليمون. وقد سميت بالرسائل الرعوية لأنها تبرز أكثر من غيرها أخص واجبات الكهنوت بكل درجاته.

وعلى ذلك فالرسالة التى هى موضوع هذا الكتاب، هى أولى الرسائل المعروفه بالرسائل الرعوية.

+++++

لمحة سريعة عن القديس يوحنا ذهبى الفم

وُلد بانطاكية سنة ٣٤٧م من أسرة شريفة. كان يوحنا مازال شاباً حين مات والده. فاهتمت أمه التقية بتربيته. بعد أن انتهى من دراسة علوم عصره عُرض عليه منصب قاض لكنه لشغفه بالدين توحد فى أحد الأديرة القريبة من أنطاكية حيث عكف على الصلاة ودراسة الكتاب المقدس. أضطر للعودة إلى المدينة لاعتلال صحته. وهناك سيم شماساً فقساً ليقوم بخدمة الوعظ. ولما أرادوا سيامته بطريركاً على القسطنطينية دبروا حيلة حتى فازوا به وسيم سنة ٣٩٧م عُرفت عنه شجاعته وصراحته فى الحق مما أثار عليه الملكة الشريرة أفدوكسيا التى لم تحتمل توبيخه لها فنفته ومات فى منفاه سنة ٤٠٧م بعد أن خلف للكنيسة تراثا رائعاً من العظات وتفاسير لبعض الأسفار المقدسة مازال معظمها باقيا حتى الآن. ولفصاحته النادرة وقوة تأثير كلماته لقبته الكنيسة بذهبى الفم [(١)].

وهذا الكتاب الذى أعاننى الرب على ترجمته وتقديمه لإخوتى القراء هو واحد من كتب تفاسيره للأسفار المقدسة، تلك الكتب العديدة التى كتبها فى القرن الرابع ومطلع القرن الخامس باللغه اليونانية التى وضع بها ذهبى الفم كل مؤلفاته، وكانت هذه الترجمة الفرنسية على يد M.Felix Robiou تحت إشراف M. jeannin.

ليسانس فى الآداب وأستاذ علم البلاغة Saint Dizier وذلك فى سنة ١٨٦٧م

(١) بستان الرهبان لآباء الكنيسة القبطية الطبعة الثانية قام بمراجعته وتنقيحه لجنة التحرير والنشر بمطرانية بنى سويف والبهنسا صفحة ٤٦٠ إيداع رقم ١٥٢٥/ ١٩٧٧.



مقدمــة

بدأ القديس يوحنا ذهبى الفم تأملاته وتعليقاته على رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثيئوس بمقدمة أوضح فيها أن تيموثيؤس كان أحد تلاميذ بولس الرسول. شهد له القديس لوقا أنه كان شاباً حديث السن جديراً بالإعجاب. وذلك بناء علي شهادة الإخوة الذين فى لستره وايقونيه (أع١٦:٢). وقد أصبح فى وقت واحد تلميذاً ومعلماً (أع١٦:٤)، وكان على حذر نادر فى اختيار الأقوال المناسبة بعد سماعه بولس يكرز بالإنجيل دون إصرار على الختان، وبعد أن علم أن القديس بولس كان قد عارض القديس بطرس فى هذا الشأن، فقد رأى ان لايهاجم هذا الطقس فى عظاته، بل أيضا يخضع له هو نفسه، إذ أن القديس بولس، كما قيل "أخذه وختنه" (أع١٦:٣) فأنه على الرغم من حداثة سنه فقد استأمنه على تدبير كل شئونه، لأن المعجزات التى كانت تتم بواسطته تشهد على صدق إيمانه. وما أظهره بولس من تعاطف نحوه كان كافيا ليبين ماكان عليه تيموثيئوس من خلق. فقد شهد له فى رسائله عندما قال: "وأما أختباره فأنتم تعرفون أنه كولد مع أب خدم معى لأجل الأنجيل (فى ٢:٢٢) وفى رسالته إلى أهل كورنثوس كتب "لذلك أرسلت إليكم تيموثيؤس الذى هو إبنى الحبيب والأمين فى الرب (١كو ١٦:١٠، ١١) وأيضا قال فى رسالته إلى العبرانيين "إعلموا أنه قد أطلق الأخ تيموثيئوس" (عب ١٣:٢٣) وهكذا فى كل مكان نجد العبارات الدالة على حبه له.

وإذا وجه سؤال لماذا لم يكتب بولس سوى لتيطس وتيموثيئوس مع

أن سيلا ولوقا كانا ضمن تلاميذه المشهورين، هو نفسه يوضح ذلك بقوله "لوقا وحده معى" (٢تيمو ٤: ١١). كليمنضس كان أيضا واحدا من مرافقيه، لأنه يقول عنه "مع كليمنضس وباقى العاملين معى". وإذاً لماذا لم يكتب سوى لتيطس وتيموثيئوس، لأنه كان قد أستأمنهما بعض الكنائس، بينما قد اصطحب هؤلاء معه. قد خصص تيطس وتيموثيئوس للمناصب البارزة. وهكذا كان سمو تيموثيئوس فى الفضيلة، لم يدع حداثته أن تكون حائلا. لذلك كتب له قائلا "لايستهن أحد بحداثتك" (١تيمو ٤: ١٢) وفيما بعد قال "عظ الحدثات كأخوات" (١تيمو ٥: ٢).

حيث أنه أينما توجد الفضيلة، فإن كل شئ آخر يصير ثانوياً ولايجب أن يكون هناك حائلاً. وفى الواقع أنه فى حديثه عن الأساقفة قد تناول عدة أمور ولم يشغل نفسه قط بسنهم. وإذا كان قد كتب "أن يطاع من أولاده" وأن يكون "بعل إمرأة واحدة" فهو لايقصد بذلك أنه يجب أن يكون متزوجا وأبا لعائلة، بل يعنى أنه إذا كانت هذه هى حالته الإجتماعية، فيجب عليه أن يدبر بيته حسنا لأن الذى لايعرف كيف يدبر بيته فكيف يؤتمن على العناية بكنيسة الله؟. ولماذا إذاً يبعث الرسول بهذه الرسائل إلى تلميذ مكلف بالتعليم؟ ألم يكن من الواجب أن يمده أولا بالمعلومات الكافية التى تساعده على القيام بهذه المهمه ؟ نعم، هذا صحيح، إلا أنه كان محتاجا لتعليم مختلف عن تعليم التلاميذ وصالح لمن يعلم. ولاحظوا كيف تؤكد هذ ه الرسالة بأكملها أن الرسول بولس يعطى التعليم الذى يناسب المعلم. إذ يحثه فى مستهل رسالته ألا يهمل الذين يعلمون تعليماً جديداً. ولكن ينذرهم ألا يعلّموا هذه التعاليم.

+++++

الموعظة الأولى

بولس رسول يسوع المسيح، بحسب أمر الله مخلصا وربنا يسوع المسيح رجائنا، إلى تيموثيئوس الابن الصريح فى الإيمان (١:١، ٢-٤).

التحليل

١- وظيفة الرسول، جلال هذا المقام، البنوة حسب الإيمان.

٢- الإيمان ليس فى حاجة إلى امتحان.

٣- ضد التعاليم الخاطئة وعلى الأخص ضد الطالع [١] الذى ليس إلا مذهب ألوهية الكون وضد الإعتقاد بالقضاء والقدر [٢].

١- وظيفة الرسول وجلال هذا المقام :-

عظيمة وعجيبة هى كرامة الرسول وتستحق حقا الإعجاب، وفى كل مكان نرى بولس يوضح مصدر هذه الكرامة، بأنه شرف لايعود عليه، بل كأمر استؤمن عليه، ووضعت الضرورة لفعله. فعندما يقول : إنه "المدعو وأنه رسول بمشيئة الله" (١كو ١:١) وفى مكان آخر "الضروره موضوعه علىّ" (١كو ١٦:٩) وعندما يقول إنه مفرز لإنجيل الله" (رو ١:١) بكل هذه الأقوال يطرح الرسول عنه بعيدا الولع بالتطلع إلى السمو والمجد الباطل. لأن الذى يرفع نفسه إلى مرتبة شرف لم تعط له من الله يستحق أشد اللوم، وكذلك فإن من يرفضها ويحجم عنها عندما تقدم له من الله فهو يستحق لوما من نوع آخر، هو لوم عدم الطاعة والتمرد. ولذلك فإن بولس فى بدء هذه الرسالة إلى تيموثيئوس يقدم نفسه قائلا : "بولس رسول يسوع المسيح" "بحسب أمر الله" لايقول هنا "المدعو" لكن "بحسب الأمر" فهو يبدأ بهذا الأسلوب لكى لايشعر تيموثيئوس بضعف سائد بين البشر

---

(١) انبعاث، انبثاق، صدور، فيض، فوهان.　　　(٢) مذهب الجبريه.

نتوهمه أن بولس يخاطبه بنفس اللهجة التى يخاطب بها التلاميذ الآخرين. وأين أعطى الله هذا الأمر ؟ إنه ورد فى أعمال الرسل، أن الروح القدس يقول: "افرزوا لى برنابا وشاول" (أع ١٣:٢) وبولس فى جميع رسائله. يدعو نفسه رسولاً، حتى لايظن سامعوه أن أقواله مصدرها الحكمة الإنسانية، لأن الرسول (المرسل) لايستطيع أن يقول شيئا من نفسه، وكلمة رسول تسمو بفكر المستمع إلى الذي أرسله. ولذا فإنه يضع هذا اللقب في بداية رسائله كضمان للإيمان الجديرة به أقواله، ويتضح ذلك فى قوله: "بولس رسول يسوع المسيح حسب أمر الله مخلصنا" . ويلاحظ أن الأمر لم يوجه من الآب فى أى مكان، بل فى كل مكان، نرى أن المسيح هو الذى يخاطبه، فالسيد المسيح هو الذى يقول له : "اذهب فإنى سأرسلك إلى الأمم بعيداً" (أع ٢٢:٢١) وفى موضع آخر "ينبغى لك أن تقف أمام قيصر" (أع ٢٧:٢٤) ولكنه يطلق على كل الأوامر التى يعطيها الأبن أنها أوامر من الآب. كما ينسب أوامر الروح القدس للأبن. فإن الروح القدس هو الذى أرسله، (أى الرسول) وهو الذى أفرزه ويستخدم هذه الكلمات: بحسب أمر الله. لماذا؟ هل سلطة الأبن محدودة، حتى أن رسوله أرسل حسب أمر الآب ؟ قطعا لا، فأنظروا كيف يظهر أن هذه القوة لكليهما معاً؛ إذ أنه بعد عبارة "حسب أمر الله مخلصنا". يضيف العبارة الآتيه "يسوع المسيح رجائنا". تأملوا دقة النصوص التى يستعملها. المرتل يدعو الله رجاءه إذ يقول: "لأنك أنت رجائى ياسيدى الرب متكلى منذ صباى" (مز ٧١:٥) والقديس بولس بدوره فى رسالته يقول: "لأننا لهذا نتعب ونعير لأننا قد القينا رجاءنا على الله الحى الحقيقى".

كان على المعلم أن يتحمل المخاطر، ومخاطره أكثر كثيرا عن التلاميذ. "أضرب الراعى فتتبدد خراف الرعيه" (مت ٢٦:٣١) إذا فمن الطبيعى أن الشيطان يثور بعنف أقوى على الراعى، بما أن ضياع

الراعى بسبب تشتت القطيع. ضياع الخراف ينقص القطيع، ولكن ضياع الراعى يبدد القطيع كله من هنا يتضح أنه يمكنه بمجهود أقل أن يحصل على نتيجة أكبر، ويقضى على الكل بفقدان نفس واحدة، لذلك فإن الشيطان يوجه هجومه خاصة على الرعاة. ولهذا يبادر الرسول برفع روح تيموثيئوس بقوله له: لنا مخلص هو الله، ورجاء هو المسيح. نحن نعانى الكثير من الآلام، لكن لنا رجاء عظيم، نحن معرضون للمخاطر والمكائد، لكن لنا مخلص ليس هو بإنسان، بل هو الله. وبما أن مخلصنا هو الله فلا تعوزه القوة، ولن تتغلب علينا المخاطر مهما كانت جسامتها، ولن يُخزى رجاؤنا مادام مصدره المسيح.

البنوه بحسب الإيمان :-

"إلى تيموثيئوس الأبن الصريح فى الإيمان" هذه العبارة تحمل فى معناها تشجيعا لأنه إذا كان تيموثيئوس قد أظهر مايكفى من الإيمان ليكون ابناً وابناً صريحاً لبولس، سيكون مليئا بالثقة فى المستقبل. لأن الإيمان فى الواقع هو عدم الإستسلام للكدر واليأس عندما لاتتطابق الأحداث مع الوعود. ولكن سيقولون هذا ابن، ابن صريح إلا أنه ليس من نفس جوهر أبيه. كيف هذا هل هو من جنس آخر؟ ويصرون أنه ليس أبنا لبولس - هذه الكلمة لا تدل على البنوة فى معناها الحقيقى؛ لأنه بعد أن قال "أبنى" أضاف "فى الإيمان". لايوجد بينهما اختلاف فى شئ : التشابه بينهما فى الإيمان كالتشابه بين الناس فى الطبيعة. الأبن يشبه أباه، ولكن ليس تماما على الرغم من أن الأب والأبن من نفس المادة، إلا أنهما يختلفان فى وجوه كثيرة مثل اللون، الشكل، الفهم، السن، الميول، فى صفات النفس والجسد، وصفات الظروف الخارجيه، وفى أمور كثيرة ممكن أن يتشابها أو يختلفا. ولكن هنا لايوجد شئ من هذا الإختلاف. "بأمر" عبارة أقوى من كلمة "المدعو" أما عبارة "إلى تيموثيئوس الأبن

الصريح" فيمكن أن نقربها لما قاله بولس لأهل كورنثوس : "لأنى أنا ولدتكم فى المسيح يسوع" (١ كو ٤:١٥) أى فى الإيمان. وهو يضيف "الأبن الصريح" لكى يشهد على دقة التشابه بينه وبين تيموثيئوس أكثر من الآخرين الذين معه، من حيث المودة والإستعداد الروحى. ولهذا أيضا وضع حرف الجر "فى" قبل كلمة إيمان. أنظروا المدح الذى تحمله هذه العبارة حيث يدعوه ليس ابنه فقط، بل أبنه الصريح.

٢ـ الإيمان ليس فى حاجة إلى امتحان :ـ

يقول : "نعمة ورحمة وسلام" "من الله أبينا والمسيح يسوع ربنا" لماذا يذكر كلمة رحمة فى صدر هذه الرسالة ولم يذكرها فى الرسائل الأخرى؟ إن حنانه المتدفق أملى عليه هذه الكلمة، من أجل أبنه كانت صلاته أوسع نطاقا، لأنه يخاف ويرتعد من أجله. ولشدة اهتمامه به كان هو الوحيد الذى أرسل له نصائح تتعلق باحتياجاته الماديه فقال له: "إستعمل خمراً قليلا من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة" (١تيمو ٥:٢٣) فالذين يعلمون هم فى حاجة أكثر للرحمة. "من الله أبينا والمسيح يسوع ربنا" هنا أيضا يوجد تشجيع؛ لأنه إذا كان الله أبانا، فهو يعتنى بأولاده، ويقول لنا السيد المسيح "أم أى إنسان منكم إذا سأله أبنه خبزا يعطيه حجراً" (متى ٧:٩).

"كما طلبت إليك أن تمكث فى أفسس إذ كنت أنا ذاهبا إلى مكدونية" (١تيمو ١:٣٠) اصغوا لرقة هذه العبارة، إنها لاتوحى قط بصوت المعلم الذى يقوم بالتعليم بل توحى بالتوسل. لم يقل قط أوصيت، نظمت، أمرت، ولكن :"طلبت إليك" ولايجب التعامل بهذا الأسلوب مع كل التلاميذ بل فقط مع الأتقياء منهم والودعاء، وعلى العكس مع الذين قد فسدوا وليس هم تلاميذ بالحق، فيلزم التفاهم معهم بلغة أخرى، كما يشهد بذلك الرسول نفسه بقوله: "وبخ بكل سلطان" (تى ٢:١٥) وفى هذه الرسالة أنظروا ماذا

يضيف "لكى يوصى قوما" (لا أن يطلب منهم) أن لايعلموا تعليماً أخر" (١تى١ :٣) ولم يذكر اسماءهم حتي لايذلهم أكثر من ذلك بإعلان لومه لهم. كان بين اليهود الكثير من الرسل الكاذبين الذين كانوا يحاولون جذب المؤمنين إلى الشريعة التى كان الرسول يهاجمها فى كل رسائله. لأنهم كانوا لايفعلون ذلك من دافع ضميرهم بل للتباهى ولأنهم كانوا يريدون تكوين تلاميذ لهم، وقصداً فى منازعة الطوباوى بولس وحقدا عليه. وهكذا كان هذا هو اتجاه التعاليم الأخرى.

"أن لايصغوا إلى خرافات وأنساب" :-

ويتابع :أن لايصغوا إلى خرافات وأنساب" الخرافات التى يقصدها ليست هى الشريعة، حاشا لله، بل الإضافات الغير حقيقية. العمله المزيفه للشريعة، الآراء المخادعة. يبدو أن اليهود فى غرورهم استخدموا كل قواهم العقلية لتقدير الأنساب للحصول على الشهرة كرجال علماء ومثقفين.

"لكى يوصى قوما أن لايعلموا تعليما آخر ولايصغوا إلى خرافات وأنساب لاحد لها ". ترون كيف يلوم الرسول هذه المباحثات الغبيه إذ حيث يوجد الإيمان لاجدوى من المباحثات، وماجدوى الفحص حيث لايوجد شئ للبحث عنه ؟ الفحص يستبعد الإيمان. فى الواقع أن الذى يبحث لم يجدّ بعد ولايمكن أن يكون عنده إيمان. ولذلك يقول الرسول: "لا نشغل أنفسنا بالمباحثات. إذا بحثنا فليس لدينا الإيمان الذى هو مصدر راحة التفكير العاقل. كيف إذن يقول السيد المسيح "أطلبوا تجدوا إقرعوا يفتح لكم" (متى ٧:٧) وأيضا "فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية" (يو ٥: ٣٩) هنا كلمة أطلبوا قيلت عن الصلاة ورغباتها الحارة وعبارة "فتشوا الكتب" لم تقل للدخول فى أتعاب المباحثات، بل للحد منها. ولما قال السيد المسيح فتشوا الكتب يقصد بذلك أن نتعلم ونحصل على المعنى

الصحيح وليس لكى نبحث بصفة دائمة، بل نضع حدا لهذه المباحثات. "دون بنيان الله الذى فى الإيمان" إن عبارة "بنيان الله" عبارة صائبة، لأن الله أراد أن يعطينا خيرات فائضة، ولكن العقل لايستطيع إدراك عظمة تدابير الله. هنا عمل الإيمان أفضل دواء للروح. المباحثات إذن مضادة للقصد الإلهى. وماهى الخطة المشيدة على الإيمان؟ هى أن نتقبل إحسانات الله ونكون خيرين، لانتشاجر ولانشك، بل نشعر بالراحة. لأن الذى أتمه الإيمان وبناه تقلبه المباحثات كيف يكون ذلك؟ بإثارة التساؤلات ووضع الإيمان جانبا.

"ولايصغوا إلى خرافات وأنساب لا حد لها" قد يقال ما هو الضرر الذى تسببه هذه الأنساب ؟ السيد المسيح قال : ينبغى أن نخلص بالإيمان، لأنه بما أن هناك تأكيد أن الوعد هو للدهر الحاضر، وتحقيقه فى الدهر الآتى، فإن الإيمان ضرورى وعلى ذلك فالأشخاص المشغولون بالفحص العقلانى، كانوا عقبة للإيمان. وأعتقد أنه يتكلم هنا عن الوثنيين، مقدما بيانا بآلهتهم عندما قال "خرافات وأنساب".

٣- ضد التعاليم الخاطئة :-

إذن لنحذر الإرتباط بهذه المباحثات، حيث أن لقب مؤمنون هو تعهد منا بتصديق الكلمه دون شك أو تردد. لأنه لو كانت هذه الكلمة من إنسان، لوجب علينا وضعها تحت الإختبار، وأما إذا كانت من الله فينبغى علينا توقيرها وتصديقها، فإن كنا لانصدق هذه الكلمة هذا يعنى أننا لانصدق أنها من الله، لأنه كيف نعرف أن الله هو الذى يتكلم ونحاسبه على كلمته ؟ البرهان الأول لمعرفتنا الله هو الإيمان بكلامه دون براهين أو تحاليل؛ الإيمان الذى صنع مجد أباؤنا ونقص الإيمان هو سبب الفساد.

لنرتبط إذاً بالإيمان ونمتلكه ونتمسك به. وبذلك سنبعد عن أنفسنا كل عقيدة فاسدة لاتتمشى مع إيماننا، مثل عقيدة الطالع والقضاء والقدر.

إذا آمنت بالقيامة وبالدينونة؛ سوف تبعد عن نفسك كل هذه العقائد، آمن بعدالة الله وسوف لاتؤمن بوجود الطالع الظالم، آمن بالعناية الإلهيه وسوف لاتؤمن بالطالع الذى يخضع له كل شئ آمن بالعقوبة الإلهيه وبملكوت الله وسوف لاتصدق الطالع الذى يسلبنا حريتنا ليخضعنا لضرورة ملحة. لاتزرع ولاتغرس قط، لاتحارب، وفى كلمة واحدة لاتفعل شيئا بإرادتك أو بدونها، فإن كل شئ سيحدث حسب الطالع. ماذا يتبقى إذاً للصلاة؟ لماذا ترغب أن تكون مسيحيا إذا كانت هذه العقيدة حقيقية؟ لأنه طبقا لها لايمكن ادانتك بأى خطية. من أين تأتى العلوم (فنون الحياة) ؟ هل من الطالع؟ هم يجيبون بنعم، ولكن الواقع يقول: إن الإنسان يصير حكيما بمشقة كبيرة. آه أرنى شخصا ما قد وصل دون مشقة؟ إذاً العمل هو الذى يصنع العلماء وليس الطالع.

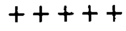
قد يوجه سؤال لماذا يتمتع إنسان شرير بثراء ورثه من أبيه بينما آخر يبذل جهدا كبيرا ومع ذلك يظل فقيراً ؟ لأن هذا هو موضوع جدالهم بصفة دائمه فهم لايثيرون إلا مسائل الغنى والفقر، ولايبحثون الرذيلة والفضيلة. وإذا كانت عقيدة القضاء والقدر لها هذا القدر من القوة فلتظهرها فى الأمور الهامة كالفضيلة والرذيلة، وليس فى الغنى والفقر. وقد يقال أيضا: لماذا يعيش هذا مريضا وذاك يتمتع بالصحة؟ لماذا يتمتع هذا بالوقار وذاك يهان. لماذا هذا ينجح فى تحقيق رغباته ويوفق فى كل أعماله، وذاك يعانى ألف وألف عقبة؟ حد عن الطالع وسوف تفهم كل هذا، آمن بالعناية الإلهيه وسوف ترى كل شئ بوضوح. يجيب منافسي (خصمى) لاأستطيع لأن هذا الخلط لايسمح لى قط بالإعتقاد فى أن العناية الإلهية هى مصدر لكل هذا. كيف يصدق أن الله الذى لا حدود لصلاحه، وعطفه، يعطى الغِنى لقليل الحياء، وللشرير، وللإنسان الطماع، ولايعطيه للإنسان الخيِّر، ماهى الوسيلة لتصديق هذا؟، والواقع الذى نلمسه لايدعونا إلى هذا التصديق.

أقول لهم هل هذا ناتج من طالع عادل أم ظالم؟ سيقولون أنه الظالم ومن هو الفاعل؟ هل هو الله؟ سيقولون كلاّ لأنه ليس له فاعل قط - وكيف يجرى هذا الطالع كل ذلك دون أن يكون له مصدر؟ هنا يبدو التناقض واضحا.

وعلى هذا الإعتقاد نخلص إلى عدم جدوى من وجود الله ومع ذلك فلنبحث عمن صنع السماء - سوف يقولون الطالع - ومن صنع الأرض؟ والبحر؟ والفصول؟ ثم نسق الطبيعة التى لاحياة فيها فى نظام تام وتوافق كامل، ونحن الذين وجد كل هذا لأجلنا، هل كان قد قدر لنا أن نحيا فى فوضى؟ كمن ينسق منزلا فخما بعنايته المدركة للأمور، ولا يفعل شيئا للذين سيقطنونه. من يسهر على تتابع الظواهر الطبيعية ومن وضع النواميس المنظمه للطبيعة؟ من نظم سير النهار والليل؟ هذه كلها تفوق الطالع - سوف يقول خصمى كلاّ، كل هذا حدث بالصدفة. كيف يكون مثل هذا النظام ناتج عن الصدفة، ويلحون سائلين : كيف يتأتى أن الصحة والثراء والشهرة هى ثمار الطمع أحياناً، وثمار الإرث والعنف أحيانا أخرى؟ ولماذا سمح الرب بذلك ؟ لأنه ليس هنا يكافأ الإنسان طبقا لما يستحق بل فى الدهر الآتى. أرنى أنه سيكون حينذاك كما هو الحال الآن فى العالم - ويقولون أعطنى أولا ميراث هذا العالم، أنا لا أطلب خيرات العالم الآخر. - لهذا السبب لم تعط لكم تلك الخيرات. لأنه إذا كنتم حرمتم من اللذات وتحبونها لدرجة أنكم تفضلونها على الخيرات السماوية، فماذا يحدث لو كنتم تتمتعون بلذة دائمة بدون تعكير؟ الله يريد بهذا أن يريكم أن هذه الميزات ليست حقيقية، بل ليست ذات أهمية، وإلا ماكان أعطاها قط للأشرار.

الخادم الذى يغذيه سيده ويسكنه مثل زملائه لايظن أنه أغنى منهم لأن شعره أكثر كثافة وأظافره أطول منهم. وبالمثل فإن الفخر بالخيرات

الأرضية غرور باطل. لذلك يبعدها الله عنا لكى يسكن هذا الجنون ولكى يوجه الرغبه المتجهه إليها نحو السماء. إلا أننا مع ذلك لم نصبح عقلاء، كطفل يملك لعبة لاتفيده بشيء، ومع ذلك يفضلها عن أشياء أخرى هامه، فينتزعها عنه والده ولو رغما عنه لكى يوجه فكره إلى عمل جاد. هكذا هو تصرف الله معنا لكى يقودنا إلى السماء. قد يقال لماذا يسمح الله للأشرار أن يمتلكوا الثروات ؟ لأنهم لايهمونه ولماذا يسمح بها للصالحين؟ إنه أقتصر على عدم منعها عنهم. تكلمنا هنا بطريقة بدائية كما لو كنا نوجه الكلام إلى أناس يجهلون الكتب، أما إذا أردتم أن تؤمنوا وترتبطوا بالكلمات الإلهية فسوف لانكون فى حاجة إلى كل هذه الأحاديث وسوف تعرفون كل ما أنتم فى حاجة إلى معرفته. ولأجل تعريفكم بأن الغنى، والصحة، والمجد، أى منها لايساوى شيئا، سأريكم الكثير من الناس الذين كان يمكنهم الثراء ولن يفعلوا، وكان يمكنهم أن يتمتعوا بصحة جيدة وحرقوا أجسادهم، وكان فى إمكانهم أن يُكرموا وفعلوا كل مافى وسعهم لكى يحتقروا، ومع ذلك لايوجد إنسان صالح يحاول أن يكون شريراً. ليكن طموحنا دائما فى الخيرات الحقيقية، وسنحصل أيضا على الأخرى فى المسيح يسوع ربنا مع الآب والروح القدس، له المجد والقوة والكرامة الآن وفى كل آوان وإلى دهر الدهور آمين.





الموعظة الثانية

وأما غاية الوصية فهى المحبة من قلب طاهر، وضمير صالح وإيمان بلا رياء، الأمور التى إذا زاغ قوم عنها انحرفوا إلى كلام باطل، يريدون أن يكونوا معلمى الناموس وهم لايفهمون مايقولون ولامايقررونه. (١:٥-٧).

التحليل

١ـ من أين تأتى الهرطقات ـ الأستعمال الواجب للناموس.

٢ـ القديس ذهبى الفم يرى من الآيتين ٩ . ١٠ اللتين ذكرت بهما أكبر الجرائم إشارة إلى اليهود ـ مما يتكون المجد الحقيقى.

٣ـ التباهى بالزينة ـ الرائحة العطرة للفضيلة، فساد الخطية ـ ماهى البهجة الحقيقية.

١ـ من أين تأتى الهرطقات :-

لايوجد بين الجنس البشرى أسوأ من احتقار المحبة بدلا من ممارستها بحماس، ليس هناك ما يعمل على استقامة الحياة أكثر من الإجتهاد للوصول إلى هذه الفضيلة. السيد المسيح يعلمها لنا بقوله: "وأقول لكم أيضا إن اتفق أثنان منكم على الأرض فى أى شئ يطلبانه، فإنه يكون لهما من قبل أبى الذى فى السموات" (مت ١٨:١٩) وأيضا لكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين" (مت ٢٤:١٢) هنا أصل كل الهرطقات.

فعدم محبة الإخوة لبعضهم البعض أدى إلى الغيرة ممن لهم شهرة حسنة، وهذه بالتالى أدت إلى حب التسلط، الذى نتجت عنه كل الهرطقات. ولذا بعد أن قال بولس لتيموثيؤس "أن يوصى قوما أن لا يعلموا تعليما آخر" يعلمه كيف يستطيع النجاح. وماهى هذه الوسيلة ؟ إنها المحبة. كما

قال أيضا "لأن غاية الناموس هى المسيح" (رو ١٠:٤) يريد بذلك أن يقول أن كمال الناموس لايمكن أن نصل إليه بدون المسيح، وهكذا، لايكمل الناموس بدون المحبة. غاية الطب هى الصحة، وعند امتلاكها فلاحاجة إلى علاج غير مألوف. هذا ينطبق على المحبة تماما فعندما نمتلكها لسنا فى حاجة لوصايا كثيرة. وعن أية محبة يتكلم الرسول ؟ عن المحبة الحقيقية التى لاتقتصر على الكلام بل التى تقطن فى شعور النفس، ومشاركة الآلام، تلك التى تنبع من قلب طاهر. يقصد بذلك السلوك المستقيم والمودة الحقة، لأن حياة غير طاهرة مصيرها الإنقسامات. "لأن كل من يعمل السيئات يبغض النور" (يو ٣:٢٠) توجد أيضا صداقة بين الأشرار، اللصوص يحبون اللصوص، والقتلة يحبون القتلة، هذه الصداقه لاتنبع من ضمير صالح، بل شرير، ليست من قلب طاهر بل من قلب دنس، وليست نابعة عن إيمان صادق. فالإيمان يعلم الحق، الإيمان الحقيقى يولد المحبة، لأن الذى يؤمن إيمانا حقيقيا بالله لايمكن أن يفقد المحبه.

ويستمر النص قائلا: "الأمور التى إذا زاغ قوم عنها انحرفوا إلى كلام باطل" نعم قد انحرفوا، لأنه يلزم المهارة لأختيار الطريق الصحيح وعدم التحول عن الهدف، أى أن نترك الروح تقودنا، هناك دوافع كثيرة تبعدنا عن الهدف الحقيقى؛ ويجب أن يكون هذا المفهوم على مرأى أبصارنا دائما. ثم يواصل الرسول "يريدون أن يكونوا معلمى الناموس" تجدون هنا سببا آخر لهذه الفوضى وهو شهوة السلطة. لذلك قال السيد المسيح : "وأما أنتم فلا تدعوا سيدى" (مت ٢٣:٨) ويقول الرسول بدوره: "هم لايحفظون الناموس بل يريدون أن تختتنوا أنتم لكى يفتخروا فى جسدكم" (غلا ٦:١٣) يريدون أن يكونوا مكرمين، ولذلك لايتأملون الحقيقة. "لايفهمون حتي مايقولون ولامايقررونه" الرسول هنا يتهمهم بعدم معرفة

هدف الناموس وجهلهم بمدى استمرار الحكم به. قد يقال مادام سلوكهم هذا بجهل لماذا ينسب لهم الخطأ ؟ لأن خطأهم لايقتصر على انهم يريدون أن يكونوا معلمي الناموس بل أيضا لأنهم لايصونون المحبة، ومن هنا ينتج الجهل. فى الواقع أن النفس إذا استسلمت للأشياء المائتة، يصاب نظرها بالشلل، وتطرح خارجا عن المحبة، تقع فى غيرة فتاكه وبعد ذلك تنطفئ عين ذكائها. الذى يستسلم لرغبة الأشياء المؤقتة، يسكر بعشقها، ولايمكن أن يكون الحاكم العادل للحقيقة. هم يبيعون كلاما باطلا فيما يتعلق بالناموس، وينشروا أحاديث طويله عن شعائر التطهير، والملاحظات الأخرى المادية. دون التوقف للبرهنة على أن هذه الملاحظات ليست هى سوى ظلال الوصايا الروحيه والرموز البسيطة، يتناول الرسول موضوع أكثر جاذبية. هو مدح الناموس ويعنى هنا الوصايا العشر التى أخذ منها الملاحظات الشرعية. لأنه إذا كان المخالفون لهذه الملاحظات قد عوقبوا، فكم بالأحرى الذين يخالفون الوصايا العشر. فيقول: "نعلم أن الناموس صالح إن كان أحد يستعمله ناموسيا. عالما هذا أن الناموس لم يوضع للبار" (١:٨، ٩) يقول : إن الناموس صالح وغير صالح. كيف ! هل إستعمال الناموس بطريقة غير شرعية يبطل صلاحيته ؟ كلا هو دائما صالح؛ إنما مايريد الرسول أن يقوله: إعلان صلاح الناموس إذا أستكمل بالأعمال، هذا هو المقصود من عبارة "إذا كان من يستعمله ناموسيا" ولكن يُفسر بالكلام ويُنتهك بالسلوك، فهذا هو الاستعمال غير الناموسى، فهم يستعملونه ولكن ليس لفائدتهم. ويجب إضافة شيئا آخر، أنك إذا استعملت الناموس استعمالا شرعيا سيقودك إلى المسيح. إن هدف الناموس فى الواقع هو تبرير الإنسان، إلا أنه يعجز عن تحقيق ذلك بذاته، فهو يقود إلى الذى له القدرة على ذلك، واستعمال الناموس استعمالا شرعيا يكون بمراعاته بدقه فائقة. كيف يكون ذلك ؟ مثل

(١) انبعاث، انبثاق، صدور، فيض، فوهان. (٢) مذهب الجبريه.

الحصان الذى يطيع اللجام بالطريقة المثلى، إذا كان لايشب ولايعض، ولكن إذا كان لايحمل اللجام "المقود" سوى للشكل فقط؛ مثله مثل الإنسان الذى يستعمل الناموس استعمالا ناموسيا ولايرجع بسلوكه الحكيم لنص الناموس. ومن هو هذا ؟ هو الذى يعلم أنه ليس فى حاجة إليه. لأن الذى يجاهد ليصل إلى فضيلة سامية، مطالب بحياة مستقيمة ليس خوفا مما يوصى به الناموس بل للفضيلة ذاتها. فهذا هو الذى يستعمل الناموس إستعمالاً شرعياً ومؤكداً؛ عاملا به دون خوف منه، بل واضعاً أمام عينيه دينونة الله والعقوبة، هذا هو الإستعمال الصالح للناموس.

ويدعو الرسول هنا "الصالح" من يمارس الفضيلة. إذ هو يستعمل الناموس استعمالا بارعاً ـ مثلما توضع علامات الوقف فى الكتابة للأطفال ولكن الذى يضيفها إلى الكتابة حيث لاتوجد يمتلك علي أكبر ويستعمل الكتابة استعمالاً أفضل، وهكذا أيضا من هو فوق الناموس لم يتعلم بواسطة الناموس، والذى ينفذه ليس عن خوف، بل عن رغبة حارة فى الفضيلة، يكون أكثر إجادة فى تنفيذه. لأن الذى يخشى العقاب والذى يرغب فى الشرف لايتممان الناموس بنفس الطريقة، ولا يمكن تشبيه الذى تحت الناموس بالذى فوق الناموس، لأن الحياة فوق الناموس هى استعمال الناموس استعمالا شرعياً، ويعمل أكثر مايتطلبه الناموس، ولايجعل نفسه تلميذا للناموس. لأن الناموس بوجه عام يحرم الشر، ولكن هذا لايكفى وحده للحصول على الصلاح، فلابد من إضافة التطبيق العملى للخير. بمعنى أن الذين لايمتنعون عن الشر إلا بدافع الخوف الإستعبادى لايتممون قط هدف الناموس وبما أن الناموس وُضِعَ لمنع الخيانة فهم يعَملون طبقاً للناموس، ولكن خوفا من العقوبة فقط. يقول الكتاب: "أفتريد أن لاتخاف السلطان إفعل الصلاح" (رو ١٣:٣) أى أنه لايعاقب سوى الأشرار، ولكن الذى يستحق الأكاليل ما فائدة الناموس له؟ فالطبيب ضرورى للجريح، وليس للذى يتمتع بصحة جيده.

٢ـ رأى ذهبى الفم فى الآيتين ٩، ١٠ :ـ

يضيف الرسول "الناموس وضع للأثمة والمتمردين، للفجار والخطاة" الأئمة والمتمردون يقصد بهم اليهود. وفى مكان آخر يقول: "لأن الناموس ينشئ غضبا" (رو ٤:١٥) ماصلة هذا بالإنسان الصالح الذى يستحق الكرامة؟ كيف إذاً لم يوضع الناموس من أجله؟ لأنه ليس خاضعا للعقوبة، ولأنه لاينتظر توجيهاته، فنعمة الروح القدس التى بداخله هى التى تلهمه. لأن الناموس قد أعطى للردع بواسطة الخوف والتهديد. الحصان السهل فى قيادته لايحتاج إلى لجام "مقود" والمتعلم لايحتاج إلى العلم.

"من أجل الأثمة والمتمردين للفجار والخطاة الدنسين والمستبحين لقاتلي الآباء وقاتلي الأمهات الرسول هنا لم يستعمل الإيجاز عند اشارته للخطايا، بل ذكرها على وجه التفصيل لكى يخجل الذين تحت الناموس. من يقصد الرسول إذاً بكلامه هذا ؟ يقصد اليهود قتلة آبائهم وأمهاتهم هم المقصودون. هم المقصودون بالدنسين والفجار. هم الذين كانوا فى ذهن الرسول عندما قال: "للفجار والخطاة" وبما أنهم كانوا كذلك، كان لابد أن يوضع الناموس من أجلهم. قل لى، ألم يعبدوا فعلا الأصنام ألم يريدوا رجم موسى؟ ألم تتدنس أيديهم بقتل إخوتهم ؟ ألم يوجه الأنبياء إليهم هذا اللوم ؟ كل هذا بعيد عن الذين تتجه أفكارهم نحو السماء.

"لقاتلى الآباء وقاتلى الأمهات لقاتلى الناس للزناة لمضاجعى الذكور لسارقى الناس للكذابين للحانثين وإن كان شئ آخر يقاوم التعليم الصحيح" بهذه الأمور كان ولع النفوس الفاسدة. يقول الرسول: "التعليم الصحيح هو التعليم الذى "حسب انجيل مجد الله المبارك الذى أؤتمنت أنا عليه" علي أنه حتي فى الآن لازال الناموس ضروريا لتثبيت الإنجيل، ولكن ليس للذين يؤمنون. وإذا كان الرسول يسميه إنجيل مجد الله، فهذا لكى يوبخ الذين يخجلون منه بسبب الاضطهادات وآلام المسيح التى هى فى

ذاتها مجد، وأيضا للإيضاح عن أمور وأسرار المستقبل. لأنه إذا كان العصر الحاضر مليئا بالخزى والإغتصاب. فلن يكون كذلك فى المستقبل، ورسالة "الإنجيل" تهدف بالأحرى للمستقبل عن الحاضر.كيف إذاً قال الملاك "فها أنا أبشركم بفرح عظيم أنه ولد لكم اليوم مخلص" (لو٢: ١٠، ١١) المخلص ولد ولكنه سوف يكون مخلصا، لأنه لم يصنع معجزاته عند ولادته.

"حسب إنجيل مجد الله المبارك" "المجد" يعنى تمجيد الله، ويقول لنا إذا كان الوقت الحاضر ملئ بمجده، ففى المستقبل سيكون أكثر كثيرا "عندما يضع أعداءه تحت قدميه" (١كو ١٥: ٢٥) عندما لايوجد أى أعتراض على مجده وأن الأبرار سيرون هذه السعادة. "مالم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على بال إنسان" (١كو ٢: ٩) يقول الإنجيل: "أريد أن يكونوا معى حيث أكون أنا لينظروا مجدى الذى أعطيتنى" (لو١٧: ٢٤).

فلنعرف من هم هؤلاء لكيما نهنئهم لأنهم أعدوا للتمتع بمثل هذه الخيرات وللمشاركة فى مثل هذا المجد ومثل هذا النور ! لأن مجد الأرض باطل وغير ثابت، ومهما دام فلن يدوم أكثر منا، إذاً فهو يتلاشى بسرعة. يقول الكتاب : "لأن عند موته لا ينزل وراءه مجده" (مز ٤٩: ١٧) وبالنسبة لكثيرين لم يدم مجدهم معهم حتى إلى نهاية حياتهم. ولكن بالنسبة للمجد السماوى لايمكن أن يشك أحد فى دوامه، ولكن على العكس من ذلك سيدوم ولن تكون له نهاية. لأن هذه الهبات الإلهية دائمة ومستمرة وتفوق التغير والموت. إذاً فالمجد لايأتى من الأشياء الخارجية؛ وإنما ينبع من داخل نفوسنا، وهو لايتوافر لنا مما نرتديه من ملابس ثمينة فخمة، أو ممن يحوط بنا من حشد من الخدم، أو من العربات التى تحملنا، إن الإنسان يرتدى مجداً بعيداً كل البعد عن كل هذا. إن من يرتدى مجد المظاهر العالمية الزائف والزائل يتجرد من هذا المجد بمجرد أن يخلع عنه هذه

المظاهر: مثل الذين فى الحمامات كلهم متساوون ومتشابهون إذ أن جميعهم عراة، العظماء المشهورون والبؤساء المجهولون. ولكن الإنسان الطوباوى لم يفصل عن مجده فى أى مكان، وكذلك فإن الملائكة أينما يظهرون يحملون مجدهم فى ذواتهم، وهكذا أيضا بالنسبة للقديسين.

الشمس ليست فى حاجة إلى ملبس، وليست فى حاجة إلى شمس أخرى، ولكن بمجرد ظهورها تبرق بمجدها. وهكذا سيكون فى السماء.

٣ـ التباهى بالزينة :-

لنتتبع إذاً هذا المجد الجدير بأقصى درجات السمو، ولنلفظ المجد الآخر الباطل. يقول الوحى الإلهى: "لاتتفاخروا بملابسكم (يشوع بن سيراخ ١١:٤) وهذا ماقالته الحكمه العالية للأغبياء. كيف تتفاخر بشئ يمكن أن تأكله منك الديدان إذا تعلقت به ؟ أترى إذاً كم مجد العالم الحاضر متقلب. أنت تتفاخر بشئ ممكن لحشرة أن تنتجه ولحشرة أخرى أن تلتهمه. إقتن الثوب إذا أردت ولكن الثوب المنسوج فى السماء، حلة جديرة حقا بالإعجاب، حلّه من ذهب نقى تماما. هذا الذهب ليس منزوعا من المناجم بأيدى المحكوم عليهم. ولكنه ناتج عن الفضيلة. لنرتدى هذا الثوب الذى ليس من عمل الفقراء والعبيد ولكن من عمل المعلم نفسه.

كيف إذاً نصل إلى هذا الحد من الجنون، حتى نظهر هذا الولع بأمور تافهة، ونجد ذواتنا على أتم الإستعداد للقيام، بأعمال مشينة، مثل الخيانة بالعناية بالخلاص الذى قدمه لنا، والإزدراء بجهنم، وإهانة الله، ونسيان فقر المسيح ؟ ماذا نقول عن هذه الكثرة من العطور الواردة من الهند، وبلاد العرب، والفرس، جافة كانت أم سائلة، عطور وروائح لحرارة الشهوة، وندفع فيها أثمان باهظة دون أية فائدة ؟ أيتها المرأة لماذا تعطرين الجسد وهو من الداخل ملآن بعدم النقاوه ؟ لماذا كل هذا الإنفاق

من أجل شئ غض أليس هو كما لو كنت تلقين عطرا على الوحل أو بلسما على فخار معدم ؟ إن العطر الحقيقى إذا أردت أن تقتنيه هو الذى يعطر نفسك، ولا يستورد من بلاد العرب والحبشة، ولا من الفرس، لكنه من السماء نفسها؛ لايشترى قط بثمن الذهب، ولكن بالإرادة الصالحة والإيمان الصادق. أقتنى هذا العطر الذى يمكن أن تعطر رائحته الأرض كلها. إنه العطر الذى كان يستنشقه الرسل. ويقول الرسول : "لأننا رائحة المسيح الذكية لله فى الذين يخلصون وفى الذين يهلكون" (٢كو ٢ : ١٥، ١٦) ماذا تعنى هذه الكلمات ؟ إنها كما يقال إن الرائحة الممتعة تخنق الخنازير. لم يكن فقط جسد الرسل، بل ملابسهم أيضا كانت تستنشق العطر الروحى. من ملابس بولس كان يخرج فوحان متميز لدرجة أنه كان يطرد الشياطين. القرفة، والمر، هل فى إمكانها أن يتنافسا مع سحر وفاعلية هذا العطر ؟ فإذا كان هذا العطر قادراً على طرد الشياطين، أى شئ بعد ذلك يتعذر عليه أن يعمله ؟ لنحصل على هذا العطر، إنه فيض من الروح، ورحمته هى التى تعطينا إياه. ونحن سوف نستنشقه خارج هذا العالم؛ وكما أن الذين يتعطرون هنا على الأرض يجذبون انتباه من هم حولهم، مثلما فى الكنيسة وفى كل الاجتماعات المتعددة، وأينما يوجد تزين تفوح منه هذه الرائحة، الكل يتجه نحوه ويقترب منه؛ وبالمثل فى العالم الآخر، عندما تتقدم روح وتفوح منها الرائحة الروحية العطرة، الكل يقف وينحنى ليقدم لها الإكرام. وهنا الشياطين والرزائل لا تتوافر فيهم الشجاعة ولا القوة ليقتربوا منها : إذ هم فى حالة اختناق. لنتغطى بهذا العطر.

إن عطر العالم يضفى علينا صفة الرجال المتأنثه، أما هذا العطر فيعطينا صفة الرجال الشجعان الجديرين بالإعجاب، ويسبغ علينا رجولة مستقلة؛ ليست الأرض هى التى تعطيه، إنها الفضيلة هى التى تنتجه، لايجف، بل يزهر والذين يمتلكونه يكونون جديرين بالفخر. نحن اصطبغنا

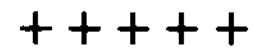
به فى المعمودية، لذلك تفوح منه رائحة عذبة يمكث إستنشاقها معنا باقي حياتنا تبعا لفضيلتنا. ولذلك فإن الكهنة فى العصور القديمة كانوا مدهونين بالعطور كرمز لرائحة الفضيلة العطرة التى يجب أن تفوح من الكاهن.

فساد الخطيه :-

أما عن الخطية فليس هناك ما هو أكثر تعفنا منها. أنظروا كيف يصف النبى طبيعتها : "جروحى نتنة وفاسدة" (مز ٣٧:٧) وفى الحقيقة أن الخطية أسوأ وأنتن من العفن. أفيدونى هل يوجد ماهو أكثر عفونة من الزنى؟ وإذا كانت رائحته لاتُشم أثناء ممارسة الخطية جربوا بعد ذلك فسوف تشمون الفساد، وترون عدم النقاء، والتلوث والرجس. هكذا بالنسبة لكافة الخطايا : قبل ارتكابها تقدم لنا مايجذبنا إليها، وبعد ارتكابها تتوقف اللذة وتذبل ويحل محلها الألم والخجل. أما الصلاح فهو على العكس تماما؛ ففى البداية يسبب بعض الآلام، ولكن بعد ذلك يجلب السعادة والراحة. وكما أن اللذة فى ممارسة الخطية ليست هى لذة لأنك تنتظر الخجل والعقوبة، كذلك فإن الألم وأنت تمارس البر ليس هو ألما إذ يتخلله الأمل فى المكافأة.

قولوا لى ماهو إدمان الخمر ؟ أليست لذته الوحيدة فى السكر، وبالأحرى قد لايجدها فى هذا الفعل؟ إذ عندما يقع السكير فى حالة فقدان الشعور ولايرى شيئاً مما يحيط به، فأية لذة تبقى له ؟ الدعارة لاتعطى الشعور بالرضا ولو حتى مؤقتا، لأن النفس حينما تكون أسيرة رغباتها تفقد الحكم، فأى فرح يمكنها أن تشعر به ؟ وحتى إذا شعرت بفرحة ماهى إلا إثارة. إن الفرح الحقيقى هو فرح الحياة الأخرى، حيث لاتعزب النفس وتتمزق الشهوة. هل الفرح فى صرير الأسنان، فى جريان العيون، فى الشعور بالهياج وحرارة الحمى؟ هل هذه لذة تلك التى إذا

مارسناها نسارع فى التخلص منها، وبعد بلوغنا شهوتها نعود للآلام ثانية؟ إذا كنتم رغم هذا تحسبونها لذة فلتحتفظوا بها. ولاشك أنكم سوف ترون جيدا أنها لاتحمل من اللذات سوى الإسم فقط. إن سعادة المسيحى ليست هذه قط، أنها سعادة حقيقية وليست لذة محمومة، تعطى الحرية للنفس وهى جذابة وغنية باللذات الحقيقية. وهذه هى السعادة التى عبر عنها القديس بولس بقوله: "ولهذا أنا أفرح بل سأفرح أيضا" (فى ١٨:١) ويقول بعد ذلك "افرحوا فى الرب كل حين" (فى ٤:٤) إن الفرح الآخر يجلب الخجل والعقاب، ولايتم إلا فى الخفاء وهو ملئ بعوامل الإشمئزاز : أما هذا فهو متحرر من كل هذه الآلام. لنتتبعه حتى نحصل على الخيرات المستقبلة بنعمة ورحمة ربنا يسوع المسيح مع الآب والروح القدس له المجد والقوة والعزة الآن وكل آوان وإلى دهر الدهور آميــن.



الموعظة الثالثة

" وأنا أشكر المسيح يسوع ربنا. الذى قوانى، إنه حسبنى أمينا. إذ جعلنى للخدمة. أنا الذى كنت قبلا مجدفا ومضطهداً ومفترياً. ولكننى رحمت. لأنى فعلت بجهل فى عدم إيمان. وتفاضلت نعمة ربنا جدا مع الإيمان والمحبة التى فى المسيح يسوع. (اتى١:١٢-١٤).

التحليل

١ـ تواضع القديس بولس العجيب.

٢ـ إذا كان قد اضطهد الكنيسة الناشئة، فقد فعل ذلك بجهل وحماس، وليس حبا فى السيادة.

٣، ٤ـ لتكن محبة الله هى القائدة لحياتنا ـ نرد الشر بالخير.

١ـ تواضع القديس بولس العجيب :-

نحن نعلم أنه بالتواضع نحصل على فوائد عديدة، ولكن لايمكن إدراكه بسهولة، فكثيرة هى الأقوال المتواضعة ولكن لايوجد فيها أى أثر للتواضع الحقيقى. لكن القديس بولس الطوباوى قد مارس التواضع بحماس كبير، وكان يفكر فى كل الأسباب التى تعمل على تواضع روحه. وبديهى أن التواضع ليس أمراً سهلاً بالنسبة للذين لهم ضمير وتقدموا كثيرا فى عمل الخير، الأمر الذى جعل بولس يعانى من الآلام بعنف، لأن الخير الذى كان يؤديه بضمير صالح كان لابد أن يحدث انتفاخا فى قلبه. تأملوا إذن ماذا يفعل، لقد قال أنه اؤتمن على إنجيل مجد الله المبارك، ذلك الإنجيل الذى لايمكن أن يشترك فيه الذين لازالوا يتبعون الناموس، لأنه يوجد تنافر والمسافة كبيرة جدا بينهما، لدرجة أن الذين ينساقون بالناموس يظلون غير جديرين بعد للإشتراك فى الإنجيل، هكذا يقال إن

الذين يلزمهم سلاسل ومحاكم لايمكن أن يكونوا فى عداد الفلاسفة. وبعد أن تحمس وقال هذه العبارة الكبيرة عن نفسه يتواضع فورا ويحث الآخرين على أن يسلكوا نفس السلوك. فبمجرد ماكتب أنه اؤتمن على الأنجيل، يسارع بإضافة التصحيح حتى لاتظنوا أنه يتكلم بكبرياء. لاحظوا أنه يصحح حديثه بإضافة هذه الكلمات : "وأنا أشكر المسيح يسوع الذى قوانى إنه حسبنى أمينا إذا جعلنى للخدمة".

الإنجيل الذى اؤتمنت عليه. هنا التمييز والعظمه، ولكنهما لايخصانه بالكامل، أنظروا ماذا يقول: "أنا أشكر المسيح يسوع ربنا الذى قوانى" هنا يذكر مايخص الله ثم يذكر مايخصه هو نفسه بقوله: "إنه حسبنى أمينا" أى أمينا على قدراته الصالحه. "إذ جعلنى للخدمة أنا الذى كنت قبلا مجدفا ومضطهدا ومفتريا ولكنى رُحمت لأنى فعلت بجهل فى عدم إيمان"

لاحظوا كيف يظهر ما يخصه وما يخص الله، ناسبا النصيب الأكبر للعناية الإلهية، مقللا مما يخصه هو ولماذا هذه الكلمات : الذى قوانى؟ إن الحمل الثقيل الذى حمله الرسول كان لابد معه من الحاجه إلى معاونة كبيرة من أعلى. إنه كان يعانى يوميا من الإهانة، والشتائم، والمكائد، والأخطار، والسخرية، وخطر الموت، وكل ذلك دون أن يضعف وينزلق فى الطريق، دون الرجوع إلى الوراء، بل طامحا فى التقدم كل يوم، محافظاً على نظرة ثابتة وشجاعة، وهذا ليس فى قدرة القوى البشرية، ولا حتى تكفيه مساعدة الله العادية، لكن الأمر فى حاجة إلى دعوى خاصة. لأن الله قد أدرك مسبقاً ماسيكون عليه بولس الذى أختاره؛ إسمعوا ماذا يقول قبل أن يبدأ بولس بنشر الإنجيل : "لأن هذا لى إناء مختار ليحمل إسمى أمام أمم وملوك" (أع ٩:١٥) مثل الذين يحملون علم الملك فى

الحرب Le Labarum [1] هم في حاجة إلى قوة وخبرة، حتى لا يقع منهم في يد الأعداء، أيضا الذين يحملون إسم المسيح، ليس فقط أثناء الحرب، ولكن أيضا في السلام التام، هم في حاجة إلى قوة كبيرة لكي لايخونوه أمام الأفواه التي تتهمه، بل يتمسكوا به بفخر ويحملون الصليب. نعم يلزم قوة كبيرة للتمسك بإسم المسيح والذي يسمح لنفسه سواء في كلامه أو أعماله أو أفكاره بأي شئ غير لائق، فإنه لا يتمسك بالمسيح ولايوجد المسيح فيه. الذي يحمله يجب أن يحمله بفخر والملائكة تحرسه وتعجب به.

يقول الرسول : "اشكر المسيح يسوع ربنا الذي قواني" لاحظوا أنه يشهد باعترافه بالجميل. بأنه إناء مختار، يشهد بالجميل نحو الله. هذا اللقب يخصك أيها الطوباوي بولس، لأن الله لايحابي الأشخاص. كما لو كان يقول: أشكر الله الذي شرفني بهذه الوظيفة التي حسبني أمينا بها. كما يحدث في منزل مثلا المشرف لايشكر سيده فقط لأنه وثق فيه، ولكنه يرى في وظيفته شهادة منه، بأنه يثق فيه أكثر من الآخرين، وهكذا هو الحال في مجال الخدمة الرسولية. ثم تأملوا بعد ذلك كيف يعظم رحمة الله وحلمه عندما يتكلم عن حياته السابقه قائلا: "أنا الذي كنت قبلا مجدفا ومضطهدا ومفتريا". وعندما يتكلم عن اليهود الذين لم يؤمنوا بعد، فإنه يتكلم بتحفظ كبير : "لأني أشهد لهم أن لهم غيرة الله ولكن ليس حسب المعرفة" (رو ١٠:٢) وعلى العكس إذا تكلم عن نفسه يضعها في عداد المجدفين والمضطهدين. إنظروا إلى أي حد ينزل من نفسه مبتعدا عن المحبة الذاتية، ضابطا فكره في التواضع. لم يكفه أن يقول عن نفسه "مجدفا" بل يضيف "مضطهدا" ويُصر على ذلك. يقول: أنه لم يكتف بفعل الشر والتجديف فقط ولكنه كان يضطهد الذين يريدون إتباع طريق الدين. "ولكن" يضيف "لأن الله رحمني لأني تصرفت بجهل في عدم إيمان".

(١) لواء قسطنطين الكبير بعد اعتناقه المسيحية (علم رمزي).

٢ـ اضطهاده للكنيسة كان بجهل وحماس :-

ولماذا لم يرحم باقى اليهود؟ لأنهم لم يخطئوا بجهل بل لأنهم كانوا يدركون وعلى علم تام بالشر الذى كانوا يرتكبونه. ولكى نفهم ذلك جيدا إسمعوا مايقوله لنا الإنجيلى : "ولكن مع ذلك آمن به كثيرون من الرؤساء أيضا غير أنهم لم يعترفوا به، لأنهم أحبوا مجد الناس أكثر من مجد الله" (يو ١٢: ٤٢، ٤٣) والمسيح له المجد قال : "كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجدا بعضكم من بعض" (يو ٥: ٤٤)، أيضا ماذكر عن أبوى الأعمى أنهما لم يعترفا لخوفهما من اليهود "لأن اليهود كانوا قد تعاهدوا أنه إن اعترف أحد بأنه المسيح يخرج من المجمع" (يو ٩:٢٢) وكانوا يقولون: هل ترون أننا نربح شيئا؟ لاشئ لأن كل العالم يسير وراءه. وفى الواقع أينما حلوا كان شغف محبتنهم للسلطة يكدرهم. وقد قالوا بأنفسهم: "من يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله وحده" (لو٥:٢١) وفى الحال أثبت لهم يسوع أنه هو الله. فلم يكن الجهل بالنسبة لهم هو السبب. ربما يوجه سؤال أين كان بولس ؟ كان جالسا تحت قدمى غمالائيل لم يكن له آية شركة مع الجمع المتمرد. وأين كان غمالائيل؟ إنه كان شخصا لا يفعل أى شئ حبا فى السلطة. إذن كيف وجد بولس بعد ذلك مع هذا الجمع؟ كان يرى عدد المؤمنين يزداد، تؤمن الرؤوس ثم يتبعها الشعب. البعض أنضم للمسيح أثناء وجوده على الأرض، والبعض الآخر لتلاميذه.

أخيرا حدث انقساما كبيرا بين اليهود. وما عمله بولس حينئذ لم يعمله بدافع حب السلطة إنما بدافع الحماس ولماذا كان يتردد على دمشق؟ لكى يتعرف على مايجرى فيها، ولكن هدفه ليس كالآخرين الذين لم تكن عنايتهم لتدبير شئون الجمهور، بل حبا فى السلطة التى يبتغونها. إسمعوا ماذا يقولون : "الرومانيون يأخذون موضعنا وأمتنا" (يو ١١:٤٨) إنها المخاوف البشرية هى التى كانت تهزهم. ما يهمنا فحصه هو كيف أن بولس المدقق فى تطبيق الشريعة، لايعرف هذا الإنجيل الذى قال هو

عنه إن الله سبق فوعد به بأنبيائه (رو ١:٢) كيف كان لايعرفه وهو الغيور على شريعة آبائه، والمتعلم تحت أقدام غمالائيل؟ أخرون عائشون على شواطئ البحيرات والأنهار، وفى مكاتب العشارين، كانوا يسرعون نحو المسيح ليلتقطوا أقواله، وأنت العالم فى الشريعة كنت تضطهدها. لذلك يدين نفسه قائلا: "أنا الذى لست أهلا أن أدعى رسول" (١كو ١٥:٩) فهو يعترف بذلك أن فى نفسه جهلا متولدا من عدم الإيمان، ولهذا يقول أنه موضع العناية الإلهية. وماذا تعنى إذن عبارة "حسبنى أمينا" ؟ تعنى أنه لم يخالف أية وصية من الوصايا التى تسلمها؛ وأرجع كل شئ للملك المعلم حتى تصرفاته، ولم يخص نفسه بمجد الله. إسمعوا مايقوله فى مكان آخر. "لماذا تفعلون هذا ؟ نحن أيضا بشر تحت الآلام مثلكم" (أع ١٤:١٤) وهذا مايعنيه بهذه الكلمات "حسبنى أمينا" وبالفعل يقول في مكان آخر: "أنا تعبت أكثر منهم جميعا ولكن لا أنا بل نعمة الله التى معى" (١كو ١٥:١٠) كما يقول فى مكان آخر: "لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا" (فى ٢:١٣) هو يعترف باستحقاقه للعقوبة؛ لكن العناية الإلهية تتدخل فى هذه الظروف. وفى مكان آخر أيضا يقول: "أن القساوة قد حصلت جزئيا لإسرائيل" (رو ١١:٢٥).

ولكنه يقول لتيموثيئوس "وتفاضلت نعمة ربنا جدا مع الإيمان والمحبة التى فى المسيح يسوع" (١:١٤) لماذا يتكلم هكذا ؟ حتى لاتظنوا أن الرحمة وحدها هى التى شملته. يقول الرسول: كنت مجدفا، مضطهدا ومفتريا وبالتالى كنت مستحقا للعقوبة "ولكننى رُحمت" وهل الرحمة كانت قاصرة على إنقاذه من العقوبة فقط كلاً بالتأكيد كلا: فقد أضاف الله إلى رحمته حسنات كبيرة وعديدة. الله لم يخلصنا فقط من العقوبة؛ بل صيرنا صالحين، أولاده، إخوته، اصدقاءه، ورثته، شركاء فى الميراث مع المسيح. ولهذا يقول الرسول النعمة تفاضلت لأن حجم حسناته قد فاق مستوى الرحمة وحدها فليس هذا عمل الرحمه وحدها، بل عمل المحبة والحنان المفرط الرسول بتعظيمه لصلاح الله الذى رحمه وهو المجدف

والمضطهد والمفترى، ولم يقف عند هذا الحد، بل تفضل بمنحه حسنات كبيرة، ووقاه من مقاومات غير المؤمنين.

٣ـ لتكن محبة الله هى القائدة لحياتنا :-

لنحب الله إذن بالمسيح، ولكن ماذا تعنى هذه الكلمة "بالمسيح" تعنى أننا مدينون للمسيح بخلاصنا وليس للناموس. أترون كم من خيرات نحن مدينون بها له ولكن ماذا بالنسبة للناموس؟ الرسول لم يقل فقط أن النعمة كثرت، بل "تفاضلت". نعم "تفاضلت" لأنها حولت الذين يستحقون آلاف العقوبات إلى أبناء بالتبنى فى المسيح، يعنى بالمسيح. وهنا مرة أخرى استعملت كلمة "فى" بدلا من "ب" إذا فالأمر لايتطلب الإيمان فقط، ولكن المحبة أيضا؛ فكثيرون فى أيامنا هذه يؤمنون بأن المسيح هو الله، ولكنهم لايحبونه، ولا يتصرفون كالمحبين. وكيف يحبونه وهم يؤثرون كل شئ عليه، الثراء، الإيمان بالقضاء والقدر، التنبؤات، العرافة. قولوا لى كيف نحب المسيح ونحن لانعيش سوى لإهانته. ليتنا نعطى المسيح على الأقل نفس الحب الذى نعطيه لصديق نحبه حبا حاراً مليئا بالحماس، ليتنا نعطى نفس الحب لله الذى سلم إبنه لأجل أعدائه، لأجلنا، ونحن لم نفعل شيئا يستحق كل ذلك. بل على العكس قد ارتكبنا جرائم بجرأة تفوق الوصف، دون سبب، بعد أن قدم لنا مالايحصى من الخيرات، مالايحصى من دلائل المحبة، ومع كل ذلك لم يرفضنا؛ بل أنه فى الوقت الذى كنا فيه فى قمة الإثم أعطانا أبنه. ونحن بعد هذا المعروف الكبير، وبعد أن أصبحنا أصدقاءه، وبعد أن غمرنا بحسنات كبيرة جدا، بالمسيح. لانحبه كما نحب صديق لنا. ماذا سيكون رجاؤنا إذن؟ ارتعدوا من هذه العبارة، ولعل الله يجعل هذا الإرتعاد شافيا لكم! .

قد يقال كيف لانحب المسيح مثل أصدقائنا؟ سأحاول أن أثبت لكم ذلك. من أجل الأصدقاء المخلصين، كثيرون تألموا بمحض إرادتهم، وأما من أجل المسيح، لايقبل أحد ليس فقط الالام بل مجرد الرضا بثروته الحاليه، وكثيرا مانتعرض للسب من أجل صديق، ونقبل الكراهية، ولكن من

أجل المسيح لايقبل أحد هذا. لاننظر بعدم اكتراث إلى صديقنا الذى يعانى من الجوع، ويوميا يأتى المسيح ويطلب منا، ليس تضحيات كبيرة، بل مجرد قطعة من الخبز، ولانرحب به، بينما نملأ وننفخ بطوننا إلى حد الإفراط الدنيء، ويتعفن نفسنا من النبيذ، نعيش فى التراخى، ونعطى أموالنا بسخاء، البعض يعطيها لمخلوقات لاحياء لها، والبعض الآخر للمتطفلين أو إلى متملقين أو إلى وحوش أو مجانين أو أقزام لأننا نتخذ من نكبات الطبيعة أداة تسلية. نحن لانحسد أصدقاءنا الحقيقيين أبداً، ولانتألم لنجاحهم، ولكننا نشعر بهذا الإحساس تجاه المسيح، إذن نرى أن للصداقة سلطة علينا أكثر من مخافة الله. الإنسان خائن وحسود ويحترم الناس أكثر من الله. كيف ذلك؟ لأن فكر الله الذى يرى أعماق القلوب لايحيده عن مؤامرته؛ بينما لو رآه أحد من أمثاله وهو يدبر مؤامراته يشعر بأنه ضاع ويستولى عليه الخجل ويحمر وجهه. ماذا أقول أيضاً ؟ إذا وجدنا صديقا يمر بمحنة، وإذا تأخرنا عنه قليلاً نخشى اللوم، ولكن كم من مرات مات المسيح فى الأسر ولم نبال به. نحن نهتم بأصدقائنا الذين هم فى عداد المؤمنين؛ ليس لأنهم مؤمنون، بل لأنهم أصدقاؤنا.

٤- وكما ترون أننا لانعمل أى شئ خوفا من الله، ولا محبة له، ولكننا نتصرف من أجل الصداقة أو بحكم العادة. عندما يغيب عنا صديق نبكى ونئن، وفى حالة وفاته ننوح رغم أننا نعلم أنه ليس الفراق الأبدى، ولكن قد يبعد المسيح عنا يوميا، أو بالأحرى عندما نعمل نحن على إبعاده عنا، لانشعر بأى ألم ولانفكر فى أننا سوف نكون بؤساء حينما نرتكب الظلم، وعندما نحزنه ونفعل ما لا يرضيه بل ولانرضى أن نتعامل معه كصديق، وسوف أريكم أننا كثيرا ما نتعامل معه كعدو. كيف ذلك ؟ يقول الكتاب : "اهتمام الجسد هو عداوة لله" (رو ٨:٧) ومع هذا فنحن ممسكون برباط هذا الإهتمام، ونضطهد المسيح الذى يريد أن يهرع إلينا، فهذه نتيجة طبيعية للأعمال الرديئة. إننا نجرم كل يوم فى حق الله بسبب الإهانة التى يتحملها من جراء طمعنا وسلبنا. قد يتمتع إنسان بشهرة ساطعة لأنه يعظم مجد المسيح ويفيد الكنيسة، نحن نحسده لأنه يعمل عمل الله، وفى

الواقع نحن نحسده لأننا لانريد أن يتم هذا الخير بواسطة الآخرين بل نريد أن يتم بواسطتنا، ليس لأجل المسيح، بل لأجلنا؛ لأننا إذا رغبنا الخير للمسيح نفسه فسوف لانبالى إذا كان هذا الخير يتم بواسطة أيدى الآخرين أو بأيدينا.

قولوا لى إذا كان طبيب له ولد مهدد بالعمى، وهو عاجز عن شفائه، ويجد طبيبا قادراً على شفائه هل يرفض علاج هذا الطبيب لإبنه ؟ بالتأكيد لا، بل يسرع بالقول: بواسطتك أو بواسطتى المهم أن يشفى أبنى. لماذا ؟ لأنه لاينشد مصلحته الخاصه وإنما شفاء إبنه. وبالمثل إذا تأملنا دعوى مجد المسيح : فلنعمل ما هو يجب عمله سواء بواسطتنا أو بواسطة غيرنا. وكما يقول الرسول : "سواء بعلة أو بحق ننادى المسيح" (فى ١ :١٨) إسمعوا ماذا قال موسى ليشوع عندما أثاره حينما تنبأ الدادوميداد: "هل تغار أنت لى ياليت كل شعب الرب كانوا أنبياء (عدد ١١ :٢٩). كل هذا يحدث بسبب حب الشهرة. أليس هذا المسلك هو مسلك الأعداء ؟ إذا كلمك أحد بسوء، رحب به. هل هذا ممكن، نعم إذا أردت ذلك. ماذا تستحق إذا أحببت من يطريك ويمدحك؟ أنت لاتفعل ذلك من أجل المسيح بل لأجل شهرتك. هل أخطأ أحد فى حقك؟ قدم له خيرا لأنك إذا خدمت من يخدمونك لم تعمل أى شئ يذكر. هل قاسيت ظلما أو أهانة كبيرة، اجتهد أن ترد الشر بالخير، أتوسل إليكم ان نتصرف هكذا، أن تكف عن إهانة وبغض أعدائنا. الله يأمرنا بمحبتهم، ونحن نضطهد إله المحبه. ليت الأمر لايكون كذلك نحن نسلك السلوك الحسن بأفواهنا فقط وليس بأعمالنا. تلك هى ظلمات الخطية، أن مالا نتجاسر على قوله نتجاسر على فعله. لنحصل على خلاصنا بصفحنا عن الذين أخطأوا فى حقنا وأهانونا حتى نثبت استحقاقنا لنوال كل مايخص أحباء الله فى النهاية. ويسوع المسيح يقول: "أريد أن يكونوا معى حيث أنا أكون" (يو ١٧ :٢٤) المجد الذى أتمناه هو أن نصل إليه جميعا بيسوع المسيح ربنا مع الآب والروح القدس له المجد الآن وكل آوان وإلى دهر الدهور آمين.

+ + + + +

الموعظة الرابعة

صادقة هى الكلمه ومستحقة كل قبول أن المسيح يسوع جاء إلى العالم ليخلص الخطاة الذين أولهم أنا لكنى رحمت ليظهر يسوع المسيح فى أنا أولا كل أناة مثالا للعتيدين أن يؤمنوا به للحياة الأبدية (١: ١٥، ١٦).

التحليل

١- التبرير بالناموس لايساوى شيئاً

٢- تواضع القديس بولس

٣- كيف نستطيع أن نمجد الله

١- التبرير بالناموس لايساوى شيئاً

حسنات الله كبيرة جدا وتفوق كثيرا كل التوقعات وكل الآمال البشرية لدرجة أنه يوجد دائما من لايؤمن بها. وبالفعل فقد منحنا الله مالم يتوقعه أو حتى يفكر فيه إنسان، ولهذا فقد عانى الرسل كثيرا فى تأسيس الإيمان بنوال مواهب الله. ولذلك عندما يتحقق للإنسان نوال شئ من عطايا الله الكبرى قد يقول : هل أنا فى حلم؟ تعبيرا عن شكه فى تحقيقها. فهذا هو حال الإنسان إزاء عطايا الله. ماهى هذه العطية الكبرى التى لانستطيع الإيمان بها؟ نتساءل كيف يتسنى لأعداء الله الأثمة الذين لم يتبرروا بالناموس ولا بالأعمال وفجأة بالإيمان فقط يحصلون على التبرير الذى هو أعظم العطايا؟ يتوسع الرسول فى هذا الموضوع فى رسالته إلى رومية، وهنا أيضا يؤكد بقوله: "صادقة هى الكلمة" ومستحقة كل قبول: إن المسيح يسوع جاء إلى العالم ليخلص الخطاة الذين أولهم أنا" (١٥:١) لأنه بما أن هذا هو المبدأ أو الشريعة

التى يجد اليهود صعوبة فى تطبيقها، كان يقنعهم بألا يرتبطوا بالناموس، لأنه به وحده وبدون الإيمان لايمكن الخلاص. فهو كان يكافح لإثبات هذا المبدأ كما كانِ يعتقد أنهم يفكرون أنه من غير المعقول أن الإنسان الذى أمضى حياته السابقة فى الضياع وفى الأعمال الرديئة يمكن أن يخلص بعد ذلك بالإيمان وحده. لهذا يقول : "صادقة هى الكلمة" ولكن البعض كانوا يفترون كما يحدث الآن أيضا، ويزعمون كذبا أن الرسول قال : "لنفعل السيئات لكى تأتى الخيرات" (رو ٣:٨) ويتعللون فى غير فهم بما قاله الرسول: "حيث كثرت الخطية أزدادت النعمة جدا" (رو ٥: ٢٠) ولكن لماذا يقولون: "لنعمل السيئات لكى تأتى الخيرات" ؟ الوثنيون خاصة هم الذين يقولون ذلك استهزاءا بعقيدتنا. وحينما نكلمهم عن جهنم، يقولون: كيف تكون هذه العقيدة جديرة بالله؟ إذا كان السيد يصفح عن خادمه الذى ارتكب أخطاء كثيرة، فكيف يعاقب الله بالآلام الأبدية؟ وعندما نكلمهم عن العماد، وعن مغفرة الخطايا الممنوحة بواسطته، يقولون: كيف يستحق الذى ارتكب العديد من الخطايا غفران الله؟ ألا ترون فساد أفكارهم، التى لا تنشغل سوى بالمجادلة ؟ مع أنه إذا كان الصفح رديئا، يكون الخير فى العقاب، وإن لم يكن الخير فى العقاب يكون فى الصفح. وأنا أتكلم هكذا من وجهة نظرهم؛ ولكن طبقا لتعاليمنا فإن كلا من العقاب والصفح له فائدته؛ كيف ذلك؟ هذا ماسنحاول إيضاحه فى مجال آخر، لأن هذا المجال حاليا غير ملائم. إنه سؤال عميق ويستحق شرحا مطولا لذا يلزم وضعه أمام عيون محبتكم.

كيف تكون هذه الكلمة صادقة ؟ يتضح ذلك مما سبق ومايتبع. تأملوا كيف يُعد الرسول العقول لذلك ويقف عند هذه النقطة. حينما قال: أن الله رحمه وهو المجدف والمضطهد، كان يُعد العقل لهذه الكلمة. ولم يقل فقط أن الله عطف علىّ، بل حسبنى أمينا، لأنه فعلا أشفق علىّ. لأنه من يرى سجينا أصبح مضيفا فى القصر الملكى ويشك فى أنه حصل على العفو؛

وهذا مانراه فى بولس. ولكن أيضا كيف تكون هذه الكلمة صادقة؛ إنه يبرهن على ذلك من واقع اختباره الشخصى، فلم يخشى أن يدعو نفسه خاطئا، بل يعتز بالأكثر بأنه صار الأداة التى تجلت فيها عظمة الحنان الإلهى. كيف فى موضع آخر يتكلم عن نفسه من جهة البر الذى فى الناموس إنه بلا لوم (فى ٣:٦) وهنا يعلن أنه كان خاطئا بل وأول الخطاة؟ ذلك لأنه طبقا للبر الذى هو من عمل الله، والهدف الحقيقى لواجباتنا، يحب حتى الذين فى الناموس أنهم خطاة. "لأن الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله" إنه لم يقل ببساطة "البر" بل قال البر الذى فى الناموس. كالذى يملك نقودا كثيره يظهر عليه الثراء، ويتباهى بنفسه ولكنه هو فى الواقع فقير وأول الفقراء إذا ماقورنت أمواله بكنوز الإمبراطورية وهكذا البشر حتى الصالحين فيهم يحتسبون خطاة إذا ماقورنوا بالملائكة. ولكن إذا كان بولس الذى مارس البر الذى فى الناموس يعتبر نفسه أول الخطاة؛ فأى من الآخرين يمكن أن يدعى بارا؟ لأنه لايتكلم هكذا مشوها حياته، فلم يقل أنه زانى، فاسد، جشع أو غير ذلك، إنما ليظهر بمقارنة بر بآخر أن التبرير بالناموس لايساوى شيئاً، والذين يحصلون عليه هم فى عداد الخطاة - "لكنى لهذا رحمت ليظهر يسوع المسيح فىّ أنا أولا كل أناة مثالا للعتيدين أن يؤمنوا به للحياة الأبدية".

٢- تواضع القديس بولس الرسول :-

أنظروا إلى أى درجة يتواضع هنا الرسول، ويُنزل من نفسه، مقدما سببا آخر أكثر تواضعا لتبريره؛ فحصوله على العفو بسبب جهله لايُظهر شدة إجرامه ولا استحقاقه للوم الشديد وحتى يبعث الرجاء بالأكثر فى نفس كل خاطئ مستبعداً منه اليأس من الآن فصاعدا فى الحصول على رحمة الله، وضع نفسه فى أقصى مرتبة للخطية إذ قال: "أنا أول الخطاة، مجدفاً ومضطهداً ومفترياً" وأيضا : "لست أهلا أن أدعى رسولا" (١كو

٩:١٥) إن كل ماذكره الرسول بولس عن نفسه يدل على قمة التواضع؛ وللإيضاح نعرض المثال الآتى: إفترضوا مدينة مأهولة بالسكان، وسكانها كلهم مجرمون، مع الفارق بين البعض والبعض الآخر، إلا أن الكل مستحق الإدانة، فإن كان أحدهم يستحق العقوبة أكثر من الجميع لتلبسه بعدة أنواع من الجرائم، فإذا أعلن الإمبراطور أنه يود العفو عن الجميع، ربما لايصدق هذا الخبر مالم يتم العفو فعلا عن أكثرهم إجراما، حتى بهذا لايطرأ أدنى شك لدى الآخرين فى العفو عنهم. وهذا مايقصده معلمنا بولس، إن الله يريد أن يغمر البشر بالثقة الكاملة فى أنه سيعفو عن كل خطاياهم فأختار الأكثر إجراما منهم. ولذلك يقول: لما أحصل أنا على العفو، وأنا أكبر المجرمين، لايشك أحد بعد ذلك فى العفو عن الآخرين بحيث يمكن أستخدام القاعدة الآتية: إذا عفا الله عن هذا فلن يعاقب أحدا.

يوضح الرسول بولس هنا أنه لم يكن أهلا للعفو، لكنه حصل عليه لأجل خلاص الآخرين، فهو يريد أن يقول لهم فلا يشك إذا أحد فى خلاصه مادمت أنا قد خلصت. أنظروا إلى تواضع هذا الطوباوى، لم يقل: "لم يظهر الله فى أناته"، "بل كل أناته" كأنه يقول إن الله لم يجد خاطئا بهذه الدرجة محتاجا إلى كل عفوه وكل أناته وليس لجزء منها مثله هو "حتى أكون مثالاً للعتيدين أن يؤمنوا به للحياة الأبدية" أى لتعزيتهم وتشجيعهم. وبعد أن قال عن الأبن هذه العبارة الكبيرة والمعبرة عن حسناته غير المحدودة التى أظهرها له، وحتى لايفترض أحد أنه يسلب الآب مجده الذى يستحقه، أشار إليه قائلا: "وملك الدهور الذى لايفنى ولايرى الإله الحكيم وحده له الكرامة والمجد إلى دهر الدهور آمين" (١٧:١) ويقول الرسول: من أجل كل هذه الحسنات نحن نمجد ليس فقط الإبن ولكن الآب أيضا.

إسمعوا مايثيره الهراطقة من مناقشات: لقد قال عن الآب أنه الإله الوحيد، إذن فالابن ليس إلها؛ وقال إنه الخالد الوحيد؛ إذن فالأبن ليس خالد - عجبا! كيف الذى وهبنا الخلود بعد هذه الحياة لايملكه هو؟ نعم سيقول الهرطوقى، هو إله وخالد، ولكن ليس كالآب - ماذا تقصدون بذلك؟ - هل هو من جوهر أقل من الاب، وهكذا فإنه أقل خلودا؟ ماذا هل هناك خلود أقل وخلود أكثر، هل الخلود شئ آخر سوى عدم الموت ؟ يمكن أن يكون المجد أكبر أو أقل، ولكن لايمكن أن يقال هذا عن الخلود. الكائن إما أن يموت أولا يموت. وقد يردّون هل نحن مثل الله؟ كلا بالتأكيد؛ وفكره مثل هذه بعيدة عنا تماماً - وكيف تعقلونها ؟ هو خالد بطبيعته وقد اكتسبنا نحن منه هذا الخلود. ولكن هل خلودنا المكتسب هذا هو مثل خلود الإبن؟ طبعا لا، لأن الإبن هو أيضا خالد بطبيعته - وكيف توضحون ذلك ؟ أن الآب لم يولد من شخص آخر وأن الإبن ولد من أبيه. قد اتفقنا؛ نحن لاننكر أن الابن ولد خالداً من الآب. نحن نمجد الآب بولادته هذا الابن. ألا تعلمون أنه كلما سمت عظمة الإبن يتمجد الآب بالأكثر ؟ لأن مجد الابن منسوب إلى مجد الآب، والابن مساوى للآب فى الجوهر فهو قوى بذاته، مكتفى بذاته، ويمتلك القدرة. "الذى به عمل العالمين" (عب ١:١، ٢) هذا الكلام قيل عن ملك الدهور، وعن إبنه. والملاحظ عندنا فى عالمنا هذا، أن هناك صناعة وهناك امتلاكاً، وهما أمران مختلفان تماما؛ فواحد يتعب ويضنى نفسه ليفعل شيئا والآخر يمتلك هذا الشئ ويتمتع به. لماذا؟ لأن الذى يعمل هو الأدنى. أما فى السموات، فالأمر ليس كذلك، فليس هناك أدنى وأعلى. ولذا فإن عبارة "الذى به عمل العالمين" لاتنزع قوة الخلق من الآب، كما أن عبارة "الآب ملك الدهور" لاتنزع سلطة الإبن، لأن الآب والابن كلاهما مشتركان فى الأمرين معا؛ فالآب مبدع العالم وموحده لأنه ولد الابن صانع الخليقة، والابن ملك لأنه سيد المخلوقات. فهو ليس عامل أجير مثل عمالنا. ليست آلة سلبية مثلهم؛ ولكنه يتصرف من واقع حكمه

الذاتى وحبه للبشر. وهل رأى أحد الأبن؟ لايمكن أن يجرؤ أحد على قول ذلك [1] ومع ذلك يقول الرسول: "وملك الدهور الذى لايفنى ولايرى الإله الحكيم وحده" وأكثر من ذلك يقول الكتاب: "وليس بأحد غيره الخلاص لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطى بين الناس به ينبغى أن نخلص" (أع ٤:١٢).

٣- كيف نستطيع أن نمجد الله :-

ويواصل الرسول قائلا "له الكرامة والمجد إلى دهر الدهور آمين" الكرامة والمجد لايتحققان بالكلام، والله نفسه لم يكرمنا بالكلام؟ بل بالأعمال المنفذه؛ فيجب علينا نحن أيضا أن نكرمه بأعمالنا. الكرامة التى يقدمها لنا تؤثر فينا أما التى نردها له فلا تجديه بشئ؛ لأنه ليس فى حاجة إلى مايأتى منا؛ بينما نحن المحتاجون لنعمه. فإننا إذ نرد إليه مجدا، نفعل هذا لرفعتنا نحن، كمن يفتح عينيه ليرى نور الشمس، فإنه يعمل عملا نافعا لنفسه، وأنه بإعجابه. بجمالها لا يعطيها قط أى نعمة أو يكسبها ضوء أكثر، وستظل الشمس باقية كما هى فى موقعها، وبالمثل بل أكثر من ذلك فيما يتعلق بالله، فالذى يبجل الله ويقدم له الكرامة يخلص نفسه ويحصل على أعظم الخيرات. كيف ذلك، لأنه يتبع طريق الفضيلة والله يمجده. يقول الوحى الإلهى: "الذين يمجدوننى سوف أمجدهم" كيف يقول إذن أننا نمجده مادام لاينعم بالكرامة التى نقدمها له. آه ! بالمثل عندما يقول أنه جوعان وعطشان فإنه يخص نفسه بما للبشرية، حتى يجذبنا إليه.

"فلنمجد الله ونعظمه فى أجسادنا وفى أرواحنا" (١كو ٦: ٢٠) كيف يتسنى للإنسان أن يمجد الله فى جسده؟ وكيف فى روحه؟ والروح هنا تعنى النفس بالمقابلة مع الجسد. ولكن كيف يمجدا الإنسان الله فى

---

(١) فيما عدا التجسد.

جسده؟ وكيف يفعل ذلك فى نفسه؟ يمجده فى جسده برفضه للدنس، والسكر، والجشع، والزينة الباطلة، ولايهتم بالجسد إلا فى الحدود اللازمة للصحة يمجده الذى لايرتكب الزنا، وتلك التى لا تتعطر ولاتزين وجهها بالمساحيق، وترضى بما شكله الله لها، دون إضافة أى شئ مبتكر. قولى لى: لماذا تضيفين من نفسك أشياء إلى عمل الله الذى أكمله ؟ فأنت لم تشكلى نفسك. أنت تفعلين ذلك كى تجذبى إليك الكثير من العشاق، وبتصرفك هذا أنت تهينين الله - ستقولين وما العمل ؟ أنا لا أريد ذلك، إنه زوجى هو الذى يجبرنى عليه - كلاً، هذا لايحدث إلا للائى يردن إثارة الشهوة. الله جعلك جميلة لكى يكون موضع الإعجاب فى عمله، وليس ليهان، فلا تردى على هباته بمثل هذا الفعل ولكن بسلوك متواضع ومنضبط. الله جعلك على جانب من الجمال لكى تنمى استحقاقك للوقار. إسمعى مايقول الكتاب عن يوسف: "وكان يوسف حسن الصورة وحسن المنظر" (تك ٦:٣٩) ماذا يهمنا من جماله؟ الوحى قال ذلك لكى نعجب بجماله وعفافه معا. الله جعلك جميلة ! لماذا إذن تشوهين نفسك؟ ان اللائى يتغطين بطبقة من المساحيق يشبهن الرجل الذى يلون تمثالا من ذهب باللون الأحمر. فهى ليست سوى طينا أحمر أو أبيض تضيفينه على نفسك.

قد يقال، لكن القبيحات لهن حق فى التصرف هكذا. - لماذا قولوا لى هل لكى يخفين قباحتهن ؟ إنه جهد ضائع. متى كانت الطبيعة مغلوبة بالحيل؟ هل أصابك حزن من القباحة لأنها مرفوضة؟ إسمعى هذه الكلمة من رجل حكيم: "لاتبتعد قط عن إنسان بسبب مظهره، ولاتمدح انسانا لأجل جماله" (يشوع بن سيراخ ٢:١١) ليكن إعجابكم بالله الفنان الكبير، ولا تعجبوا بإنسان ليس هو الصانع لجماله. ماهى مزايا الجمال ؟ لاشئ، بل على العكس مشاكل أكبر، وسوء ظن، ومخاطر وشكوك أكثر. تلك المرأة غير الجميلة لم تكن يوما محل شك، والأخرى إن لم تتوخ التحفظ

التام فى تصرفاتها فسرعان ماتسوء سمعتها. ويصل الأمر بها إلى أن يشك زوجها حتى فى صديقتها. أى شقاء أكثر من هذا ؟ لن يجد لذة فى رؤيتها بقدر الآلام من شكوكه. اللذة تضعف على مر الأيام، إن عدم الإكتراث والتسيب يعتبر وقاحة وتصبح معه النفس غير سامية ومليئة بالكبرياء، والجمال على الأخص هو الذى يجلب هذه المصائب؛ وبدونه لن توجد كل هذه المضايقات، وبدونه لن نرى الكلاب تسب الحمل، ولكنه سيرعى فى سلام تام، دون أن يقلقه الذئب ويهاجمه، ويستطيع الراعى البقاء جالسا بجانبه. والعجيب هو ليس أن تكون الواحدة جميلة والأخرى على العكس، وإنما أن تكون المرأة ذات أخلاق سيئة دون أن تكون جميلة، وأن تكون المرأة الجميلة فاضلة.

قولوا لى ماهى خاصية العيون ؟ هل أن تكون تجيد الحركة، مستديرة، ومن اللون الأرزق الجميل، أو أن تكون مضيئة وثاقبة ؟ بالتأكيد أهم ما فيها أن تكون ثاقبة. والأنف ماهى خاصيته؟ هل أن يكون مستقيما وأملس من الجهتين، ومتناسق تماما؟ أم أن يكون معد جيدا للشم. والأسنان متى تقول عنها أنها جيدة وقوية؟ هل عندما تكون حادة وتمضغ الطعام بسهولة، أو عندما تكون مرتبه بانتظام؟ واضح أن الأولى هى الأفضل. وبالمثل ينطبق هذا على كل الجسم إذا تأملناه بالتدقيق، سنجد أن الذين يتمتعون بصحة جيدة هم من يؤدى كل عضو من أعضائهم وظيفته بدقة تامة. وأيضا ينطبق هذا على أية آلة أو حيوان أو نبات لايحكم عليها بناء على شكلها أو لونها ولكن طبقا لكفاءة استعمالها. وكذا أيضا نقول أن الخادم الجيد هو الذى يقوم بعمله على أكمل وجه وليس الشاب اللطيف الخامل.

هل رأيتم الآن ماهو الجمال؟ عندما نستمع كلنا وبنفس الطريقة بالمزايا الكبيرة والفاخرة، لانكون قد حرمنا من أى شئ. سأوضح ذلك: كلنا نرى بنفس الطريقة العالم، الشمس، القمر، النجوم، ونستنشق الهواء،

وكلنا لنا نصيب فى الماء والغذاء، سواء كنا على جانب من الجمال أو قبحاء. وربما اللائى لايحملن الجمال يتمتعن بصحة أجود ويستمتعن أكثر بهذه الهبات. فى الواقع أن السيدات الجميلات يتخذن الحيطة من أختلاف الفصول لايعرضن أنفسهن للتعب، ويولعن بالفراغ، ويعشن فى الظل ومن هنا كانت قدراتهن الطبيعية ضعيفة. وعلى العكس فإن السيدات الأخريات يتخلصن من هذه الهموم ويستخدمن ببساطة وسعة هذه القدرات.

إذن "لنمجد الله ونحمله فى أجسادنا، فلا نتزين لأنه اهتمام تافه وغير نافع. لاتعلمن أزواجكن أن لايحبوا سوى شهوة العيون، لأنهم إذا شاهدوكن مزينات لا يرغبون سوى فى النظر إلى وجوهكن، ويتروكون أنفسهم تحت تأثير الإغراء، ولكن علمنهم أن يحبوا أخلاقكن، وتواضعكن، فسوف لايخونكن بسهولة، فأنهم لن يجدوا هذه الصفات لدى إمرأة دون حياء بل على العكس سيجدون الرزائل لاتعلمنهم أن يستسلموا لابتسامة، لأنوثة ظاهرية، خشية أن يعدوا السموم ضدكن، علمنهم أن يعجبوا بالتواضع وسوف تفزن بإعجابهم إذا كان فعلا طابعكن التواضع، ولكن إذا كنتن متعاليات متهتكات، كيف يمكنكن أن تُخاطبن بلغة جديرة بالإحترام، ومن لايضحك عليكن ويسخر منكن؟ ومامعنى أن يحمل الإنسان الله فى نفسه ؟ بممارسته للفضيلة، بتزيين نفسه، فهذه الزينة غير ممنوعة. نحن نمجد الله بفضائلنا، وبذلك نمجد أنفسنا أيضا ليس كالذين يتزينون، بل بطريقة مخالفة تماما؛ لأن الرسول يقول: "فإنى أحسب أن آلام الزمان الحاضر لاتقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا" (رو ٨:١٨) المجد الذى أتمناه أن يكون لجميعنا نصيبا فى يسوع المسيح إلهنا مخلصنا، له مع الآب والروح القدس، المجد والقوة والكرامة الآن وكل آوان وإلى دهر الدهور آمين.

+ + + + +



الموعظة الخامسة

هذه الوصية أيها الإبن تيموثيئوس أستودعك إياها حسب النبوات التى سبقت عليك لكى تحارب فيها المحاربة الحسنة ولك إيمان وضمير صالح الذى إذا رفضه قوم إنكسرت بهم السفينة من جهة الإيمان أيضا. (١تى:١٨، ١٩، ٢٠).

التحليل

١- من هم الذين يجب إختيارهم للأسقفية - ماتعنيه هنا كلمة النبوة - الإيمان والضمير الصالح يدعمان بعضهما البعض - الحياة الرديئة نتيجتها غرق الإيمان.

٢- الرسل بأنفسهم كانوا يعاقبون الساقطين ويسلمون للشيطان من يريدون إصلاحهم. وهكذا كان الشيطان خادمهم، وهذه علامة ساطعة للنعمة التى كانت تعمل فيهم، كانت الكنيسة مميزة بالروح القدس كما كانت السحابة تميز معسكر العبرانيين.

٣- ضد الذين يقتربون من سر التناول دون استحقاق أو يقتربون مرة واحدة فى العام.

١- من هم الذين يجب إختيارهم للأسقفية :-

عظمة التعليم والكهنوت كبيرة وعجيبة، وحقا يلزم معها التوسل إلى الله، لإيجاد الشخص الجدير بممارستها. وهكذا كان الوضع قديما؛ ولا زال حتى الآن عندما نجرى هذا الإختيار بعيدا عن الأهواء البشرية، ودون إعتبار لأى شئ دينوى، كالصداقة والبغضة. ولو أن معونة الروح لنا ليست بالقدر الذى كان يمنح للرسل، إلا أن الإرادة الحسنة كافية، حتى يتم اختيار الله، لأن الرسل لم يكونوا قد حصلوا بعد على الروح القدس

عندما اختاروا متياس، ولكنهم إعتمدوا على الصلاة وضموه إلى عداد الرسل، دون إعتبار لأى باعث بشرى. وهذا هو مايجب أن يتم بيننا. ولكن نظرا لسوء إرادتنا فهل حتى الأسس اليقينية، وعندما نهمل ماهو واضح، كيف يكشف لنا عما هو خفى؟ يقول الوحى الإلهى: "فإن لم تكونوا أمناء فى القليل، فمن يأتمنكم على الكثير والحق" (لو ١٦: ١٠، ١١) إذا ليس هنا تدخل لأى عامل بشرى.

ماتعنيه كلمة النبوة :-

الكهنة كانوا يختارون بموهبة النبوة. مامعنى هذا؟ أى كانوا يختارون بالروح القدس. والنبوة ليس عملها الجوهرى فقط هو إعلان المستقبل، بل تتناول الحاضر أيضا، فشاول تعين بالنبوة، بينما كان مختبئا؛ لأن الله يكشف سره للصالحين. كما كانت توجد نبوة أيضا فى هذه الكلمات: "إفرزوا لى برنابا وشاول (أع ١٣: ٢) وهكذا اختير تيموثيئوس نفسه. وبولس يتكلم هنا عن عدة نبوات وربما تتضمن النبوة التى اختار بها تيموثيئوس عندما ختنه وعينه. إذا كتب هو نفسه لتيموثيئوس قائلا: "لاتهمل الموهبة التى فيك المعطاة لك بالنبوة مع وضع أيدى المشيخة" (١تيمو ٤: ١٤) مشجعا هكذا حماسه؛ ويعده للصيام والسهر، ويذكره بالذى اختاره وانتخبه، كما لو قال له : إن الله هو الذى عينك، ووضع ثقته فيك، وليس التأييد البشرى هو الذى وضعك فى هذا الموقع فلا تخجل ولا تهين تأييد الله.

وماذا يقول له بعد هذه الكلمة المرعبة ؟ "هذه الوصية أيها الأبن تيموثيئوس أستودعك إياها" يعطيه توجيهاته كما لابن حقيقى، وليس كسلطة جائرة أو قوة حاكمة، ولكن يقول له: "أيها الأبن تيموثيئوس" يشير إلى أنه يودع فى حفظه الدقيق جدا وديعة لانستحقها إذا أننا غير لائقين

لها وإنما نعمة الله هى التى أعطتها لنا: وهى الإيمان والضمير الصالح. وما أعطاه لنا فلنحافظ عليه. لأنه إن لم يكن قد جاء، فما كان الإيمان نفسه قد وجد، ولا وجدت الحياة الطاهرة التى نتبعها بتعاليمه. كما لو كان قد قال: لست أنا الذى يعطى الوصية ولا أنا الذى أخترتك. يعنى بقوله هذا، النبوات المقولة عن تيموثيئوس" إسمعها وكن مطيعا لها. وبماذا أمره؟ "بأن يحارب فيها المحاربة الحسنة" إتماما لهذه النبوات. إذا أنه توجد محاربات رديئة قال عنها "لأنه كما قدمتم أعضاءكم عبيد للنجاسة والإثم" (رو ٦:١٩) فهؤلاء يخدمون تحت حكم طاغية، أما أنت فتحت حكم ملك. ولماذا يلقب هذا العمل بالقتال ؟ لأن الحرب المخيفة تشن هجومها على الجميع، وعلى الأخص على الملتزم بتعليم الآخرين، لأننا فى حاجة إلى أسلحة قوية، للصوم والسهر، السهر المستمر، لأنه يجب أن نستعد للدم والقتال والظهور على مسرح المعركة دون ذرة من الجبن. ويقول الرسول "أن تحارب فيها" لأنه كما فى الجيوش لايستخدم الكل نفس الأسلحة، بل أنواعا مختلفة، هكذا فى الكنيسة، فواحد يقوم بدور المعلم، والآخر تلميذ، وآخر مؤمن بسيط، أما أنت فاخدم كما قلت لك.

الإيمان والضمير الصالح :-

وحتى لا يعتقد تيموثيئوس، أن ماقاله بولس كان كافيا، يضيف الرسول بعد ذلك "ولك إيمان وضمير صالح" لأن الذى يعلم يلزمه أن يعلم نفسه أولا. وكالقائد الأعلى إن لم يكن أولا جنديا بارعا، لن يكون أبدا قائدا حقيقيا. هكذا الذى يعلم. وفى مكان آخر يقول نفس المعنى: "حتى بعدما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسى مرفوضا" (اكو ٦:٢٧) ويقول: "لك إيمان وضمير صالح" حتى يصبح بذلك أفضل من كل الآخرين. ولعل هذه الكلمات تعلمنا ألا نحتقر تحذيرات الذين هم أعلى منا عندما يطلب

منا التعليم. لأنه إذا كان تيموثيئوس الذى لايدانيه أحد منا يتقبل التحذيرات والتعاليم رغم أنه مكلف بالتعليم، فكم بالحرى يجب علينا أن نتقبل ذلك.

الحياة الشريرة الرديئة :-

"الذى إذ رفضه قوم إنكسرت بهم السفينة من جهة الإيمان أيضا" لاشك فى ذلك لأن الذى يبتعد عن الحياة المسيحية يشكل لنفسه عقيدة تماثل عاداته، ومن هنا يمكن أن نرى كثيرين قد وقعوا فى هوة من الشرور وضلوا حتى وصلوا إلى عبادة الأوثان. وحتى لاينزعجوا من الخوف من الحياة المقبلة، فهم يحاولون إقناع أنفسهم بأن كل شئ بيننا كاذب. وكثيرون يحيدون عن الإيمان محاولين إخضاع كل شئ لتفكيرهم. من هنا يحدث الغرق. بينما الإيمان شبيه بسفينة لاتفنى والذين يبتعدون عنها يغرقون بالضرورة.

٢- الرسل كانوا يعاقبون الساقطين بأنفسهم :-

والرسول يوضح ذلك بمثل ويقول : الذين منهم هيمنايس والإسكندر" وهكذا يعلمنا الحذر. ألا تلاحظون أنه منذ ذلك الوقت وجد المعلمون الكذبة؛ أناس أشرار يرفضون الإيمان ويريدون أن ينفردوا بالبحث بأنفسهم؟ فكما أن الذى يغرق يتجرد من كل شئ، هكذا فإن الذى يفقد الإيمان يفقد كل شئ، السند، الميناء، الملجأ، ولايجد نوعا من الحياة بقدر أن يجنى منه بعض الفوائد، لأنه إن كانت الرأس معلولة فما فائدة باقى الجسد؟ إذا كان الإيمان بدون الأخلاق لافائدة له، فكم بالحرى تكون الأخلاق بدون الإيمان؟ فإذا فقد الإنسان الإيمان لايقدر أن يتعلق بأى شئ، بل يطفو هنا وهناك حتى يبتلع فى النهاية. يقول الرسول: "اللذان

اسلمتهما للشيطان لكى يؤدبا حتى لايجدفا" إذا تفسير الأمور الإلهية طبقا للتفكير البشرى يعتبر تجديفا. ولاشك فى ذلك لأنه أية شركة بين التفكير البشرى والأمور الإلهية؟ وكيف يعلمهما الشيطان ألا يجدفا؟ وهو لازال هو نفسه مجدفاً ؟ أليس بالأحرى أن يعلم نفسه قبل أن يعلم الآخرين؟

الرسول لم يقل حتى يعلمهما الشيطان عدم التجديف، بل قال: "لكى يؤدبا" لأن الشيطان ليس من عمله التعليم، التعليم يتم عن طريق التأديب. وهكذا يقول الرسول فى موضع آخر عن الزاني: " أن يسلم مثل هذا للشيطان" لهلاك الجسد لكى تخلص الروح" (١كو ٥:٥) فالشيطان ليس هو الفاعل. وكيف يتم ذلك ؟ كما أن الجلادين وهم أنفسهم بائسون ولكنهم يكونون سببا فى إصلاح الغير، هكذا يكون الأمر بالنسبة للشيطان.

ولماذا لم تعاقبهما بنفسك كما عاقبت بار يشوع وكما عاقب بطرس حنانيا، بل أسلمتهما للشيطان؟ لكى يتعلما وهذا أفضل من عقابهما. مع أن بولس لديه السلطة إذ قال يوما "ماذا تريدون أبعصا آتى إليكم" (١كو ٤:٢١) وأيضا "ليس لكى نظهر نحن مزكين بل لكى تصنعوا أنتم حسنا" وأيضا "للبنيان لا للهدم" (٢كو ١٣: ٧، ١٠) لماذا يستدعى الشيطان للعقوبة ؟ لأنه مع قوة وشدة العقاب يكون الإذلال أكبر وأقسى، أو بالأحرى لأن الرسل كانوا يعلمون بأنفسهم غير المؤمنين، ويسلمون للشيطان الذين أرتدوا عن الإنجيل. كيف يكون الأمر كذلك، ونحن نعلم أن القديس بطرس عاقب بنفسه حنانيا ؟ لأنه لم يكن قد دخل بعد فى الإيمان فكذب على الروح القدس. حتى يتعلم غير المؤمنين أنهم لايمكنهم الإستمرار فى جهلهم لذلك عاقبهم الرسل بأنفسهم، أما المتعلمين الذين ضلوا فقد أسلموهم للشيطان، لكى يظهروا لهم أنه ليست فضيلتهم الخاصة هى التى

تحفظهم من الشيطان، بل لابد من صون الرسل لهم للحفاظ عليهم. وأن الذين كانوا يتمسكون بكبرياء أحمق كانوا يسلمون للشيطان. وهكذا كان الوضع مع الملوك إذ كانوا يضربون أعداءهم الأجانب بأنفسهم ويسلمون من يستحق العقاب من رعاياهم للجلادين.

يشير بولس هنا إلى أن الأمور كانت تسير هكذا بفضل عناية الرسل. فضلا عن ذلك أن تكليفه للشيطان لايعنى ضعف سلطته، بل على العكس يظهر خضوع الشيطان للرسل، إذ صار مسخرا ومتنازلا رغما عنه. علامة واضحة جدا يظهر فيها بجلاء مدى النعمة التى كان يتمتع بها الرسل. وكيف أسلموه للشيطان ؟ إسمعوا ماذا يقول: "باسم ربنا يسوع إذ أنتم وروحى مجتمعون مع قوة ربنا يسوع المسيح أن يسلم هذا للشيطان" (١ كو ٥: ٤، ٥) وكان قد طرد من اجتماع المؤمنين، وفصل عن القطيع، هُجر سُلم للذئب. كما كانت السحابة ترشد عن معسكر العبرانيين كذلك الروح القدس كان يرشد عن الكنيسة. إذن فإذا استبعد أحد منها، حُكم عليه بالفناء واستبعاده كان يحكم الرسل. هكذا أسلم السيد المسيح يهوذا إلى الشيطان، إذ بمجرد أن أخذ اللقمة دخله الشيطان (يو١٣: ٢٦، ٢٧) أيوب سُلم إلى الشيطان ولكن ليس بسبب أخطائه بل لزيادة مجده.

٣- ضد اللذين يقتربون من سر التناول دون استحقاق :-

نجد الكثير من الأحداث المماثلة تحدث حتى فى أيامنا هذه. لأنه إذا كان الكهنة لايعرفون كل الخطاة، فكل الذين يشتركون فى الأسرار المقدسة دون استحقاق، فإن الله يسلمهم بنفسه للشيطان. عندما تنتابنا الأمراض والآلام والكوارث المختلفة، يكون هذا هو السبب. وهذا ماوضحه بولس بقوله : "من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى وكثيرون يرقدون" (١ كو ١١: ٣٠). وقد يقال كيف ذلك ونحن لانقترب من المائدة

المقدسة سوى مرة واحدة في العام؟ هذا هو الشئ المخيف الذى لايدل على طهارة الضمير، بل أن الفترة الزمنية التى تنقضى هى التى تحدد مدى لياقتكم لهذا العمل أنكم تعتقدون أن الحذر هو عدم تكرار التقرب، متجاهلين أن التناول بدون استحقاق حتى لو كان لمرة واحدة قد يجعلكم ملوثين، في حين أن التناول بإستحقاق حتى لو كان متكرراً سوف يخلصكم. ليس التهور في دوام التقرب، بل التهور في أن نفعل ذلك دون استحقاق، ولو مرة واحدة في الحياة، إذا كنا لهذه الدرجة عديمى الإحساس وتعساء، لأننا بإرتكابنا آلاف الخطايا على مدار السنة، لا نكترث بتطهير أنفسنا منها، معتقدين أنه يكفينا ألا نقترف سفاهات مستمرة، وألا ندوس بقدمينا بإستمرار جسد المسيح، ولانفكر في أن الذين صلبوا المسيح لم يصلبوه سوى مرة واحدة؛ ولكن هل وطأة الخطية أقل لأنها أرتكبت مرة واحدة ؟ يهوذا لم يخن سوى مرة واحدة، فهل هذا كان مبرراً لخلاصه ؟

لماذا تحددون أوقاتا معينة تقتصرون عليها ؟ فليكن لكم وقت التناول وقتاً لتطهير ضمائركم. أن السر الذى يتم في الفصح لايمتاز عن الذى نتممه الآن، فهو نفس السر الوحيد، إنه دائما عيد الفصح وأنتم أيها المشتركون في السر تعلمون ذلك: سواء أن يتم يوم الجمعة أو يوم السبت، أو الأحد أو يوم عيد الشهداء، فهى دائما نفس الذبيحة التى تقدم "فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب" (١كو ١١:٢٦) الرسول لايحدد وقت الذبيحة. وقد يقال لماذا تسمونه الفصح؟ ذلك لأنه في هذا الوقت المسيح تألم من أجلنا، وبذل ذاته عنا.

لانهتم بمناسبات معينة، فإن أثر الذبيحة هو هو، نفس الآستحقاق، نفس النعمة، نفس الجسد، فإن هذا القربان ليس أكثر قداسة، وذاك اقل

كرامة. أنتم أنفسكم تعرفون ذلك، لأنكم لاترون شيئاً جديداً سوى هذه الأبسطة الأرضية، وهذا الجمهور المزين. وأن مايميز هذه الأيام عن الأيام الأخرى، هى أنها أصبحت مبدأ ليوم خلاصنا، حيث قدم فيه المسيح ذبيحة، أما الأسرار فهى هى نفسها ولاتتميز عن الأخرى. قولوا لى، كيف تغسلون فمكم لتأكلوا طعاماً مادياً، ولاتغسلون نفوسكم عندما تقتربون من المائدة المقدسة، وتبقون مشحونين بالنجاسة ؟ وقد تقولون ألا تكفى الأربعون يوما صياما لتطهيرنا من قذارة خطايانا العديدة ؟ وقولوا لى ماذا يفيد تنظيف المكان الذى سوف يعطر بعطر وافر، إذا كان بعد لحظة من نثر هذا العطر يوضع فيه سماد ؟ ألا تختفى هذه الرائحة الذكية ؟ وهذا هو ما يحدث لنا. فقد جعلنا أنفسنا طبقا لقدراتنا جديرين بالإفخارستيا فى وقت التقدم إليها، ثم نعود ونتلوث من جديد. ونقول هذا عن الذين يستطيعون أن يتطهروا فعلا أثناء الصوم الكبير. أتوسل إليكم ألا نهمل خلاصنا، ويقول الكتاب : الإنسان الذى يبتعد عن خطية ثم يعود إليها "كالكلب الذى يعود لقيئه" ليت جهدى لا يكون بلا فائدة. لأننا بذلك نستطيع أن نحاسب ونحن مستحقون لهذه المكافآت التى أتمنى أن نحصل عليها كلنا فى المسيح يسوع ربنا مع الآب والروح القدس له المجد والقوة، والعزة الآن وكل آوان وإلى دهر الدهور آمين.

+ + + + +

الموعظة السادسة

"فـأطلب أول كل شئ أن تقـام طلبـات وصلوات وابتـهالات وتشكرات لأجل جميع الناس، لأجل الملوك وجميع الذين فى منصب لكى نقضى حياة مطمئنة هادئة فى كل تقوى ووقار لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا الله الذى يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون (٢: ١-٤).

التحليل

١- واجب الكاهن الصلاة لأجل الأرض كلها - الإنسان المسيحى يجب أن يكون ذا روح عـاليـة بحـيث لا يمكن لأى شئ أرضى أن يبلغـه ويجرحه.

٢- ألا يلعن أعداءه ولا يرفع صلوات ضدهم.

٣- ألا يكتفى بسماع الوعظ بل أيضا يطبقه.

١- واجب الكاهن الصلاة لأجل الكل :-

الكاهن على الأرض هو أب عـام. لذا يجب عليـه أن يهتم بالجمـيع إقتداء بالله الكاهن الأعظم. لأجل ذلك يقول الرسول: "أطلب أول كل شئ أن تقـام طلبـات وصلوات" لأنه ينتج عنـها منفـعتـين: تلاشى العـداوة التى تضـمـرها للغـرباء عن إيمـاننا، لأنه فى الواقع لايسـتطيع أحـد أن يكن كراهية نحو الذى يصلى من أجله؛ وهم أنفسهم سيصبحون أفضل بفعل الصلوات التى تقـام من أجلهم، ويكفون عن غضبهم منا، فليس هناك شئ يجذب البشر أكثر من المحبة المتبادلة. فكروا فيما كان يجب أن يشعر به أناس كانوا يتأمرون ضدنا وكانوا يسلموننا للسخرية، للنفي، للموت، عند علمهم أن الذين قاسوا هذه المعاملة الوحشية منهم، كانوا يقدمون صلوات مسـتمرة من أجل مـضطهديهم. ترون كيف أن الرسول يريد أن يرتفع

الإنسان المسيحى فوق مستوى الكل. كما أن طفلا صغيرا دون وعى يلطم أباه الذى يحمله، وحنان الأب لايتأثر تجاه أبنه، هكذا لو ضُربنا من الوثنيين يجب أن لا نفقد شيئا من حسن معاملتنا لهم.

"أطلب أول كل شئ" :-

وماذا تعنى هذه الكلمات "أول كل شئ" إنها تعنى أن الذين يمارسون العبادة اليومية التى توجه إلى الله، يعرفون كيف ترفع هذه الصلاة يوميا مساء وصباحا، كيف ترفع ابتهالاتنا عن العالم أجمع لأجل الملوك وكل الذين ارتقوا فى الرفعة والوقار. وربما يقال أنه بهذه الكلمات "لأجل جميع الناس" أن الرسول لايعنى الجنس البشرى كله إنما المؤمنون فقط. وكيف يقول إذا "من أجل الملوك" مع أنه كان لايوجد ملوك مسيحيون، بل كانوا على زمن طويل ملحدين على التوالى. وحتى يتجرد كلامه من المداهنه قال أولا : "لأجل جميع الناس" ثم بعد ذلك "لأجل الملوك" لأنه إذا تكلم عن الملوك فقط كان يمكن أن يؤدى ذلك إلى هذا الشك. ثم أنه لما كان من المحتمل أن تصدم نفس الإنسان المسيحى، ولاتتقبل نصيحة الصلاة من أجل وثنى أثناء الإحتفال بالأسرار، انظروا إلى مايضيفه الرسول، والمزايا التى يشير إليها حتى تقبل نصيحته. يقول: "لكى نقضى حياة مطمئنة هادئة" أى أن سلام هؤلاء هو أمان لنا. أيضا فى رسالته إلى رومية، يحثهم على طاعة الحكام والدافع إليها "ليس للضرورة فقط بل بدافع الضمير أيضا" (رو ١٣:٥) لأن الله أوجد السلطات للفائدة العامة. إنهم يمضون إلى الحروب، ويقيمون جيوشا، لكى نعيش نحن فى أمن، فكيف لانقدم الصلوات من أجلهم، وهم يعرضون أنفسهم للمخاطر وأتعاب الحروب ؟ هذا ليس تملقا على الإطلاق ولكنه حق. لأنهم إن لم يكونوا محفوظين من المخاطر، ومنتصرين فى الحروب، سنكون تحت وطأة القلق والتهديد، وإذا قتلوا بواسطة العدو، سنضطر إلى أن نسير نحن بأنفسنا

فى المعركة، أو نهرب ونتشتت هم بالنسبة لنا مثل الأسوار التى تحفظ سكان المدينة فى سلام "أن تقام صلوات وابتهالات وتشكرات" يلزمنا أن نشكر الله حتى من أجل خيرات الآخرين، لأن الله يشرق شمسه على الأشرار والصالحين، ويمطر على الأبرار والظالمين. ألا ترون أنه ليس فقط بالصلاة يجمعنا كما لو كنا فى جسد واحد، بل أيضا بالتشكرات ؟ لأن الذى يلتزم بأن يشكر الله من أجل سعادة الغير، ملزم أيضا بمحبة هذا الغير والعمل على ارضاءه. وإذا كنا ملتزمين بالشكر لله لأجل خير الآخرين فكم بالحرى بالنسبة للخير الذى يقدمه لنا، حتى على مايظهر بالنسبة لنا أنه مكدر؛ لأن الله يعد كل شئ لخيرنا .

٢- لايلعن اعداءه ولايرفع صلوات ضدهم :-

لتكن صلاتنا صلاة للشكر. وإذا كنا أمرنا بأن نصلى لأجل الآخرين، فلايكون ذلك للمؤمنين فقط بل لغير المؤمنين أيضا، تذكروا أنه من الإجرام أن ننطق بلعنات ضد أخوتنا. بماذا ستيجبون؟ هل ستقولون إن الرسول أمركم أن تصلوا من أجل أعدائكم وتلعنوا أخاكم، كلاً لم يقل هو ذلك، بل أنتم الذين تلعنون ولذلك تثيرون الله بهذه الألفاظ البعيدة عن روح التقوى مثل: اجعله يارب يشعر بهذا، إفعل معه ذاك، إضربه، انتقم منه يارب لأجلى. هذه الألفاظ سهلة وحلوة للبعيدين عن تلاميذ المسيح، وبعيدة عن الفم المستحق للأسرار. هذا الفم الذى أصبح جديرا بحمل الجسد الإلهى لايخرج لفظا مراً أو قاسيا، بل يُحفظ طاهراً بعيدا عن اللعنات. لأنه إذا كان النمامون لايرثون ملكوت السموات، فكم بالحرى الذين يلعنون. الذى يلعن هو بالضرورة مجرم لأنه أهان غيره. صلوا الواحد من أجل الآخر دون أن تلعنوا؛ اللعنة والصلاة أمران متضادان، وبينهما هوة عميقة. كيف تطلبون الرحمة من الله وتلعنون الآخرين؛ إن لم تغفروا فلا يغفر لكم، وأنتم لاتكتفون بعدم الغفران بل تطلبون من الله أن لايغفر لهم.

هل تفهمون معنى هذا الإفراط فى الحقد؟ إذا كان لايغفر للذى لايغفر فكيف يكون الأمر بالنسبة للذى يتوسل إلى رب الكل ألا يؤجل الدين؟ أنتم بذلك لاتضرون عدوكم، بل تضرون أنفسكم. لأنه حتى لو كان مزمعا أن يقبل طلباتكم من أجل نواتكم، فسيرفضها لأنكم تطلبون بفم غاش، غير طاهر، ملئ بالنتن والنجاسة يلزمكم أن ترتعدوا من خطاياكم، وتبذلوا الجهود لنوال العفو، بدلا من أن تأتوا إلى الله لتثيروه ضد أخيكم. ألا تخافون؟ ألا تقلقون على أنفسكم؟ ألا ترون إلى أى نهاية تصلون؟ كيف تتوسل إلى الله، وتطلب منه أن يعامل أخاك بشدة، بهذا أنت تسئ إلى حالتك، ولاتسمح لله أن يغفر لك خطاياك، ويقول : كيف تطلب منى أن أحاسب الذين أخطأوا ضدك حسابا قاسياً، ثم تطلب منى بعد ذلك أن أغفر لك إهانتك لى؟ ليتنا ندرب أنفسنا على أن نكون مسيحيين بالحق فإذا كنا لا نعرف كيف نصلي وهذا شيء حلو وسهل جدا، فكيف نعرف الباقى، لنتعلم كيف نصلى كمسيحيين. هذه الصلوات لاتتفق مع المسيحية بل مع اليهودية. لأن صلوات المسيحيين على العكس تماما، فهى تتضمن طلب الصفح، والرحمة لمن أساءوا إلينا. "نحن نُشتم فنبارك نُضطهد فنحتمل، يُفترى علينا فنعظ" (١كو ٤: ١٢، ١٣).

إسمعوا مايقوله استفانوس "يارب لاتقم لهم هذهِ الخطية" (أع ٧: ٦٠) فهو لم يكتف بعدم قذف جلاديه باللعنات، بل صلى من أجلهم، وأنتم لاتكتفون بعدم الصلاة من أجل أعدائكم، بل تلعنوهم – بقدر ماكان استفانوس جديراً بالإعجاب، بنفس القدر أنت بائس. قولوا لى بمن نُعجب؟ هل بالذين صلى استفانوس من أجلهم أم بأستفانوس نفسه؟ لاشك أننا نعجب به هو. فإذا كان هذا هو تفكيرنا فكم يكون بالنسبة لله. أتريد أن يعاقب عدوك صلّ من أجله، ولكن ليس بهذا الفكر، ولا لكى تبلغ

هذا الغرض. هذا الغرض سيتم ولكن أنت لاتصلى بهذا الهدف. مع أن هذا القديس قد قاس الاضطهاد ظلما فقد كان يصلى من أجل جلاديه ولم يلعنهم بينما نحن كثيرا مانعانى من قبل أعدائنا آلاما نحن نستحقها، ومع ذلك ليس فقط لاتصلى من أجلهم؛ بل على العكس فإننا نلعنهم، أية عقوبة لانستحقها ؟ قد يظهر لكم أنكم تجرحون عدوكم، وفي الحقيقة أنتم تصوبون السلاح ضد أنفسكم؛ إذ أنكم لاتعطون فرصة للقاضى أن يكون رحيما قبل خطاياكم وذلك بإثارته ضد خطايا الآخرين: "لأنكم بالدينونة التى بها تدينون تدانون وبالكيل الذى به تكيلون يكال لكم" (مت ٧:٢) لنكن رحماء حتى ننال الرحمة من عند الرب.

٣- لايكتفى بسماع الوعظ فقط بل بتطبيقه :-

أرجو ألا تكتفوا بسماع الوعظ بل تكونوا أمناء فى تطبيقه هذا الكلام سوف لايترك لديكم سوى تذكار فقط، وقريبا هو نفسه ينمحي، فعدنما تتصرفون إذا قابلكم أحد من الذين لم يحضروا معنا ويسألكم فيما ذكرناه، فإن البعض لن يعرف ماذا يقول، والبعض الآخر سيعرفون فقط موضع العظه، ويقولون أن الواعظ قال : إنه لايجب أن نشعر بالضغينة؛ بل على العكس يجب أن تصلى من أجل أعدائنا، ويضيفون أنهم لن يحاولوا التكملة لأنهم لا يجيدون التذكر، وآخرون يتذكرون بعض الأجزاء الصغيرة جدا. لذلك أدعوكم، إذا لم تلتقطوا أية فائدة من حديثى هذا، لاتربطوا أنفسكم بى لتسمعونى. لأنه ماذا سيعود عليكم سوى حكم أكثر صرامة، وعقوبة أشد قسوة، إذا مازلتم فى نفس الحالة بعد كل هذه التنبيهات؟ الله أعطانا صيغة للصلاة حتى لانطلب شيئاً أرضياً وبشرياً. أنتم مؤمنون وتعرفون ماتتضمنه الصلاة العامة المشتركة. قد تقولون هذه الصلاة لم تلزمنا بالصلاة لغير المؤمنين ذلك لأنكم لا تعرفون قوة هذه

الصلاة وعمقها والكنز الذى تحتويه، فإذا عشنا فيها سنكتشف كل ذلك. عندما نقول: "لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض" هنا نجد المعنى مختفيا فى هذه العبارة "وكيف يكون ذلك" لأنه فى السماء لايوجد سوى المؤمنون فقط فليس هناك مراوغ أو غير مؤمن. فإذا كان الأمر يقتصر على المؤمنين فقط، لتجرد هذا النص من كل معنى، لأنه إذا كان يجب على المؤمنين فقط تنفيذ مشيئة الله وأن يخالفها غير المؤمنين، فإنها لن تنفذ كما فى السماء. وماذا أيضا؟ فى السماء لايوجد فاسدون، فليت لايكون على الأرض فاسدين أيضا، إجذبهم كلهم ياإلهى لمخافتك، وأجعل أن يكون جميع البشر ملائكة حتى لو كانوا أعدائنا وأعداء المملكة.

ألا تلاحظون كم يجدف على الله يوميا؟ كم يهان من غير المؤمنين ومن المسيحيين، بالكلام والأفعال؟ فهل بسبب ذلك أطفأ نور الشمس، حجب القمر، حطم السماء، قلب الأرض، جفف البحر محى ينابيع المياه، أربك الأهوية ؟ كلاً، بل على العكس أشرق الشمس، أسقط المطر، أنتج الفاكهة، يطعم سنويا المجدفين والحمقى والمجرمين والمضطهدين، ليس فقط لمدة يوم أو يومين أو ثلاثة أيام، ولكن مدى الحياة. إقتدوا به بقدر ماتتيح لكم الطاقة البشرية. أنتم لاتقدرون أن تشرقوا الشمس؟ فلا تقولوا شيئاً رديئاً على أعدائكم. أنتم لاتقدرون أن تعطوهم مطراً ؟ فلا تسيئوا إليهم. أنتم لا تقدرون على مدهم بالغذاء ؟ لاتسبوهم فى حالة السكر. من جانبكم هذه الحسنات كافية، أقول لكم: إذا كان الله يظهر إحساناته للأعداء بالأعمال، إظهروها، أنتم على الأقل بالأقوال : صلِّ من أجل عدوك، وبذلك تشبه أباك الذى فى السموات تكلمنا فى هذا الموضوع ألف مرة، ولم نتوقف عنه، ليحقق بعضا من التقدم فقط. نحن لانتكاسل ولانكل عن الكلام، ولن نيأس قط، كل مانرجوه ألا تنفروا منا، إذا أن نفوركم

يظهر عندما لاتتجاوبون مع حديثنا، لأن الذى ينسجم منه يشتاق لسماعه مرة أخرى، لايجد فى أى موضوع مضايقة، بل يثنى عليه. النفور يأتى ممن لايريدون تطبيق ما يسمعونه، وهكذا يصبح الواعظ مسئولا.

قولوا لى، إذا سمع رجل محسن موعظة عن الصدقة، فإنه ليس فقط لا يتردد عن الحضور، بل يعجب بما سمع كما لو كان الواعظ يتحدث عن أعماله الصالحه. هكذا نحن أيضا بما أننا لا نحمل فضيلة الصبر، ولانطبقها على الإطلاق، ننفر نفورا شديدا من الحديث عنها؛ فلو كانت أعمالنا مطابقة لها لكنا نعجب بها. فإذا كنتم لاتريدون أن نكون فى موضع المسئولية ومبغضين، تجاوبوا مع رأينا، أظهروه فى أعمالكم، لأننا لم نكف عن الكلام فى هذا الموضوع حتى تهتدون. نعم نحن نعمل هذا من أجلكم بحماس وشفقة؛ وأيضا نعمله خشية الضياع الذى يهددنا. البوق لابد أن يبوق، فإذا مابوق ولم يتصد أحد للعدو، فهنا يكون البوق قد أكمل واجبه نعمل هذا ليس لكى نثقل العقوبة عليكم، بل لكى نخلي مسئوليتنا. ثم إن محبتنا لكم تنشطنا، أحشاؤنا تمزقت، لما لهذه الخطايا من أثر فينا. إن مانلتمسه منكم ليس طلباً، ولامصروفاً، ولاطريقاً طويلاً ولاتضحية بالثراء، لايلزم سوى الرغبة، سوى كلمة واحدة، عمل إرادى.

لنحفظ فمنا، لنضع باباً ومزلاجاً عليه، حتى لاننطق بما لايرضى الله. إنه ربح لنا وليس ربحاً للذين نصلى من أجلهم. لنتذكر أن الذى يبارك عدوه يبارك نفسه، والذى يلعنه يلعن نفسه. بهذا نستطيع التقدم والحصول على الوعود الحسنة التى أتمناها للجميع بنعمة وصلاح ربنا يسوع المسيح له مع الآب والروح القدس، المجد والكرامة الآن وكل آوان وإلى دهر الدهور آمين.

+ + + + +



الموعظة السابعة

لكى نقضى حياة مطمئنة هادئة فى كل تقوى ووقار. لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا الله الذى يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون. (٢:٢ـ٤:٧)

التحليل

١ـ يوجد ثلاثة أنواع من الحروب، تلك التى يشنها علينا الأجانب، والتى تنشأ بين المواطنين الواحد ضد الآخر، وتلك التى نشنها على أنفسنا. وهذه هى أسوأ الأنواع الثلاثة.

٢ـ لايوجد سوى إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس هو يسوع المسيح.

٣ـ الحث على الصدقة ـ عدم الثراء.

١ـ ثلاثة أنواع من الحروب:-

إذا كان الرسول يريد أن حرب الشعوب، والمعارك والاضطرابات تهدأ، وإذا كان لهذا الباعث يحث الكاهن على إقامة الصلوات من أجل الملوك والأمراء، فمن باب أولى يجب أن يقوم بهذه الصلاة المؤمنون البسطاء. فى الواقع قد توجد ثلاثة أنواع من الحروب الوحشية المؤلمة؛ الأولى عندما يحارب جنودنا جيوش البربر المعتدين، الثانية قتالنا ضد بعضنا البعض فى أوقات السلام، الثالثة والأخيره عندما يحارب كل منا ذاته، وهذه أكثر الحروب قسوة وحزنا.

حرب البرابرة لاتضيرنا كثيرا؛ ماذا يحدثون بكم؟ يذبحون، يقتلون؛ ولكن لايضرون النفس، والثانية مثلها، لن تضرنا قط؛ هذا إذا أردنا، فمتى هاجمنا الآخرون، يمكننا أن نتقبل هجومهم فى سلام؛ إسمعوا مايقوله

النبى: "بدل محبتى يخاصموننى أما أنا فصلاة" (مز: ٤:١٠٩)، وأيضا يقول : "أنا سلام وحينما أتكلم فهم للحرب" (مز ٧:١٢٠).

أما بالنسبة للثالثة فلا يمكن الهروب منها فى الخطر لأنه عندما يكون الجسد فى نضال مع النفس، وينجح فى إيقاظ الشهوات، وتسليح اللذات، وإثارة الميل للغضب أو الحسد، يصبح الأمر وقتئذ من الاستحالة الحصول معه على الوعود الحسنة بل أن الذى لا يعمل على إيقاف هذا الاضطراب، لابد أن يسقط وتصيبه الجروح، وهذه الحرب تولد موت جهنم. يلزمنا إذا أن نعيش يوميا فى اهتمام ويقظة، حتى لا تولد هذه الحرب فينا، أو إذا ولدت لاتتمادى، بل تهدأ وتخمد. لأنه أية فائدة ستحققونها وتحصلون عليها إذا ماتمتعت المسكونة بسلام عميق؛ وأنتم فى حرب مع أنفسكم ؟ إن السلام مع أنفسنا هو الذى يهمنا الحصول عليه؛ فاذا امتلكناه لاشئ من الخارج يستطيع أن يؤذينا. أما سلام الدولة فإنه من الأمور التى تساعدنا على حصولنا على سلامنا الخاص. لهذا يقول النص: "لكى نقضى حياة مطمئنة هادئة".

"فى كل تقوى" :-

ويقول : "فى كل تقوى" لكى لايظن أنه يقصد الإيمان فقط، بل السلوك أيضا، الذى تكمن فيه التقوى. ماذا يربح الذين هم أتقياء فى الإيمان، ولكنهم عديمو التقوى فى سلوكهم. وحتى لا يكون هناك شك فى إمكانية توافر عدم التقوى مع الإيمان، إسمعوا ما يقوله الطوباوى: "يعترفون بأنهم يعرفون الله ولكنهم بالأعمال ينكرونه" (تى ١٦:١). وأيضا "فقد انكر الإيمان وهو شر من غير المؤمن" (١ تى ٨:٥) وفى مكان آخر "إن كان أحد مدعو أخا زانيا أو طماعا أو عابد وثن" (١كو ١١:٥) فهذا وثن لايكرم الله.

الكتاب المقدس يقول أيضا: " من يبغض أخاه فهو إلى الآن فى الظلمة" (١يو ٢:٩) أترون كم يوجد من أنواع عدم التقوى. لهذا يقول الرسول: "بكل تقوى ووقار" لأنه ليس الوقح فقط هو الذى ينقصه الوقار؛ بل الإنسان الشره والإنسان الذى بلا زمام يستحقان نفس اللوم، يوجد هنا ولع لايقل عن الشهوة. والذى لايقمعه هو إنسان بلا زمام، هكذا يسمى الذى لا يلجم رغباته. سأعطى أيضا هذا اللقب للرجل الغضوب، للحسود، للبخيل، للخائن، لكل الذين يعيشون فى الخطية، جميعهم بلا وقار ولا اعتدال.

الصلاة من أجل جميع الناس :-

فهذا هو الحلو المفضل فى نظر الله مخلصنا" ماهو؟ هو أن نصلى من أجل الجميع، هذا مايقبله الله ويريده، لأنه "يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون".

اقتدوا بالله : فبما أنه يريد أن الجميع يخلصون، يلزمكم أن تصلوا من أجل الجميع، فإذا كان الله يتمنى أن الجميع يخلصون، لتكن لكم أنتم أيضا نفس الأمنية، إعتبروها من الموضوعات التى تتطلب صلواتكم. ألا تلاحظون كيف أن الرسول يحاول بكل وسيلة أن يحثنا على الصلاة حتى من أجل الوثنيين ؟ ويرينا الفوائد العظيمة التى نحصل عليها منها بقوله: "لكى نقضى حياة مطمئنة هادئه" ويرينا أيضا أن الباعث الرئيسى لها، وهو أن الله يسر بذلك، ويريد أن نتشبه به، بأن تكون لنا نفس الرغبة التى له. وهذا يكفى أن يُخجل حتى الحيوان المفترس.

لا تخشوا أن تصلوا للوثنيين، الله نفسه يريد ذلك، أما الذى لايريده، ويجب أن تخشوه، هو أن تلعنوهم. وإذا كانت الصلاة لازمة من أجل الوثنيين، فبديهى أنه يجب الصلاة أيضا من أجل الهراطقة، إذ يجب أن

نصلى من أجل كل البشر، ولا نضطهدهم. أجل، إنه أمر جميل أن نصلى من أجلهم. أليسوا هم من طبيعتنا ؟ الله يمدح ويبجل العطف والمحبة المتبادلتين بيننا . وقد يقال، إذا كان الله له هذه الإرادة فما هى حاجته لصلواتنا ؟ إنه من المفيد جدا للوثنيين والهراطقة أن نصلى من أجلهم، إذا بالصلاة نجذبهم لمحبتنا، وتمنعكم أنتم من حدة الطبع؛ كل هذا ملائم لجذبهم للإيمان. لأن كثيرين ابتعدوا عن الله بسبب بغضهم للبشر. وهذا هو السلام الذى يتكلم عنه الرسول، عندما يقول: "الله يريد أن الجميع يخلصون" هنا السلام الحقيقى، والباقى كله لاشئ ولايحمل سوى إسم السلام. "وإلى معرفة الحق يقبلون" الحق هو الإيمان به. وفى الواقع فإن الرسول فى البداية قد نبه تيموثيئوس أن يحث الناس على ألا يعلموا تعليما آخر، حتى لا يتواجد بينهم أعداء، ولايدعوا الأمر إلى مصارعات ضدهم.

٢ـ لايوجد سوى إله واحد ووسيط واحد :-

ويضيف "يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس" وقال: "وإلى معرفة الحق يقبلون" مشيرا بذلك إلى أن المسكونة لم تقتن الحق. ثم "يوجد إله واحد" وليس عدة آلهة كما يعتقد الوثنيون. ولكى يظهر أن الله يريد أن الجميع يخلصون، يضيف أنه أرسل أبنه كوسيط. كيف ذلك أليس الابن هو الله؟ نعم بالتأكيد: لماذا إذا يقول الرسول: "يوجد إله واحد؟ لأنه كان يقصد فى معرض حديثه التمييز بين المسيحية وعبادة الأوثان التى تقول بتعدد الآلهة، إذا كان يتكلم هنا عن الحق والضلال. ولكن الوسيط يلزمه أن يكون مشاركا للذين يقوم بالوساطة بينهما .

فإذا إلتصق بأحدهما وانفصل عن الآخر لا يصح أن يكون وسيطا . فإذا لم يشارك فى طبيعة الآب لايكون وسيطا بل منفصلاً. كما أنه

يشترك فى الطبيعة البشرية لأنه جاء بين البشر. فبما أنه وسيط بين طبيعتين، لا يمكن أن يكون معزولا عن أى منهما. وكما أن الوسيط بين طرفين يكون جاراً للإثنين، هذا يجب أن يكون بالنسبة للذى له صلة بين طبيعتين. وكونه صار إنسانا فلم يصبح أقل من الله. ولو كان إنساناً فقط ماكان يصح أن يكون وسيطا، لأنه لابد أن يتعامل مع الله نفسه. ولو كان إلها فقط ما كان يمكنه ذلك أيضا لأن الذين كان يعمل وسيطا لهم ما كانوا يقبلونه.

ولذلك يقول الرسول فى موضع آخر: "ولكن لنا إله واحد الآب... ورب واحد يسوع المسيح" (١ كو ٨:٦) وهكذا فى هذه الفقرة يقول: إله واحد ووسيط واحد. فهو لايقول "اثنين" لأنه فى هذا الجزء كان يتكلم عن تعدد الآلهة ولم يرد أن ينخدع أحد بكلمة "أثنين" لافتراض وجود الهين؛ وقال: "واحد" ثم أيضا "واحد". أترون دقة التعبير التى توجد فى الكتاب المقدس! واحد وواحد هما اثنان، ولكننا لانلفظ بهذه الكلمة رغم ان العقل يدعونا لذلك. هنا لانقول واحد وواحد اثنين. أنت تقول ما لا يوعز به العقل لك. إن كان قد ولد فإنه تألم. ويقول: "لأنه لا يوجد سوى إله واحد، ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح الذى بذل نفسه لأجل الجميع (١ تى ٢:٥، ٦) وماذا؟ هل لأجل الوثنيين أيضا؟ هو المسيح وقد مات من أجلهم ومن أجلكم، وأنتم ترفضون الصلاة من أجلهم! قد تقولون وكيف لم يؤمنوا إذا ؟ لأنهم رفضوه، ولكن ماكان عليه أن يعمله فقد عمله: "والشهادة" التى يتكلم عنها الرسول هى آلامه. لأنه جاء ليقدم الشهادة عن حقيقة الآب وذبح . بحيث أنه لم يشهد الآب له فقط بل هو أيضا قد شهد للآب. ويقول: "أنا أتيت بإسم أبى" (يو ٥:٤٣) وفى موضع آخر "الله لم يره أحد قط الإبن الوحيد الذى هو فى حضن الآب هو خبر" (يو ١:١٨)

وأيضا "أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك" (يو ١٧: ٣) وكذلك "الله روح" (يو ٤: ٢٤) إذا قدم الشهادة حتى الموت "فى أوقاتها الخاصة" أى فى الوقت المناسب. "التى جعلت أنا لها كارزا ورسولا (الحق أقول فى المسيح ولا أكذب) معلما للأمم فى الإيمان والحق" فإذا كان المخلص تألم لأجل الأمم، وأنا خصصت لأكون معلما لهم فلماذا أنتم لاتصلون لأجل الوثنيين؟ أنتم ترون أن النعمة تمتد، اليهود لم يقيموا صلوات لهدف كهذا؛ ولكن الآن النعمة قد امتدت. "معلما للأمم فى الإيمان والحق". - "الذى بذل نفسه كفدية" كيف سلم بمعرفة أبيه؟ لأن صلاحه أراد ذلك. وماهى هذه الفدية؟ كان لابد أن يعاقب هؤلاء الناس، كان لابد أن يهلكوا، لكن نيابة عنهم أسلم أبنه الحبيب حتى ينتشر الصليب.

كان هذا كافيا لجذب البشرية بأكلمها، لمعرفة محبة المسيح وحسناته غير المحدودة والتى لايمكن التعبير عنها. فقد قدم نفسه ذبيحة لأجل اعدائه، لأجل الذين أبغضوه وابتعدوا عنه. ما لا يعمله إنسان لأجل أصدقائه، وأولاده، وإخوته، عمله السيد لأجل عبيده، وهو سيد ليس من نوعهم؛ لكنه إله من أجل بشر ولأجل بشر مجرمين. ونحن موضوع هذه المحبة، نظهركما لو أننا نرفضها ولا نحب المسيح. هو قدم نفسه ذبيحة من أجلنا، ونحن ننظر إليه بعين مشتتة محرومة من الغذاء، هو مريض، وينقصه ملابس ونحن لانبالى به. أى غضب، أية عقوبة، أية جهنم لايستحقها سلوك كهذا ؟

لقد تنازل وخص نفسه بآلام البشر، وقال: أنا جوعان، أنا عطشان، ألم يكن هذا كافيا لجذبنا كلنا؟ ولكن طغيان الثراء أو بالأحرى استعبادنا الإرادى للضلال، يقلل من إمساكنا لزمام سلطتنا، نحن جبناء، منحلون، أرضيون، شهوانيون، وحمقى. لأنه ليس الثراء هو الذى يملك القوة. قولوا

لى ما هى إمكانياته ؟ إنه أبكم وفاقد الحياة. إذا كان الشيطان بروحه الشريره لايستطيع عمل أى شئ معنا رغم كل دهائه، فأية قوة يملكها الثراء ؟ إذا شاهدتم النقود فلا تنسوا أنها من القصدير؛ فكروا فى حقيقتها إنها من الأرض وتشكل جزءا منها هل هذا التفكير لايؤثر فيكم؟ فكروا فى أننا نحن أيضا سوف نموت، وأن كثيرين ممن امتلكوه لم يستفيدوا منه شيئا؛ وعددا كبيرا من الذين تفاخروا به أصبحوا رماداً وترابا، ويقاسون اليوم أشد العقاب، كم من الناس استراحوا على أسرة من العاج هم الآن أكثر بؤسا من الذين كانوا يستخدمون الأوانى الفخارية والزجاجية، أكثر تجردا من الذين كانوا يعيشون فى الوحل. ولكن هل هو يبهج النظر ؟ يوجد كثير من الأشياء التى تعطى بهجةً أكثر منه. الزهور، الهواء النقى، السماء، الشمس، كل هذا يبهج أكثر جدا. الفضة تصدأ ويبدو عليها السواد الذى يظهر فى المنشفة التى تنظف بها. لا يظهر شئ من هذا فى الشمس، فى السماء، وفى النجوم. الزهور لها منظر أكثر متعة من لون الفضة. إذا فليس بريقها هو الذى يسحركم، إنما هو الطمع والظلم وهذا هو الذى يفتن النفس وليس الفضة نفسها.

٣ـ الحث على الصدقه ـ عدم الثراء :-

اطردوا الطمع من نفوسكم وسوف ترون أن مايبدو لكم أنه جدير بالتقدير أحقر من الوحل. أطردوا الشهوة : إن المرضى بالحمى عندما يشاهدون المياه ولو الموحلة يرغبون فى الإرتواء منها، كما لو كانت من المنبع؛ أما الأصحاء فلا يشربون سوى على فترات. إبعدوا المرض، وسوف يَرون كل شئ على حقيقته. إطفئوا النار التى تحرقكم وسوف ترون أن كل هذا أقل قيمة من الزهور. الذهب جميل؛ أجل؛ فى حالة إذا ما تصدقنا به فى مواساة البؤساء، وليس فى الإستعمال الباطل، أو فى

دفنه فى صندوق أو فى الأرض، أو لكى يعــرض على الأيادى والأرجل والرأس.

وإذا كان قد اكتشف، فليس لتقييد صورة الله، ولكن لتحرير الأسرى هذا هو الاستعمال الحق. أيتها النساء أنتن تفضلنه على كل شئ لجذب الأنظار إليكن، الأمر الذى يجب أن تخجل منه المرأة. وكبرهان على هذا الكلام، حملوها بالسلاسل الذهب وأبعثوها فى صحراء، حيث لاتجد شخصا واحداً ينظر إليها: بعد قليل هذا الرباط سيكون بالنسبة لها ثقيلا وغير محتمل. لنخشى يا أحبائى سماع هذه العبارات المخيفة: "إربطوا رجليه ويديه" (مت ٢٢:١٣) لماذا تربطن أنفسكن هكذا بقيود هذا العالم؟ السجين غير مكبل اليدين والرجلين.

أما أنتن فلا تكتفين فقط بتقييد أياديكن وأرجلكن بهذه السلاسل بل تُحزِّمْن رؤوسكن أيضا بها، وكذلك رقابكن. سأغفل الهموم التى تنتج : الخوف، الآلام، الشجار مع أزواجكن حينما تطالبنهم بها، ومايصيبكن منهم، إذا فقدتن واحدة من هذه السلاسل. هل هنا السعادة ؟ هل لكى تنلن إعجاب عيون الآخرين تتحملن إراديا الأربطة، الهموم، المخاطر، الأحزان، المشاحنات كل يوم. أليس هذا التصرف جديرا باللوم والإستهجان ؟ أناشدكن، لاتتعلقن بهذه الأمور، ولتتخلصن من كل رباط أثيم. لنكسر الخبز للجائع، لنكمل كل الأعمال التى تعطينا تأميناً أمام الله. حتى نحصل على الخيرات الموعودة فى المسيح يسوع ربنا، مع الآب والروح القدس، له المجد والقوة والكرامة الآن وكل آوان وإلى دهر الدهور آمين.

+ + + + +

الموعظة الثامنة

"فأريد أن يصلى الرجال فى كل مكان، رافعين أيادى طاهرة، بدون غضب ولاجدال، وكذلك النساء، يزين ذواتهن، بلباس الحشمة، مع ورع وتعقل، ولابضفائر أو ذهب، أو لآلئ، أو ملابس كثيرة الثمن، بل كما يليق لنساء متعاهدات بتقوى الله بأعمال صالحة". (٢:٨ـ١٠)

التحليل

١ـ يمكن الصلاة فى كل مكان طبقا لشريعة النعمة، بخلاف ما كان فى عهد موسى ـ ضد ترف النساء.

٢ـ ٣ـ ضد العذارى اللائى يلبسن بإتقان وتمعن تام.

١ـ يمكن الصلاة فى كل مكان طبقا لشريعة النعمة :ـ

يقول السيد المسيح : "متى صليت فلا تكن كالمرائين. فإنهم يحبون أن يصلوا قائمين فى المجامع وفى زوايا الشوارع لكى يظهروا للناس الحق أقول لكم أنهم قد أستوفوا أجرهم" "وأما أنت فمتى صليت فأدخل إلى مخدعك وأغلق بابك وصلى إلى أبيك الذى فى الخفاء فأبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك علانية" (مت ٦:٥، ٦) فلماذا اذا يقول بولس : "أريد أن يصلى الرجال فى كل مكان رافعين أيادى طاهرة بدون غضب ولاجدال"؟ ألا يوجد تعارض بين النصين؟ حاشا لله؛ بل بالأحرى هما متطابقان تماما. كيف؟ يجب أولا تفسير ماتعنيه هذه الكلمات: "فادخل إلى مخدعك" وبماذا يأمر الرسول، هل تجب الصلاة فى كل مكان، أم لا يجب الصلاة فى الكنيسة، ولا فى أى مكان فى المنزل سوى هذا المخدع؟ ماذا يعنى هذا النص؟ المسيح يعلمنا هنا أن نتجنب حب الظهور، لايحتم علينا أن نصلى فى مكان خفى، بل نؤدى صلواتنا دون تفاخر. مثلما يقول: "لاتعرف شمالك ماتفعل يمينك" (مت ٦:٣) هو لايتكلم عن أيادينا بل

يقصد قمة التواضع؛ وبالمثل يعلمنا هنا نفس الشئ بلغة مجازية. فهو لم يحدد مكانا معينا للصلاة، ولكنه علمنا شيئاً واحداً: أن نتجنب التفاخر. ويقول ذلك للتمييز بين صلاة المسيحيين واليهود. ويتضح ذلك فى قوله: "فى كل مكان رافعين أيادى طاهرة" الأمر الذى كان غير مسموح به لليهود. لأنه كان غير مسموح لهم أن يمثلوا أمام الله، ليقدموا ذبائح ويتمموا شعائر العبادة، سوى فى مكان واحد لابديل له ، يهرع إليه الناس من كل جهات الأرض لتتميم الشرائع المقدسة فى الهيكل.

بولس يعطينا نصيحة مخالفة تماما، ويحررنا من هذا الإلتزام. لأن شريعتنا ليست مثل شريعة اليهود. مثلما يأمرنا بأن نصلى من أجل الجميع، بما أن المسيح قد مات من أجل الجميع، والرسول يكرز للجميع، ولذلك فإنه من المستحسن الصلاة فى كل مكان. فمن الآن فصاعدا ليست العبرة بالمكان، ولكن فى الطريقة التى نصلى بها، فهو يقول: صلوا فى كل مكان، إرفعوا أيادى طاهرة، هذا هو المطلوب منكم.

ماهو المقصود بالأيادى الطاهرة ؟ أيادى نقية، وماهى الأيادى النقية؟ الأيادى النقية ليست هى المغسولة بالماء، بل النقية من البخل، من السلب، من القتل، من العنف. "بدون غضب ولاجدال" ماذا تعنى هذه العبارة؟ من يغضب أثناء الصلاة ؟ يريد الرسول أن يقول بدون حقد، أى أن تكون أفكار المصلى نقية، خالية من كل شهوة، ألا يتقدم أحد أمام الله ويحمل فى قلبه كراهية، بنفس حزينة، ومجادلا مع نفسه.

ماذا تعنى هذه الكلمات الأخيرة؟ لنستمع إليه: يجب ألا نشك أنه سيستجيب لنا. "كل ماتطلبونه فى الصلاة مؤمنين" يقول الرب: "تنالونه" (مت ٢١:٢٢) وفى مكان آخر "ومتى وقفتم تصلون فأغفروا إن كان لكم على أحد شئ لكى يغفر لكم أيضا (مز ١١:٢٥) هذا هو معنى الصلاة بلا جدال. ستقولون كيف أستطيع أن أصدق أننى سوف أحصل على طلبى؟

أجل سوف تحصل عليه إذا كان لايتعارض مع إرادة الله، ولايكون غير لائق بملكه، غير دنيوى، بل يقتصر على الأمور الروحية، وأن تتقدموا دون غضب، وبأيادى نقية طاهرة. الأيادى الطاهرة هى التى تمارس أعمال الرحمة. إذا تقدمتم هكذا أمام الله، فسوف تحصلون على طلباتكم، يقول الرب: "فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون ان تعطوا أولادكم عطايا جيده فكم بالحرى أبوكم الذى فى السموات" (مت ٧:١١) الجدال الذى يتكلم عنه الرسول هو الشك.

٢، ٣ـ ضد المتبتلات اللائى يلبسن بإتقان وتمعن تام :-

٢ـ يضيف الرسول قائلا: "كذلك النساء" هنا الرسول يوصى النساء بنفس ما أوصى به الرجال، أن يحفظن أياديهن طاهرة، ولا يخضعن لرغباتهن؛ كالجشع الذى يدفعهن إلى السلب. وماذا عن النساء اللائى لايسلبن بأنفسهن، بل يدفعن أزواجهن إلى ذلك؟ لأجل هذا يضيف الرسول إلى الوصية العامة السابقة وصية أخرى خاصة بالنساء تحفظهن فى حياة التقوى والوقار وتجنبهن وتجنب أزواجهن فى نفس الوقت الخضوع للجشع واللجوء إلى السلب.

إذ أوصاهن قائلا: "يزين ذواتهن بلباس الحشمه مع ورع وتعقل لا بضفائر أو ذهب أو لآلئ أو ملابس كثيرة الثمن بل كما يليق بنساء متعاهدات بتقوى الله بأعمال صالحه" ماهى الزينة التى يقصدها الرسول؟ الزينة الوقورة المعتدلة بلا إفراط، وبذلك يطبقن الوصية. ماهذا! أتأتين للصلاة لله بالحلى والضفائر؟ هل أنت ذاهبة لترقصى؟ هل أنت ذاهبة إلى عرس أو عيد عالمى حيث مكان الحلى والضفائر والثياب الفاخرة، هنا ليس لها أى احتياج. أنت أتيت لتتوسلى، لتطلبى العفو عن خطاياك، الرحمة من أجل ذنوبك، لكى تستعطفى الرب بصلواتك، لماذا

تتزينين ؟ ليس هذا هو المظهر الذى يليق بالتوسل. كيف تتنهدين وتبكين وتثابرين على الصلاة وأنت محملة بالحلى؟ وإذا بكيث سوف تضحك دموعك الذين يشاهدونك، لأن التحلى بالذهب لايتفق مع اللائى يبكين، أليس هذا مظهراً مضحكا ومشهدا مسليا أن تصدر دموع من قلب يسكنه حب الترف والزهو؟ ضعى جانبا هذه الكوميديا: لايمكن الاستهتار بالله. كل هذه الأمور لاتتناسب قط مع إمرأة محتشمة.

"مع ورع وتعقل" لاتقلدى الناس الضائعات فهن بهذه الزينة يغرين عشاقهن، هنا تتولد الشكوك الكثيرة ضد الكثيرات من السيدات ودون أية فائده، لأن هذه السمعة السيئة لاتسبب سوى الضرر للآخرين. المرأة الزانية، حتى لو كانت سمعتها حسنة، لن تفيدها هذه السمعة بشئ، إذ عندما تحاكم عما عملته فى الخفاء سيكون ذلك فى وضح النهار، وبالمثل أيضا المرأة الشريفة إذا اتهمت بالزنى بسبب العناية الزائدة التى تعطيها لمظهرها الخارجى فلا تستفيد من شرفها لأن شهرتها أضاعت بعض النفوس. سوف تقولين ماذا أستطيع أن أفعل إذا ماشكّ فىّ أحد؟ أنت التى تعطينه هذه الفرصة بزينتك ومظهرك ونظراتك. لذلك يهتم الرسول بتوجيه النظر للزينة والورع. أما الأمور الباقية التى تدل على علامات الثراء والرفاهية، كالذهب، اللآلئ، الملابس الكثيرة الثمن، حيل الأناقة، المساحيق، تلوين العيون، السير اللين، المعاطف ذات الشكل المدروس جيدا، الأحزمة المصنوعة بدقة، الأحذية المصنوعه بفن دقيق. كل هذه استبعدها الرسول مكتفيا بقوله: "ملابس بورع وتعقل" لأن كل هذه الزينات تدل على عدم الوقار وعدم الحشمة.

أرجو أن تحتملن هذا الحديث، لأن مهمة الواعظ توجيه اللوم دون تستر ودون إخفاء للحقائق، ليس لكى يجرح أو يؤلم، لكن لكى يبعد القطيع

عن كل ماهو مضاد له. وإذا كان الرسول يحرم كل هذا على النساء المتزوجات، والثريات اللائى يعشن فى الرفاهية، فكم بالحرى بالنسبة للائى كرسن حياتهن للبتولية. وقد يقال أية بتول تتزين بالحلى وتجعيد الشعر" إنهن يعنين جدا بملبسهن البسيط. بحيث تكون الزينة لاتساوى شيئا بجانبه. يمكن بملابس قليلة الثمن تكون العناية أكثر من إمرأة حاملة للحلى. لنخشى يا أحبائى أن نسمع نحن أيضا مايقوله النبى للنساء العبرانيات اللائى كن يضعن كل همهن فى زينتهن الخارجية. "وعوض المنطقة حبل وعوض الجدائل قرعة" (اش ٣:٢٤) وهكذا هذه الزينة أكثر خطورة من الحلى، وزينات أخرى كثيرة تدرس جيدا لكى تعطى جاذبية وتسبى الناظرين. وهذا ليس خطأ بسيط ولكنه سلاح قادر على إغضاب الله وإفساد العذارى.

٣ـ عريسك هو المسيح لماذا تريدين جذب عشاقا من بين الرجال؟ سوف يدينك المسيح كزانية. لماذا لا تتزينين بالزينة التى تناسبه والتى يحبها : الورع التعقل، الحشمة الملبس البسيط ؟ ملبسك هذا يليق بإمرأة متهتكة. قد وصل الأمر إلى عدَم التمييز بين قليلات الحياء والمتبتلات؛ إنظروا إلى أى حد من المساوئ وصلن. المتبتلة يجب أن تكون مجردة من الأناقة، ملابسها بسيطة بلا فن. وهذه تخترع مائة حيلة لتزيين مظهرها الخارجى. أيتها المرأة أتركى هذا الجنون، وأعطى عنايتك للزينة الداخلية لنفسك. لأن هذه الزينة الخارجية تتعارض مع الزينة الداخلية. الذى يعتنى بالخارج يهمل الداخل، كما أن الذى يهمل الخارج يصنع كل عنايته فى تزيين نفسه. لتخفن من اللوم الذى وجهه النبى لنساء إسرائيل " من أجل أن بنات صهيون يتشامخن ويمشين ممدودات الأعناق" (اش ٣:١٦). أنتن فى معركة كبيرة يلزم معها تمارين رياضية وليس العناية بالزينة، قوة الملاكم وليس حياة متأنثة. ألا تشاهدين الملاكمين الرياضيين؟ هل يهتمون

بطريقة مشيهم وزينتهم قطعا لا، هم يهملون كل ذلك يغطون أنفسهم بملابس مشربة بالزيت، لايحلمون إلا بشئ واحد: هو أن يضربوا ولايُهزموا. الشيطان هنا يُصر على أسنانه باحثا بكل وسيلة كيف يغريكن، وأنتن لاتبالين، لأنكن مشغولات بهذه الزينة الشيطانية، الأمر الذى يجعل أهل العالم يسخرون منكن.

لقد فُقد وقار البتولية. لم تعد البتولية تنال الكرامة الجديرة بها. قد عرضن أنفسهن للإحتقار أليس من المفروض أن ينظر إليهن فى كنيسة الله بعين الإعجاب والتقدير ككائنات نازلة من السماء؟ وكان يجب أن يقلدن العذارى الحكيمات. كان يجب عليكن أن تصلبن أنفسكن، عندما تراكن زوجة لها رجل وأولاد أكثر رغبة فى الزينة منها، كيف تهربن من سخريتها واحتقارها؟ كم من عناية وكم همة تبذلين! لكثرة العناية بملابسكن الرخيصة ظهرتن أكثر زينة من اللائى يحملن الحلى. أنتن لاتبحثن عما يناسبكن، أنتن تتبعن بنشاط مايبرزكن، حينما تكلفن بالقيام بأعمال حسنة. لذلك أصبحت العذارى أقل كرامة من سيدات العالم، لأن أعمالهن أصبحت لاتتفق مع بتوليتهن. نحن لانتكلم هكذا مع الجميع أو بالأحرى نخاطب الجميع: اللائى يستحققن اللوم حتى يصبحن حكيمات، والأخريات لكى يوصين إليهن بالحكمة. إعلمن أنه بعد اللوم لاتأتى العقوبة، فنحن لانتكلم بهدف إيلامكن، بل لاصلاحكن ولكى نتمجد أيضا بكن. حاولن أن تعلمن كل مايرضى الله، ولتعشن بمجده، وبهذا تحصلن على الخيرات الموعودة، بنعمة، وصلاح ربنا يسوع المسيح، مع الآب والروح القدس له المجد، والقوة، والعزة الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور أمين.

+ + + + +

الموعظة التاسعة

لتتعلم المرأة بسكوت فى كل خضوع. ولكن لست آذن للمرأة أن تعلم، ولاتتسلط على الرجل، بل تكون فى سكوت. لأن آدم جبل أولا، ثم حواء، وآدم لن يُغو، لكن المرأة أغويت فحصلت فى التعدى، ولكنها ستخلص بولادة الأولاد، إن ثبتن فى الإيمان والمحبة والقداسة، مع التعقل. (٢:١١-١٥)

التحليل

١- إستنادا إلى نص الرسول الذى يُحرم على النساء أن يتكلمن فى الكنيسة، الواعظ يلوم بشدة النساء اللواتى كن يستسلمن للحديث أثناء الخدمة الإلهية، وأثناء الموعظة فى زمنه.

٢- أهمية تربية الأولاد تربية صالحه.

١- مطالبة الرسول النساء بالورع وعدم الكلام فى الكنيسة:-

الطوباوى بولس يطالب النساء بالورع والتحفظ، ليس فقط فى المظهر والملبس ولكن حتى فى صوتهن. فيقول إن المرأة لاترفع صوتها فى الكنيسة، وهذا ما أوضحه فى رسالته الأولى إلى كورنثوس عندما قال: "لأنه قبيح بالنساء أن تتكلم فى كنيسة" (١ كو ١٤-٣٥) وأيضا يقول "بل يخضعن كما يقول الناموس أيضا ولكن إن كن يردن أن يتعلمن شيئا فليسألن رجالهن فى البيت" (١كو ١٤-٣٥) اليوم على العكس تضج الكنيسة بمحادثات النساء! لايوجد ركن إلا ويسمع فيه ضوضاء، يتحدثن أكثر مما لو كنّ فى مكان عام؛ كما لو كنّ آتين إلى الكنيسة لكى يلهين ويستسلمن لأحاديث لاجدوى منها، لايعلمن أنهن إذا لم يحافظن على الهدوء، لن يتعلمن ماهن فى حاجة إليه. وفعلا إذا حل موعد الموعظة وسط حديث قائم ولايسمع أحد للواعظ فأى نفع ينتج منها. المرأة يجب أن تكون

صامتة، كما يعلم النص، يجب ألا تتكلم فى الكنيسة، لا فى الأشياء الدنيوية، ولاحتى فى الأمور الروحية. هذا هو مجدها وورعها، هذه هى زينتها، إذا إرتدتها تعطيها زينة أكثر من الملابس وتستطيع أن تؤدى صلواتها بلياقة تامة. يقول الرسول : "لا أسمح للمرأة أن تعلم" ماهى نتائج هذه العبارة؟ بالطبع لها نتائج كبيرة. الرسول كان يتكلم عن الهدوء، عن التحفظ، عن الورع، يقول أنه لا يريد ثرثرة النساء، وإمعانا فى الوصول بهن إلى الصمت التام منعهن من التحدث حتى فى أمور التعليم الروحى محددا لهن كيف يسلكن فى سلك التلمذة إذا أردن أن يتعلمن شيئا كما ذكر انفا. وهكذا بهدوئهن سيشهدن على خضوعهن. طبيعتهن الثرثرة، لذلك هو يحاول ردعها بكل وسيلة.

يقول: "آدم جُبل أولا، ثم حواء وإن آدم لم يُغوَ لكن المرأة أغويتَ" ولكن هل هذا يختص بنساء اليوم؟ أجل الرجل يتمتع بكرامة أكبر؛ فقد جُبل أولا، وفى مكان آخر أبرز الرسول هذا التفوق بقوله: "لأن الرجل لم يخلق من أجل المرأة بل المرأة من أجل الرجل" (١ كو ١١:٩) لماذا يقول ذلك؟ لأن الرجل يجب إن يكون فى المرتبة الأولى، لهذا السبب أولا، ثم بسبب ماحدث فى الماضى. إذ أن المرأة يوم أن علّمت الرجل، قلبت كل الأمور، كانت سببا فى عصيانه، ولذلك عاقبها الله، لأنها اساءت إستعمال سلطتها، أو بالأحرى جعلت نفسها مساوية له فى الرتبة. يقول الكتاب: "هو يسود عليك" (تك ٣:١٦) عبارات لم تذكر قبل الخطية. لكن هل يمكن القول إن آدم لم يغو؛ أى أنه لم يخالف. المرأة قالت "الحية غرتنى" (تك ٣:١٣) آدم لم يقل "المرأة غرتنى" بل قال" أعطتنى من الشجرة فأكلت" (تك ٣:١٢) الجريمة ليست متشابهة، لأن الإغراء وقع على آدم من كائن من نفس الطبيعة والجنس، أما حواء فقد أغويت من حيوان، من عبد من كائن ذى طبيعة أقل منها، هنا الغواية الحقيقية. فالرسول إذا لما قال إن آدم لم يغو، قال هذا بمقارنته بالمرأة، لأنها تركت نفسها تخدع من عبد،

من كائن ذى طبيعة أقل، إنما آدم فقد خُدع من كائن حر. وليس عن آدم كتب "فرأت أن الشجرة جيدة للأكل" بل المرأة هى التى "أكلت وأعطت رجلها" (تك ٣٢:٦) أى أنه لم يتعد بسوء نية، بل مجاملة لزوجته، إن المرة الوحيدة التى علمت فيها المرأة قلبت كل شئ، لذلك يقول الرسول: "أن لا تعلم قط" ولكن ماذا ستكون النتائج بالنسبة للنساء جميعهن ؟ النتيجة خطيرة لأن طبيعتهن ضعيفة وخفيفة. فالقضية هنا تخص طبيعة المرأة لأن النص لم يقل: حواء اغويت، بل "المرأة" أى جنس المرأة بصفة عامة. ماذا إذا ! هل كل الطبيعة النسائية وقعت فى التعدى من جراء تعديها هى ؟ قال الرسول: "لم يخطئوا على شبه تعدى آدم الذى هو مثال الآتى" (رو ١٤:٥) وهكذا يفهم من هذا النص أيضا أن الطبيعة النسائية هى التى حصل منها التعدى.

لكن ألا يوجد خلاص للمرأة ؟ بالتأكيد يوجد خلاص، كيف ؟ بواسطة نسلها، لأنه أليس عن حواء قيل: "إن ثبتن فى الإيمان والمحبة والقداسة مع التعقل" أى ايمان ؟ أية محبة ؟ أية قداسة ؟ إنه كما لو كان قد قال: لاتحزنن أيتها النساء لتأنيبكن، الله أعطاكن فرصة للخلاص، بتربية أولادكن، بمعنى أن النساء فى إمكانهن أن يحصلن على الخلاص، ليس فقط بذواتهن، بل بواسطة الغير. وهنا قد يثار الكثير من الاسئلة. المرأة خدعت فوقعت فى التعدى. أية إمرأة ؟ إنها حواء. فهل إذن هى وحدها التى ستخلص بالأمومة ؟ كلاً، بل واسطة الخلاص هذه تخص كل النساء. المرأة تعدت؛ ولكن إذا كانت حواء قد أخطأت فكل جنسها سيخلص بالأمومة. قد يقال: لماذا، ألا تخلص المرأة بفضيلتها الذاتية، لأن حواء لم تغلق الطريق أمام النساء الأخريات ؟ وماهو مصير المتبتلات ؟ المرأة العاقر؟ الأرامل اللواتي فقدن أزواجهن قبل أن يصبحن أمهات ؟ هل أولئك لم ينلن الخلاص ولا أمل لهن فيه ؟ مع أن المتبتلات لهن كرامة أكبر. ماذا يعنى الرسول بذلك ؟

٢ـ أهمية تربية الأولاد تربية صالحة :-

إذا كان الرسول قد أمر كل جنس النساء بالخضوع إستنادا إلى الكيفية التى تمت بها خلقة المرأة الأولى، والتى يعبر عنها الكتاب قائلا: إن حواء جبلت الثانية، فمن الآن فصاعدا كل جنسها يجب أن يكون خاضعا؛ فهل لسبب مشابه تماما إنه يُعلم أنه مادامت حواء قد تعدت، فبالتبعية كل جنسها وقع فى التعدى ؟ هذا غير معقول، لأن خضوع المرأة بالتبعية هو ببساطة هبة من الله، أما تحّمل جنس المرأة بالتبعية للتعدى؛ فهو نتيجة خطأ المرأة. فكما يقول إن الجميع ماتوا بسبب خطية إنسان واحد، فهكذا نفس الوضع بالنسبة للمرأة. ولكن لا تحزن قط لأن الله أعطاها تعزية كبيرة بصيرورتها أما. إلا أن خلاصها ليس بإنجابها الأولاد فقط، إذ أن هذا الأمر هو من فعل الطبيعة، وإنما بالتزامها بتربية أولادها الذين منحهم الله لها تربية حسنة. "إن ثبتن في الإيمان، والمحبة والقداسة مع التعقل" - "أى أنها بعد أن أعطتهم الحياة؛ تربيهم على هذه الفضائل، وسوف تحصل على مكافأة سخية، لأنها ربت أقوياء مجاهدين للمسيح. "إن ثبتن فى الإيمان، والمحبة" إنها الحياة التى يجب أن يحيينها.

"صادقة هى الكلمة" هذه العبارة قالها الرسول ليؤكد بها ما جاء فى ختام الأصحاح الثانى بشأن خلاص المرأة بإنجاب الأولاد وحسن تربيتهم ومكافأة الله لها نظير ذلك [1] ولكن ماذا سيكون الأمر إذا كانت الأم فاسدة

---

(١) تلفت المترجمة نظر القارئ إلى أن القديس يوحنا ذهبى الفم يسند عبارة "صادقة هى الكلمة" الواردة فى مقدمة الإصحاح الثالث إلى ما أختتم به الأصحاح الثانى مصدقا بها على ماجاء بشأن تربية الأولاد. ويلاحظ أن القديس ذهبى الفم يختلف فى وجهة نظره هذه مع بعض المفسرين العصريين الذى يسندون هذه العبارة إلى ماجاء بعدها بشأن ابتغاء الأسقفية. وطبقا لرأى صاحب النيافة الأنبا بسنتى أسقف المعصرة وحلوان أن عبارة صادقة هى الكلمة قيلت بشأن ماسبق فى نهاية الأصحاح الثانى وماجاء فى الإصحاح الثالث بشأن أبتغاء الأسقفية، لأن الكلمة صادقة فى كل ماجاء به الوحى الإلهى.

ومملوءة بالرزائل ؟ هل تستفيد من تربية أولادها ؟ أليس من المحتمل أنها تربيهم على شاكلتها ؟ الرسول يتكلم هنا عن المرأة الفاضلة عندما يقول إنها ستكافأ بسخاء عما فعلت لأجل أولادها.

إصغوا إذن أيها الآباء والأمهات إن تربية أولادكم لن تكون بالنسبة لكم عملا عقيما. يقول الرسول فيما بعد : "مشهودا لها فى أعمال صالحة، إن تكن قد ربت الأولاد" ويضيف الرسول هذه الفضائل إلى الفضائل الأخرى. لأن تكريس الأولاد الذين تسلمناهم من الله لخدمته ليس بأمر بسيط. فإذا كان الوالدان يرسيان قاعدة وأساسا متينا، سوف يحصلان على مكافأة كبيرة، لأنهما لم يهملا فى تأديب أولادها، لأن عالى الكاهن هلك بسبب أولاده، إذا كان يجب عليه أن يبكتهم. هو فعل ذلك ولكن ليس بالقدر الواجب، لأنه كان لايريد أن يؤلمهم، ففقدهم وفقد هو معهم. أيها الآباء إصغوا إذن، علموا أولادكم حسبما تقتضيه أوامر وتحذيرات الرب، بعناية فائقة ويقظة. إنه من الصعب إخضاع الشباب، فهو فى حاجة إلى عديد من المراقبين والمربين، والمعلمين والحراس والحكام.

الشباب شبيه بفرس جامح؛ بحيوان متوحش. وإذا كنا أعطيناهم فى وقت مبكر، فى أوائل العمر، الموانع القوية، هذا لايعفينا عن مواصلة الجهود المستمرة، لأن العادة المكتسبة ستصبح منذ ذلك الحين فصاعدا قانونا. فلا تسمح لهم بتصرف جاف أو مؤذ، لانخدعهم كالأطفال، لنلاحظ على الأخص أن يكون الحفاظ عليهم باعتدال، لأنه بالرزيلة المضادة يفسد معظم الشباب. هنا يلزمنا الكثير من النضال والسهر، فنلزوجهم مبكرا، حتي تستقبلهم زوجاتهم وهم أطهار أتقياء هنا تكون المحبة أكثر حيوية. المتحفظ قبل الزواج يكون أكثر تحفظاً بعد الزواج، أما الذى كان يتردد على العاهرات قبل الزواج يستمر على هذه الحالة بعد الزواج. "للرجل الفاسد كل غذاء جيد" (سفر الحكمه ٢٣:٢٤). المتزوجون يحملون تيجانا، رمز النصر، لكى يبرهنوا على أنهم يقتربون من فراش الزوجية دون أن يكونوا قد هزموا، ولم يخضعوا للشهوة. ولكن الذى استسلم بجبن، لماذا يحمل التاج وهو مهزوم ؟.

لنحث أولادنا، ونبكتهم، ونرهبهم. نحن ننشغل كثيرا فيما نربحه لأجلهم، ولا نفكر قط فى أنفسهم. هل تدركون مدى هذا الهذيان، أسس أبنك، وكل ما تبقى سيعطى بفيض، بينما إذا كانت نفسه غير فاضلة، فثراؤك لن ينفعه بشئ، ولكن على العكس إذا تحلت نفسه بالفضيلة فلن يضيره الفقر. هل تريد أن تتركه ثريا بعدك ؟ علمه كيف يكون نزيها؛ بالنزاهة يمكنه أن يكوّن ثروته، وإذا لم يحقق الثراء، فلا يكون هناك موجب لحسد الأثرياء. ولكن إذا كان فاسد الخلق، وتركت له الملايين، فلن تترك رجلا جديرا بالأمانة، وسوف ينزل إلى الذين وصلوا إلى أقصى درجات التعاسة: الأولاد الذين بلا ضوابط تلجمهم، الفقر أفضل لهم من الثراء، الفقر يحمى أخلاقهم ولو رغما عنهم. الثراء الذى يريدونه لن يقودهم إلى الحكمة، بل يجذبهم، ويسقطهم، ويعجل بهم إلى هوة من الشرور.

أيتها الأمهات، قدن بعناية كبيرة بناتكن، لاحظن اللائى تعاشرنهن، علمنهن قبل كلْ شئ أن يكن حذرات، وقورات، يحتقرن الثراء، لايملن للزينة، وأعددنهن للزواج. لهذا تكن لستن حاميات فقط لهن، بل لأزواجهن، وأولادهن، بل وخلفائهن. إذا كان الجذر سليما، فالغصون تنمو جيدا، ومن الخير الذى قدم بواسطتكن سوف تحصلن على المكافأة. لنعمل دائما ليس لننقذ نفسا واحدة فقط بل نفوسا كثيرة بواسطة هذه النفس الواحدة. الفتاة عند خروجها من منزل والديها للزواج، يجب أن تكون كالرياضى المتخرج من مدرسة الألعاب الرياضية، مشكلة ومدربة، وبفضيلتها تتمكن من تشكيل كل من يحيط بها، مثل الخميرة التى تخمر العجين كله. وليكن أولادها جديرين بالإحترام بسلوكهم المستقيم والحكيم، ليكونوا موضع مدح الله والناس. يتعلمون كيف يقمعون الطمع، ويكفون عن الترف، ويكونون مقتصدين، محبين، ويتعلمون الطاعة. وبهذا يستطيعون أن يحققوا مكافأة كبيرة لوالديهم، فيسير كل شئ لمجد الله، وخلاص نفوسنا، فى المسيح يسوع ربنا، له المجد إلى أبد الأبدين آمين.

+ + + + +

الموعظة العاشرة

إن إبتغى أحد الأسقفية فيشتهى عملا صالحا، فيجب أن يكون الأسقف بلا لوم بعل إمرأة واحدة، صاحيا، عاقلاً، محتشماً، مُضيفاً للغرباء، صالحاً للتعليم، غير مُدمِن للخمر، ولا ضراب، ولا طامع بالربح القبيح بل حليما غير مخاصم، ولا محب للمال، يدبر بيته حسنا، له أولاد فى الخضوع بكل وقار. (١:٣ - ٤ حتى ٨)

التحليل

١- عن الأسقفية والصفات الضرورية للأسقف.

٢- يجب ألا يكون الأسقف حديث الإيمان أى متنصرا حديثا، ويجب أيضا أن يكون متمتعا بسمعة جيده، حتى بين الملحدين.

٣- أمثلة حسنة، لماذا لايتنصر إلا القليل من الأمم.

١- الأسقفية والصفات الضرورية للأسقف :-

قبل الدخول فى تفاصيل واجبات الأساقفة، يشرح الرسول بإيجاز مايجب أن يكون عليه الأسقف، ليس فى شكل تحذير لتيموثيئوس، بل قصد الرسول من ذلك تحديد قواعد السلوك التى يجب أن يتحلى بها جميع الرعاة عن طريق تعليمه لشخص واحد. ماذا يقول ؟ "إذا اشتهى أحد الاسقفيه" فلا يكون مخطئا فى ذلك، لأنه لم يشته السيطرة والسلطة فقط، إنما قبل أن يحمل عبء الرعاية ومسئولية الوصاية. وأنا لا ألومه على ذلك لأنه "يشتهى عملا صالحا" وبالفعل فإن موسى النبى قد اشتهى العبء وتحمل المسئولية وليست السلطة؛ إلى درجة احتمال تجريح شعبه له بقولهم: "من أقامك رئيسا وقاضيا علينا" (خر ١٤:٢) الذى يرغب فى الأسقفية بهذه الكيفية يمكنه أن يرغبها، إذ أن الأسقفية تحمل من خلال

مدلول إسمها معنى التدبير والرعاية يواصل الرسول بولس حديثه فيقول: "فيجب أن يكون الأسقف بلا لوم، بعل إمرأة واحدة" لايقصد الرسول بهذا النص أن يضع قانونا يحتم الزواج على الأسقف بل لردع الإفراط فيه؛ لأنه عند اليهود كان مسموحا بالزواج الثانى، والإبقاء على زوجتين فى نفس الوقت. "ليكن الزواج مكرما" (عب ١٣:٤).

والبعض يؤكد أن الرسول بهذا القول، يتطلب فى الأسقف أن لايكون قد تزوج بأكثر من زوجة واحدة. - "بلالوم" بأستخدام هذه العبارة، قد أفصح الرسول عن كل الفضائل. فالذى يبكته ضميره على بعض الخطايا، يكون مخطئا إذا رغب فى الأسقفية التى استبعد نفسه منها بسبب أعماله. وفى الواقع هذا يجب أن يكون محكوما وليس حاكما للآخرين. لأن الحاكم يجب أن يكون ألمع من المصباح، وحياته لاتشوبها شائبة، إذ أن الأنظار تتجه نحوه لمراقبة حياته. وليس دون تخطيط يسجل الرسول رأيه هذا، بل لكى يوجه تميوثيئؤس الذى بدوره سيقيم أساقفة، كما أعطى هذه التعليمات لتيطس لأنه أدرك أن كثيرين سيبتغون الأسقفية لذلك أوضح هذه التعليمات. ويقول "معتدلاً صاحياً" أى مليئا بالذكاء، عينه على كل مكان، ونظرته ثاقبة. لأنه توجد أسباب كثيرة تُظلم عين الذكاء، الحماس الخاطئ، والهموم، إزدحام الأعمال، وأشياء أخرى كثيرة تظهر فجأة من كل جانب. الأسقف يجب أن يكون الشخص الدائم السهر على رعيته، الشخص الذى لايقلقه فقط مايمسه، بل ما يمس الآخرين. يجب أن يكون ساهرا على الدوام، له روح متوهجة، روح الرئيس الحربى الذى يتفقد جيشه ليلا ونهارا، يجب أن يتعب ويهتم بالجميع. "صاحيا، عاقلا، مضيفا للغرباء" ولما كانت هذه الصفات تناسب أيضا عامة المؤمنين البسطاء، وبذلك يكون هؤلاء مُساوين للأساقفة، لذلك أراد الرسول أن

يميزه بصفة يشترطها فيه لتتوافر عنده دون الآخرين فقال: "أنْ يكون صالحا للتعليم" هذه الصفة لا يطالب بها المؤمن من أفراد الرعية، وإنما خص بها من أخذ على عاتقه أمانة الاسقفية. "غير مدمن للخمر" أى غير سكير ومستسلم للخمر، فالسكر يؤدى بصاحبه إلى الوقاحه والشراسه. "ولا ضراب" لايقصد الرسول هنا الضرب بالأيدى. إذا ماذا يعنى بهذه العبارة؟ يوجد أناس يصدمون ضمائر إخوتهم ويلطمونها بلاسبب، وأعتقد أن هذا مايقصده من هذه العبارة "ولا طامع بالربح القبيح بل حليما غير مخاصم ولا محب للمال، يدبر بيته حسنا، له أولاد فى الخضوع بكل وقار" إذا كان الإنسان المتزوج يهتم بأمور العالم، فإن الأسقف على عكس ذلك يجب ألا يهتم بهذه الأمور، فكيف يقول الرسول: "بعل إمرأة واحدة".

كثيرون يؤكدون أنه يعنى ألا تكون للأسقف سوى زوجة واحدة. وإذا ما وجد ماهو خلاف ذلك، فلا يفوتنا أن نعرف أن هناك من هم متزوجون، ولكنهم يعيشون كما لو كانوا غير متزوجين. والرسول كان محقا فيما قاله لملائمته مع الأوضاع التى كانت قائمة حينذاك؛ ويمكن بالإرادة الحسنة ألا يؤخذ من الأمور سوى الحسن منها. كما هو الحال بالنسبة للأغنياء الذين قد يصعب دخولهم ملكوت السموات، إلا أنه رغم ذلك كثيرون منهم قد دخلوا الملكوت. هذا ما يمكن حدوثه أيضا في مجال الزواج.

ماذا تقول يا بولس ؟ عندما تكلمت عن واجبات الاسقف، قلت أنه يجب ألا يكون مدمنا للخمر بل مضيافا وقد كنت تعنى صفات أكبر وأسمى من ذلك بكثير. لماذا لم تقل إن الإسقف يجب أن يكون ملاكا، ولايهتم بأى أمر عالمى، وأن يسلك حسب التعاليم العظيمة التى للسيد المسيح والتى تتفق مع منصبه، كأن يكون مصلويا ونفسه دائما بين يديه ؟ ويلاحظ هذه العبارات: "الراعى الصالح يبذل نفسه من أجل خرافه" (يو

١١:١٠) وأيضا "من لايحمل صليبه ويتبعنى فلا يستحقنى" (مت ٣٨:١٠) لماذا لم تقل له إنه يجب أن يكون خارجا عن العالم؟ لماذا لم تطلب منه ما تطلبه من أهل العالم ؟ إذ تقول لهم "أميتوا أعضاءكم" التى هى على الأرض (كو ٣:٥) وأيضا "لأن الذى مات قد تبرأ من الخطية" (رو ٦:٧) وأيضا "ولكن الذين هم للمسيح يسوع قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات (غلا ٥ : ٢٤) وماقاله السيد المسيح نفسه "فكذلك كل واحد منكم لايترك جيمع أمواله لايقدر أن يكون لى تلميذا (لو ٣٣:١٤) . حقا إنها كلها آمال جميلة يحب الرسول أن تكون متوافره جميعها لدى الأسقف، إلا أنه لم يقدر أن يتمسك بطلبها، إذ أنه يعرف وقتذاك أنها لاتتسنى إلا لنفر قليل من هذه النماذج، والمطلوب عدد كبير من الأساقفة لإدارة الكنائس ورعايتها فى كل مدينة، وكانت الكنائس معرضة للفخاخ؛ لذلك أكتفى بطلب فضائل متوسطة عادية وليست ساميه ولاسمائية، فكون الإنسان يكون معتدلا حذرا، ذا أخلاق حميدة، فهذه كلها فى عداد الفضائل العامة.

"له أولاد فى الخضوع بكل وقار" لأن بيته يجب أن يكون هو القدوة، والمثل الذى يقتدى به. لأن الأسقف الذى لايطاع من أبنه، هل يمكن أن يصدق أنه يطاع من الغرباء ؟ "يدبر بيتا حسنا" الوثنيون أنفسهم يقولون: إن من يعرف أن يَسوُسَ بيته يستطيع سريعا أن يكون رئيسا ناجحا. وكما أنه بالمنزل، الأولاد، الزوجة، والزوج فوق الكل يشكلون سلطة متدرجة؛ هكذا فى الكنيسة، يوجد فى كل مكان أولاد ونساء، وخدم. وإن كان لرئيس الكنيسة شركاء تحت سلطته، فرئيس العائلة له زوجته أيضا. وكما أنه من أعمال الراعى فى الكنيسة رعاية وتدبير معيشة الأرامل والعذراى، هكذا رئيس العائلة أيضا تقع عليه مسئولية رعاية جواريه وبناته. كل ما فى

الأمر أن المنزل أسهل قيادة من الكنيسة. كيف يتسنى لمن لا يعرف أن يقود الأسهل، معرفة قيادة كنيسة بأكملها ؟ يقول الرسول: "وإنما إن كان أحد لا يعرف أن يدبر بيته فكيف يعتنى بكنيسة الله" (١ تى ٣:٥).

٢ـ لا يجب أن يكون الأسقف حديثا فى الإيمان :-

"غير حديث الإيمان" (١ تى ٣:٦) هنا لايقصد الرسول حديث السن بل حديث العقيدة. ويقول فى مكان آخر : "أنا غرست وأبلوس سقى لكن الله كان ينمى" (١ كو ٣:٦) إذن فالرسول كان يقصد المتنصر حديثا، وإلا ما الذى كان يمنعه من أن يقول حديث السن، ولماذا هو بنفسه قد أقام تيموثيئوس أسقفا مع أنه كان شابا حديث السن ؟ ويظهر ذلك فى قوله: "لايستهن أحد بحداثتك" (١ تى ٤:١٢) لأنه كان يعلم عنه أنه فاضل جدا، وكامل الخلق، لذلك شهد له بشهادات ممتازة. "وأنك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة" "وأيضا أستعمل خمرا قليلا من أجل أسقامك الكثيرة" مما يثبت أن تيموثيئوس كان مولعا بالصيام. وواضح أن هذه الشهادات والتوصيات، لا توجه إلا لشخص تقى جدا. ونظراً لأن كثيرا من الأمم إعتنقوا الإيمان واعتمدوا، لذا فإن الرسول يحذر من حديثى الإيمان، أى حديثى العقيدة لممارسة أعمال السلطة. لأن الذى يصبح معلما قبل أن يكون تلميذا، سيكون مصيره سريعا الضلال. لذلك يضيف الرسول: "لئلا يتصلف فيسقط فى دينونة إبليس" (١ تى ٣:٦) أى يخضع للعقوبة التى استحقها إبليس نتيجة لكبريائه.

"ويجب أيضا أن تكون له شهادة حسنة من الذين هم من خارج لئلا يسقط فى تعيير وفخ إبليس (١ تى ٣:٧) وإلا سيكون مهانا منهم. ولأجل باعث مشابه قال أيضا: " بعل إمرأة واحدة" وفى مكان آخر قال: "لأنى

أريد أن يكون جميع الناس كما أنا فى ضبط النفس من الشهوات (١ كو ٧:٧) وحتى لايضيق الطريق إذا تطلب فضيلة قاسية، لم يطلب سوى فضيلة معتدلة، لإمكانية الوصول إلى عدد من المدبرين يغطى به الإحتياجات، إذ أن الأمر كان يتطلب مدبرا لكل مدينة، ويتضح ذلك فى قوله لتيطس : "وتقيم فى كل مدينة قسوسا كما أوصيتك" (تى ١:٥) ولكن ماذا ؟ إذا كان له شهادة حسنة وسمعة، وإطراء مشهور، ولكن فى حقيقته ليس كما يظن فيه ؟ إنه لأمر صعب فعلا، إذ قد يحدث أيضا أن تكون له حياة مستقيمة، ومع ذلك لايمكنه الوصول بسهولة لشهادة حسنة من الأعداء. لذلك لم يقل الرسول "يجب أن تكون له شهادة حسنة" بل قال: "أن تكون له أيضا شهادة حسنة" أى أنه لم يذكر هذا الشرط بصفة مستقلة بل أورده ضمن الشروط الأخرى؛ ولم يفصله قط عنها. وماذا عن الذين يتكلمون رديئا بلا باعث سوى الحسد وبالذات الوثنيين ؟ ومع ذلك فإذا وجد هؤلاء فهم أيضا يحترمون الحياة بلا لوم. كيف يكون ذلك ؟ إسمعوا مايقوله الرسول عن نفسه "بصيت ردئ وصيت حسن" (٢ كو ٨:٦) ومن عبارة بصيت ردئ، يتضح أنه ليست حياة الرسول هى التى كانت تهاجم بل عظاته. لقد أتُهِمَ الرسل بالتضليل والسحر بسبب تعاليمهم، إلا أن حياتهم لم تهاجم.

لماذا لم يجرؤ أحد أن ينسب لهم الوقاحة أو السفاهة أو الطمع، بل كل مانسب إليهم أنهم مضللون، الأمر الذى لم يمس سوى تبشيرهم ؟ لأن الذى تلمع حياته بالفضيلة يكتسب إحترام الجميع حتى الوثنيين أنفسهم، لأن الحقيقة كفيلة بأن تسكت حتى أعداءنا. وكيف يقع فى الفخ ؟ بوقوعه دائما فى نفس أخطائهم، فعندئذ لا يتركه الشيطان، بل سرعان ماينصب له فخا آخر وسرعان مايدينونه هم أيضا. وإذا كان يجب أن تكون له

شهادة حسنة من الأعداء، فيجب أن تكون بالأكثر من الأصدقاء. وكبرهان على أن الحياة بلا لوم لايمكن وصفها بالذبول، إسمعوا مايقوله السيد المسيح: "فليضيء نوركم هكذا قدام الناس لكى يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذى فى السموات" (مت ٥:١٦) ولكن ماهو الوضع بالنسبة لإنسان مطارد بسوء النية؟ هذا يمكن حدوثه إلا أنه لا يجب أن يوضع في مرتبة الجدارة، إذ توجد مخاوف كثيرة، يقول الرسول: يجب أن يكون الأسقف القادم ذا صيت حسن حتى عند الوثنيين، لأن أعمالكم يجب أن تضئ – كما أن الكفيف يخجل من مجادلة العامة بقوله إن الشمس مظلمة، هكذا لايمكن التشنيع بإنسان شريف تماما؛ أما عن إفتراء الوثنيين عليه، فسيكون بسبب عقيدته، أما حياته فلن يتمكنوا من الهجوم عليها، بل الكل يشيد بها ويحبها.

٣ـ أمثلة حسنة :–

لنعش إذن بهذه الكيفية التى لايجدف معها على إسم الله، ولا نعطى المجد العالمى إعتبارا، ولا ننجذب إلى الصيت الردئ. "تضيئون بينهم كأنوار فى العالم" (فى ٢:١٥) الله أرسلنا لكى نكون أنوارا، ولكى نصير كالخميره. حتى نعلم الآخرين، ونعيش كملائكه بين البشر، وكرجال بين أطفال صغار، وكأناس روحانيين بين أهل العالم الحاضر، فيستفيدون منا، مثل بذور تثمر ثمارا وفيرة. لذلك تضئ حياتنا، وتظهر أعمالنا، ويتمجد إلهنا. إذا عشنا كمسيحيين بالحق، وسالكين بمقتضى تعاليم سيدنا، متقبلين التعرض للجشع والظلم، نبارك فى الإهانات، نرد الشر بالخير؛ إلى آخر هذه الصفات والفضائل المسيحية التى لو توافرت لنا فهى كفيلة بأن تقودا أى شخص إلى التقوى مهما كان متوحشا، ولن يبقى بعد حولنا وثنيون، ولن ندخل مع أحد فى مجادلات أو مباحثات؛ إذ

سينجذب الكل إلى السيد المسيح الذى نعبده بقلوبنا ونمجد اسمه بحياتنا.

إفهموا ذلك جيدا: بولس كان بمفرده عندما رد عدداً كبيرا من الناس إلى المسيح. لو تشبهنا به، لنجحنا فى كسب الكثيرين للمسيح، واليوم عدد المسيحيين أكثر بكثير من الوثنيين. فى كافة الفنون الأخرى نجد أن معلما واحدا له مائة من الصبيان يعلمهم؛ ونحن هنا معلمون كثيرون، والمفروض أن يكون لنا عدد كبير من التلاميذ، إلا أننا لا نجد من يرغب فى الإنضمام إلينا، لأن الذين يرغبون فى التعليم يختبرون فضائل معلميهم، فعندما يلمسون فينا أى نقيصة مثل السعى وراء السلطة والتحكم، أو شهوة الشهرة والمديح، فكيف يقبلون إلينا، أو يحبون مسيحيتنا ؟ هم يرون فينا حياة جديرة باللوم، نفوسا عالمية مثلهم تماما بل ربما أكثر منهم سعيا وراء الثراء ونكون مسحورين به ونشتهيه، جبناء، نرتجف مثلهم عند التفكير في الموت، نخشي الفقر مثلهم ونضطرب ونقلق ونثور عندما تصيبنا الأمراض، نستسلم مثلهم لسلطان البخل والشح، نشتهى مثلهم المجد الباطل والسلطان العالمى. قولوا لى كيف نتيح لهم أن يؤمنوا وهم يروننا على هذه الحال؟ هل يؤمنون عن طريق المعجزات ؟ نحن لا نصنع معجزات ! هل بتغيير حياتنا وتجديدها ؟ هل بالصدقة ؟ لا يوجد أيضا لدينا شئ من ذلك. لنحاسب أنفسنا ليس فقط على خطايانا، بل أيضا على ضياع الآخرين وهلاكهم.

لنرجع عن ضلالنا، لنسهر، لنصنع من الأرض مدينة سمائية، حتى تستطيع أن نقول بحق "فإن سيرتنا نحن هى فى السموات" (فى ٣:٢٠) لنظهر على الأرض كرجال رياضيين أقوياء. قد يقال إنه كان يوجد بيننا رجال عظماء، سيرد الوثنى قائلا: كيف أصدق هذا ؟ أنا لا أراكم تعملون

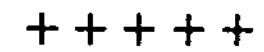
أعمالهم وتسلكون حياتهم. وبما أننا نطرق هذا المجال، فنحن أيضا لدينا فلاسفة كبار وكانت حياتهم جديرة بالإعجاب. وأما أنتم فهل بينكم بولس آخر ويوحنا آخر ؟ من لا يستمر في جهله عندما يرانا فلاسفة ليس في أفعالنا، وإنما في أقوالنا فقط. الآن نرى من هو مستعد أن يذبح ويذبح لأجل أمور زهيدة، ولأجل إقتناء آنية من الفخار تنطقون ألف حكما. إذا فقدت طفلا تفقد وعيك. كم يعوزني أن أتكلم عن الفوضى المحزنة: العرافة، الفأل، الأحجبة، الغيبيات، التعاويذ، السحر، إلى آخر هذه العقائد الخرافية التي تشكل جرائم كبيرة في حق الله كفيلة أن تثير غضبه حينما يرانا على هذه الجرأة ونحن نرتكبها بعد ما أرسل إلينا أبنه. وماذا؟ أليس من المحزن أنه بمشقة كبيرة يصل عدد قليل من الناس إلى الخلاص الأبدي ؟ والذين يهلكون يقولون بإرتياح إنهم سوف لايعانون قدرتهم وحدهم، بل مع عدد كبيرة معهم. أي إرتياح هذا ؟ هل يصدق أن وجود رفقاء كثيرين في نفس المحنة يعانون نفس العقوبة، يعطي عزاء في عذاب الأبدية ؟ كيف تبرهنون على ذلك. سأوضح لكم الحقيقة.

قولوا لي إذا حكم على إنسان بالموت حرقا بالنار، ورأى إبنه يحترق معه، والدخان يرتفع من لحمه؛ ألا يشعر نحوه بألم مميت ؟ وإذا كان الذين لم يصابوا بنفس الأذى يشعرون بالرعب ويفقدون وعيهم لمجرد مشاهدة هذا المنظر، فكم وكم تكون حال الذين هم في العذاب ؟ لاتستغربوا، واسمعوا كلمة حكيم. "ويقولون لك أأنت أيضا قد ضعفت نظيرنا وصرت مثلنا" (أش ١٤: ١٠).

هكذا يوجد بين البشر إحساس متبادل، فالبعض يشعر ويقاسي مما يقع على الآخرين من ضربات ومما يعانونه من أوجاع. هل هذا عزاء، أم هو زيادة في الألم مايقاسيه الأب عندما يرى إبنه يعاني نفس

الآلام التى يعانيها هو؟ والزوج الذى يرى زوجته، بل أى شخص يرى شخصا آخر ؟ أليس هذا يؤلم بالأكثر ؟ ولكن آلام الحياة الأخرى لاتشبه آلام هذه الحياة - كلاً، بل هى مختلفة تماماً، لأن البكاء هناك غير قابل للعزاء، والكل يرون بعضهم البعض ويتعذبون معا . هل اشتراك الناس فى معاناة المجاعة يخفف من جوعهم ؟ وماذا يكون الحال إذا كانت أسرة مكونة من أب وأم وأولاد يعانون نفس الآلام التى نعانيها ؟ هل تعزيتنا فى أن نرى هؤلاء يتعذبون ؟ كلاً كلاً، بل إن آلامنا ستكون أكثر شدة. فهو ليس بالعذاب الذى يقل نصيب الواحد منه إذا توزع.

إثنان فى النار هل يمكن أن يعزى أحدهما الآخر ؟ قولوا لى من فضلكم؛ إذا اعترت أحدكم حمى شديدة، أليست كل التعزيات لاطائل من ورائها ؟ نعم، وبلاشك لأن النفس متى يغلب عليها الألم لاتملك أى إمكانية للإصغاء إلى التعزيات. أنظروا إلى النساء اللائى فقدن أزواجهن، هل يعزيهن كثرة عدد الأرامل واللائى هن فى موقفهن ؟ آه ! ليتنا لانتعلق بهذه الآمال الكاذبة، ولنطلب الفداء الصحيح والوحيد، والذى لن يكون إلا بالندم على خطايانا، والسلوك بأمانه وتقوى فى الطريق المؤدى إلى السماء، حتى نحصل على ملكوت السموات بنعمة ومحبة ربنا يسوع المسيح الذى له المجد والقوة إلى دهر الدهور آمين.



الموعظة الحادية عشرة

"كذلك يجب أن يكون الشمامسة ذوى وقار، لاذوى لسانين، غير مولعين بالخمر الكثير ولاطامعين بالربح القبيح، ولهم سر الإيمان بضمير طاهر. وإنما هؤلاء أيضا ليختبروا أولا ثم يتشمسوا إن كانوا بلا لوم. (٣: ٨، ٩، ١٠)

التحليل

١ـ واجب الشمامسة.

٢، ٣ـ الاستخدام الأمثل للثروة.

١ـ واجب الشمامسه :-

الرسول بعد أن ناقش مايخص الأساقفة ومواصفاتهم، معلنا عن الصفات الواجب توافرها فيهم، مر على الكهنة فى صمت ولم يتكلم عنهم بل إنتقل فورا ليتحدث عن الشمامسة. لماذا؟ لأنه لا يوجد فى الواقع فارق كبير بين الأساقفة والكهنة، فالكهنة أقيموا للتعليم، ولكى يكون لهم سلطة فى الكنيسة، وما قاله عن الأساقفة إنما هو ينطبق أيضا على الكهنة؛ ولا يمتازون عنهم إلا بسلطة السيامة، "وكذلك الشمامسة" يطالبهم بنفس الفضائل كيف ؟ أن يكونوا بلا لوم، حذرين، مضيفين للغرباء، معتدلين، مسالمين، غير محبين للمال، وأيضا "ذوى وقار لاذوى لسانين" أى بلا رذيلة مستترة، بلا تصنع، حيث أنه لايوجد ما يخفض بالنفس قدر التصنع، ولامايكدر الكنيسة مثل الرذيلة المستترة - "غير مولعين بالخمر الكثير، ولا طامعين بالربح القبيح ولهم سر الإيمان بضمير طاهر" هنا أوضح معنى بلا لوم، ولاحظوا أيضا كيف يوضح فكرة "غير حديث الإيمان" إنه يوضحها بإضافة "ليختبروا أولا" أى أن ماذكره عند الكلام

عن الأسقف يعيده مع إضافة تلك العبارة. ومن عبارة "ألا يكون حديث الإيمان" يفهم منهم ألا يكون غريبا، فإذا كانت الخدمة الداخلية فى المنزل لاتسند لعبد حديث الشراء، قبل تكرار تجربته لاختبار ذكائه، فكيف يقبل فى الصفوف المتقدمه من يحضر من الخارج فى كنيسة الله ؟.

"أيضا النساء" يتكلم عن الشماسات "ذوات وقار، غير ثالبات، صاحيات، أمينات، فى كل شئ" البعض يظن أن الرسول يتكلم عن النساء بصفة عامة، ولكن الأمر ليس كذلك. لماذا إذا أضاف إلى ماقاله أحكاما تتعلق بالنساء ؟ هو يتكلم عن اللائى استحققن الشماسية. "ليكن الشمامسة كل بعل إمرأة واحدة" [١] تلاحظون أنه يطالبهم هم أيضا بهذه الفضيلة لأنهم إن كانوا ليسوا فى درجة مساوية للأسقف إلا أنه يلزمهم أن يكونوا مثله بلا لوم وطاهرين. "مدبرين أولادهم وبيوتهم حسناً. لأن الذين تشمسوا حسنا يقتنون لأنفسهم درجة حسنة وثقة كبيرة فى الإيمان الذى بالمسيح يسوع" فى كل مكان يتكلم عن تربية الأولاد، حتى يقى الناس الفضيحة التى تنتج عن إهمال هذا الموضوع. لأنه يقول: "الذين تشمسوا حسنا يقتنون لأنفسهم درجة حسنة" أى درجة أكثر رفعة "وثقة كبيرة فى الإيمان" ويقول الذين كانوا يقظين فى أداء المهام الصغيرة سيصلون سريعا إلى الوظائف الأعلى.

"هذا أكتبه إليك راجيا أن آتى إليك عن قريب. ولكن إن كنت أبطئ فلكى تعلم كيف يجب أن تتصرف فى بيت الله الذى هو كنيسة الله الحى عمود الحق وقاعدته" ـ خشى الرسول من أن تخور عزيمة تلميذه عندما يتصور أنه سيقوم بكل هذه الأعباء بمفرده، فطمأنه بأن كتابته له لاتعنى

---

(١) ويقصد بذلك أيضا الشماسات، لأنه شئ ضرورى، مفيد، ومطابق لانتظام الأخلاق ألا تتزوج الشماسات سوى مرة واحدة.

أنه لاينوى المجئ بل سوف يحضر، ولكن إن أبطأ فلا يكون هذا سبب حزن لتيموثيؤس. لقد أرسل له هذه الرسالة لتنقذه من اليأس، وأيضا لكى يوقظ بها الآخرين ويجعلهم أكثر حماساً؛ إذ أن إعلان وصوله كان له هيبة كبيرة. لاتندهشوا إذا كان بكلامه هذا يتظاهر بجهله بميعاد ذهابه إليهم، مع أنه يعلم الأمور مسبقا عن طريق الوحى "راجيا أن آتى"، "لكن إن كنت أبطئ" - أقوال تكشف عن جهله بالأمور؛ لأنه مادام مقودا بالوحى، ولايعمل بإرادته منفردا، فهو يجهل ماسيفعله. "لكى تعلم كيف يجب أن تتصرف فى بيت الله الذى هو كنيسة الله الحى عمود الحق وقاعدته" هذه الأقوال لاتعنى هيكل اليهود، بل تعنى الإيمان والتعليم، لأن الحق هو عمود الكنيسة وقاعدتها. ويضيف الرسول قائلا: "وبالإجماع عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد تبرر فى الروح" (١٦:٣) هنا تدبير خلاصنا أى التجسد. لاتكلموننى عن الأجراس (خر٢٨) عن قدس الأقداس، ولاعن رئيس الكهنة: عمود العالم هو الكنيسة. تأملوا هذا السر وسوف ترتعشون. إنه سر، سر التقوى بالإجماع، وليس موضوعا يحتاج إلى بحث إذ لايوجد حوله أى شك. دائما لاحظوا أن الرسول دائما يسمى التجسد سرا، وهذه حقيقة، لأنه غير مرئى للبشر، ولا للملائكة، وكيف ذلك وقد ظهر فى الكنيسة ؟ فلهذا يقول: "بالإجماع عظيم هو سر التقوى" حقا عظيم هو هذا السر، الإنسان صار إلهاً، والإله صار إنسانا، إنسان يُرى بلا خطية، إنسان ارتفع إلى السماء وكُرز به العالم. الملائكة رأته معنا فهذا إذن سر. فعلينا ألا نفشيه ولا نعرضه فى كل مناسبة، بل لنسلك حياة جديرة به. الذين أودعوا الأسرار هم عظماء. فإذا أودعنا الامبراطور سرا، أليست هذه شهادة على صداقته لنا ؟ والآن الله أودعنا هذا السر. سوف تقولون كيف نسميه سرا وهو معروف للجميع؟ كلاً بالتأكيد ليس الكل يعرفه قبل ظهوره كانوا يجهلونه والآن قد ظهر للبشر.

٢ـ الإستخدام الأمثل للثروة :-

ليتنا نكون جديرين بحفظ هذا السر. الله أودعنا هذا السر العظيم! ونحن لانودعه خيراتنا، مع أنه هو نفسه يقول لكم أن تضعوها بين يديه، حيث لايوجد من يغتصبها منكم، حيث لايفسدها الدود، ولايتمكن اللصوص من الوصول إليها، هو يعدنا بأنه سيردها لنا مائة ضعف، ولانصدقه، ومع ذلك إذا أودعنا أمانة بين يدى شخص ما، لايردها لنا زائدة، وإذا ردها لنا دون نقص نقدر له هذا الصنيع، ولانطالب بها إذا أغتصبت منه، ولانحاسبه عليها حتى لو قرضها الدود.

أما الله فيردها لنا هنا مائة ضعف، ويعطينا الحياة الأبدية فى العالم الآخر، ومع ذلك لايودعه أحد خيراته. قد يقال أنه قد يتأخر فى ردها. إن تأخيره فى ردها لنا فى هذه الحياة لهو أكبر برهان على سخائه، حتى لاتكون عرضة للحوادث. قولوا لى ألم يترك بولس الأنوال، وبطرس السنارة والشبكة، ومتّى ترك مكان الجباية ؟ ألم توضع تحت أقدامهم أموال الجميع ؟ ألم تكن النفوس وديعة لديهم، خاضعة لإرادتهم، كخدام لهم ؟ كم من أعمال مشابهة تمر بنا اليوم، كم من الناس صغار وسقماء، لايستخدمون سوى الفأس، يملكون بمشقة القوت الضرورى، ونحن نرفعهم أمام أعيننا فوق الكل، ومكرمون من الحكام، وذلك لأنهم يحملون لقب الرهبانية؟ لتعلموا أن مايعطى هنا ليس إلا القليل، لأن رأس المال يمنح لنا فى الدهر الآتى. إحتقروا الثراء إذا أردتم إمتلاك الثروات. إذا أردتم أن تكونوا أغنياء إجعلوا أنفسكم فقراء. الله لايريدكم أغنياء بمجهوداتكم الذاتية بل بنعمته.

هو يقول لنا: تنازل عن هذا لأجلى، إهتم بالموضوعات الروحية، حتى تتعلم كيف تعرف قوتى، إهرب من العبودية ونير الثراء. أنت فقير

طالما أنت مرتبط بهما، عندما تحتقرهما سيتضاعف ثراؤك، وكل شئ سوف يتكاثر بين يديك، ولن تحتاج إلى ما يحتاجه البشر عامة. ليس الثراء هو أن تمتلك الكثير، بل هو الحاجة إلى القليل : فالملك الذى تزداد إحتياجاته لا يفترق عن الفقير، الفقر هو الإحتياج إلى ماينقصنا، بمعنى أن فقر الملك يقاس بقدر احتياجه لرعاياه. لكن ليس الأمر كذلك بالنسبة للذى صلب جسده: فهو لايحتاج لأحد، أياديه تكفيه معيشته "أنتم تعلمون أن حاجاتى وحاجات الذين معى خدمتهما هاتان اليدان" (أع ٢٠:٣٤). ويوضح بولس الرسول هذه الفكرة بقوله: "كأن لاشئ لنا ونحن نملك كل شئ" (٢كو ٦:١٠) وهو الذى كان أهل لستره يكرمونه كإله. إذا أردتم أن تحصلوا على العالم، إبحثوا عن السماء، إذا أردتم أن تنعموا بالخيرات هنا، إحتقروها. يقول السيد المسيح: "أطلبوا أولا ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم" (مت ٦:٣٣).

لماذا تعجبون بهذه الأشياء الصغيرة ؟ لماذا هذا الحماس لأجل أمور لاتستحق أى أعتبار ؟ إلى متى ستكونون فقراء ومتسولين ؟ إرفعوا أنظاركم إلى السماء، فكروا فى الكنز الذى تحتويه، إسخروا من الذهب وتعلموا كيفية إستعماله. المتعه المحدودة فى الحياة الحاضرة، الحياة المعرضة للحوادث، كحبة رمل، أو بالأحرى كنقطة ماء فى هوة عميقة. هذه هى الحياة الحاضرة بمقارنتها بالحياة المستقبلة. والموضوع ليس هو الإمتلاك وإنما الاستعمال. أنت هنا لست مالكا، لأنه بمجرد موتك سواء أردت أو لم ترد، خيراتك سيأخذها الآخرون وبدورهم سيسلمونها لآخرين. وهكذا كلنا غرباء ومالك المنزل ماهو إلا مستأجر، ودائما بعد موته يتمتع بماله شخص آخر، وربما لفترة أطول منه، مع أنه قد كلف نفسه مشقة كبيرة لإقامة هذا المسكن وتجديده. الملكية ليست إلا إسما فقط: لأنه فى

الواقع مـانملكه ليس ملكا لنا . نحن لانملك سـوى مـانرسله أمـامنا للعـالم الآخر. والباقي على الأرض مرهون بحياتنا، وغالبا مايهجرنا حتى ونحن أحياء. مايخصنا هو فقط حسنات النفس، الرحمة والصلاح. الذى يخرج من هذا العالم لايحمل معه ثراءه، لكنه يمكنه نوال الرحمة. لنرسل بالحرى هذه الخيرات أمامنا لكى تُعد لنا مظله فى فى المساكن الأبدية.

٣- الثروة للأستعمال وليس للتملك. قولوا لى كم من السادة امتلك حقلا، وكم أيضا سيمتلك. هناك مثل حكيم، (والأمثلة الشعبية لايجب إحتقارها إذا احتوت على أفكار حكيمة) أيها الحقل، قل لى، كم من الناس إمتلكوك وكم من الناس سيمتلكونك. وهذا مايقال أيضا عن البيوت والنقود. الفضيلة وحدها هى التى ستصحبنا فى هذه الرحلة الكبيرة، وتسير معنا فى الحياة الأخرى. لنحطم أغلالنا ولنطفئ بداخلنا شهوة الثراء حتى نرتبط بشهوة الخبرات المستقبلة، لأن هاتين الشهوتين لايمكن أن يسكنا نفسا واحدة. لأنه "لايقدر أحد أن يخدم سيدين. إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر (مت ٦: ٢٤).

لنرتبط بأكبر قدر من الحسنات، الحسنات الروحية التى تجعلنا بالحق مكرمين، حتى نحصل على السعادة القادمه. لنكن كلنا مستحقين فى المسيح يسوع ربنا، الذى له مع الآب والروح القدس، المجد، والقوة، والكرامه، الآن وكل آوان وإلى دهر الدهور آمين.

+ + + + +

الموعظة الثانية عشرة

"ولكن الروح يقول صريحا إنه فى الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الإيمان تابعين أرواحا مضلة وتعاليم شياطين. فى رياء أقوال كاذبة موسومة ضمائرهم. مانعين عن الزواج وآمرين أن يمتنع عن أطعمة قد خلقها الله لتتناول بالشكر من المؤمنين وعارفي الحق. لأن كل خليقة الله جيدة ولا يرفض شئ إذا أخذ مع الشكر. لأنه يقدس بكلمة الله والصلوة".
(١:٤ - ٥ حتى ١٠)

التحليل

١ـ الهرطقة تظل فى تردد دائم ـ المانيون، ألإنكراتيون، المركيون.

٢، ٣ـ الطقوس اليهودية أدت دورها فى حينه ـ الإيمان والتقوى.

٤ـ ضد البخلاء.

١ـ الهرطقة تظل فى تردد دائم :-

الذين لهم إيمان يرسون على مرسى آمن صلب، بينما الذين فقدوا الإيمان لايمكنهم الرسو فى أى مكان، بل يظلون متجولين هنا وهناك مقترفين أخطاء عديدة، وأخيرا يقعون فى هوة الهلاك، والرسول سبق أن أوضح ذلك عندما قال: "إنكسرت بهم السفينة من جهة الإيمان أيضا" والآن يضيف "ولكن الروح يقول صريحا إنه فى الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الإيمان تابعين أرواحاً مضلة" يقصد الرسول بهذه العبارة المانيين أتباع مانى والإنكراتيين، والمركيين، وعن كل هذه المعتقدات. يقول الرسول: "فى الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الإيمان". تلاحظون أن السبب فى كل هذه الشرور التى يتنبأ بها إنما هو البعد عن الإيمان. وماذا تعنى

كلمة "صريحاً" ؟ تعنى جلياً واضحاً، بلا نزاع ولا مناقشة.

يقول: لا تندهشوا إذا كان اليهود أيضا ابتعدوا عن الإيمان، إذ سيأتى زمن يحدث فيه أن الذين حصلوا على الإيمان سوف يكونون أردأ حالا، فهم لايمتنعون عن الأطعمة فقط بل عن الزواج أيضا، مطبقين عقائدهم السيئة والمنحرفة على كل هذه الأمور.

الرسول لا يقول هذا الكلام عن اليهود، لأنه كيف يكون الكلام عنهم وقد قال: "فى الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الإيمان" هذا الكلام قاله عن أتباع "مانى" ومعلميهم، وهو يسميهم أرواحا مضلة، وهذا حق؛ لأن الذى أوصى إليهم بهذه التعاليم الفاسدة إنما هى الأرواح المضلة. وماذا يعنى بهذه الكلمات: "فى رياء أقوال كاذبة" ؟ يعنى أنهم لا يروجون أفكارهم هذه بجهل أو لا يعلمون ماذا يفعلون ولكنهم يروجونها بمكر وهم عارفين ماهو حق ولكن وسموا ضمائرهم أى يعيشون حياة فاسدة. ولماذا لم يتنبأ سوى عن هؤلاء الهراطقة ؟ وهم ليسوا الوحيدين، فالسيد المسيح له المجد قال: "لابد أن تأتى العثرات" (مت ١٨:٧). وفى موضع آخر تنبأ عن الزوان الذى ينبت فى حقل رب البيت. لكننا بالحقيقة نعجب لنبوات بولس هذه، فقد تنبأ بحدوث هذه البدع والهرطقات قبل حدوثها؛ بل إنه قد حدد الوقت الذى ظهرت فيه.

لاتندهشوا يا أحبائى إذا وجدتم بيننا الآن فى الزمن الذى سادت فيه تعاليم الإيمان، أناسا يحاولون الإنزلاق إلى تلك العقائد الفاسدة، ورأيتم من هم بعد زمن من تثبيت الإيمان يتركونه ويهجرونه. "مانعين عن الزواج، وآمرين أن يمتنع عن أطعمة" ولماذا لم يتكلم عن الهرطقات الأخرى؟ إنه أشار إليها فقط بهذه الكلمات: "أرواحا مضلة وتعاليم شياطين"؛ فهو لم يرد أن يغرسها فى النفوس فى ذلك الحين، وأكتفى

بالإشارة إلى مابدأ يظهر بشأن الأطعمة. "التى خلقها الله للمؤمنين وعارفى الحق" هل نفهم أنه لم يخلقها لغير المؤمنين ؟ كيف ذلك أليس هم الذين أبتعدوا عنها بالشرائع التى وضعوها بأنفسهم ؟ وكيف هل الحياة الشهوانية غير ممنوعة ؟ قطعا ممنوعة وبشدة - لماذا والأطعمة مخلوقة لكى نستعملها ؟ لأن الله خلق الخبز وحرّم الشراهة، وكذلك خلق الخمر وحرّم الإفراط ليس لأنها غير طاهرة فى حد ذاتها، بل لأن الإفراط فيها يثبط النفس، "لأن كل خليقة الله جيدة، ولا يرفض شئ إذا أخذ مع الشكر" "ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جدا" (تك ١:٣١).

وبقوله خليقة الله، يقصد جميع الأطعمة، ومسبقا يدحض هرطقة الذين يعتقدون بأزلية المادة. ولكن إذا كانت المخلوقات طاهرة لماذا يضيف "لأنه يقدس بكلمة الله والصلاة" ؟ والذى يقدس هو مايكون أصلا غير طاهر. ليس الأمر كذلك لأنه يتكلم هنا عن الذين يعتقدون أن بعض الأشياء دنسة فى ذاتها. فالرسول يعرض صورتين: الأولى ليس هناك شئ من خليقة الله دنساً، والثانية إن كان شئ ماقد صار دنسا، فعلينا أن نقدسه برسم إشارة الصليب، مع الشكر لله وتقديم المجد له، فينزع عنه كل دنس.

قد يقال: هل يمكننا تحليل أكل حتى ماذبح للأوثان ؟ نعم إذا كنتم تجهلون أنه ذبح للأوثان، أما إذا كنتم تعلمون وتستعملونه تكونون غير طاهرين، ليس لأنه ذبح للأوثان، ولكن لعلمكم بتحريم أية شركة مع الشياطين، ومع ذلك لم تقدسوا هذه التعاليم. عدم الطهارة ليس فى الشئ ذاته؛ ولكنه ناتج عن حكمكم وعدم طاعتكم. إذن لحم الخنزير ليس غير طاهر ؟ نعم إذا أخذناه مع الشكر ومع رسم إشارة الصليب، وهكذا كل طعام آخر. إن الإرادة هى التى ليست طاهرة عندما لا نقدم الشكر لله.

"إن فكرت الإخوة بهذا تكون خادما صالحا ليسوع المسيح متربيا بكلام الإيمان والتعليم الحسن الذى تتبعّته" ماذا يقصد الرسول ؟ يقصد الرسول ماذكره آنفا عندما قال: إن الإمتناع عن هذه الأطعمة هو من عمل الشياطين، لأنها تقدست بكلمة الله والصلاة. "متربيا بكلام الإيمان والتعليم الحسن الذى تتبعته، وأما الخرافات الدنسة العجائزية فارفضها وروض نفسك للتقوى" (٦، ٧) "إن فكرت الإخوة بهذا" تلاحظون أن الرسول هنا لم يستخدم قط السلطة المستبدة بل يستخدم الرقة فى كلامه إذ يقول: "إن فكرت" لم يقل: إن امرت، إن فرضت: بل إن فكرت قدمها لهم كما لوكنت تعرض رأيا وتثير مسامرة حول الإيمان. يقول أيضا "متربيا" أى مظهرا التمسك، ودوام الحماس للتعليم الصحيح. لأنه مثلما نطلب خبزنا اليومى، هكذا نتلقى بصفة مستمرة كلمات الإيمان، التى هى بالنسبة لنا غذاء أبدى، نتغذى بها ونهضمها، نرددها ونتأملها بدون انقطاع، فهى غذاء ثمين.

٢ـ الطقوس اليهودية أدت دورها فى حينه :-

"وأما الخرافات الدنسة العجائزية فارفضها وروض نفسك للتقوى" ماهى هذه الخرافات؟ الملاحظات اليهودية يسميها خرافات؛ وهى بالتأكيد هكذا، سواء لأنها مضافة إلى كلام الله، أو لأنها لم تأت فى حينها. الذى يأتى فى حينه يفيد، وغير ذلك لايكون فقط غير مفيد؛ بل ضاراً.

تخيلوا رجلا يبلغ من العمر أكثر من ٢٠ سنة ويرضع من مرضعه، أليس هذا أمرا مضحكا ؟ هذا هو المعنى الذى يقصده الرسول بقوله، إن هذه التعاليم هى عمل آثم وجدير بالنساء العجائز، لأنها من زمن آخر وتشكل عقبة فى طريق الإيمان، وانحدار النفس إلى مخاوف هذه الخرافات بعد أن تسامت بالإيمان إلى أعلى، لهو أمر آثم ومؤسف حقا.

"روض نفسك للتقوى" أى على الإيمان الطاهر، الحياة المستقيمة، إذ هنا تكمن التقوى. إذن نحن فى حاجة للترويض. ثم يواصل الرسول "لأن الرياضة الجسدية نافعة لقليل" البعض يظن أنه يتكلم هنا عن الصوم، ولكن هذه الفكرة بعيدة عنا، فالصوم ليس رياضة جسدية بل روحية لأنه لايغذى الجسد. بل يعمل على إنهاكه وإضعافه؛ أما الرياضة الجسدية فنافعة للجسد "نافعة لقليل" على حد قول الرسول. إذن الرسول هنا فى كلامه عن الرياضة الجسدية لم يقصد قمع شهوات الجسد والصوم، نحن فى حاجة لترويض أنفسنا. الرياضة الجسدية لاينتج عنها سوى بعض الفوائد للجسد فقط؛ وأما التى للتقوى فهى تعطى ثمارا للمستقبل، ونحن نجنيها فى هذا العالم وفى السماء، ولذلك قال الرسول عن الرياضة الروحية أى التقوى "ولكن التقوى نافعة لكل شئ إذ لها موعد الحياة الحاضرة والعتيدة".

"صادقة هى الكلمة" أى حقيقية لهذا العالم والعالم الآخر (١) تأملوا كيف يردد الرسول هذه العبارة، ليس لأنه فى حاجة لإثبات بل للتأكيد، لأنه يراسل تيموثيئوس نعم نحن نعيش هنا على هذا الرجاء السعيد. الذى يعمل باستقامة وضميره بلا لوم، يشعر بالسعادة حتى فى هذا العالم، كما أن الشرير لا يعاقب فقط فى الحياة المستقبلة، بل هنا أيضا يعيش دائما فى خوف لايجسر أن ينظر إلى أى شخص بارتياح، بل بارتباك وجزع. أليست حقيقة أن اللصوص والجشعين يعيشون فى قلق على ممتلكاتهم ؟ وأن الزناة والقتلة يعيشون حياة تعيسة جداً لايجسرون أن يرفعوا أنظارهم دون قلق حتى إلى الشمس ؟ وهل هذه حياة ؟ كلا

---

(١) يعلق بهذا النص علي نص الفقرة السابقة : "التقوي نافعة لكل شئ إذ لها موعد الحياة الحاضرة والمستقبلة.

بالتأكيد إنه موت مؤلم. ولذلك يقول الرسول: "لأننا لهذا نتعب ونعير لأننا قد القينا رجاءنا على الله الحى الذى هو مخلص جميع الناس ولاسيما المؤمنين".

كما لو كان يقول: لماذا نفرض على أنفسنا كل هذه الآلام إلا إذا كنا نرجو وننتظر الخيرات العتيدة ؟ لماذا الكل يهيننا ؟ كل ما قاسيناه أليس مرعبا ؟ألم نقاسى دون سبب الشتائم، والإهانات، والآلام من كل نوع ؟ فإذا كنا لم نلق رجاءنا على الله الحى، فلماذا تحملنا كل ذلك ؟ إذا كان الله يخلص غير المؤمنين في هذا العالم، فكم بالأكثر يخلص المؤمنين فى العالم الآخر - أى خلاص يتكلم عنه الرسول؟ خلاص العالم الآخر - "الذى هو مخلص جميع الناس ولاسيما المؤمنين" أى أنه خصهم بعناية أكبر. وقد يقال كيف إن الله هو مخلص المؤمنين ؟ أنه لو لم يكن هكذا لما حفظهم من الضياع عندما هوجموا من كل جهة. فى هذه الحياة يشجع المؤمن على مواجهة المخاطر، وعدم الاستسلام أمام الضغوط - طالما أن له إله طيب بهذا المقدار - ولايطلب معونة خارجية بل يحتمل كل شئ بقلب طيب ومتسامح.

وفى النهاية تأتى الأيام الأخيرة، يقول الرسول: "وفى الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الإيمان، تابعين أرواحا مضلة وتعاليم شياطين، فى رياء أقوال كاذبة، موسومة ضمائرهم، مانعين عن الزواج" قد تقولون هل نمتنع نحن أيضا عن الزواج؟ كلاّ بالتأكيد، حاشا لله، نحن لا نمنعه عمن يرغبونه، أما الذين لا يرغبونه فنشجعهم على البتولية. المنع شئ وترك الإنسان ليكون سيد اختياره شئ آخر "وآمرين أن يمتنع عن أطعمة قد خلقها الله لتتناول بالشكر من المؤمنين وعارفى الحق" حسنا قال الرسول "عارفى الحق" فى القديم لم يكن الوضع سوى رموزا، إذ لاتوجد لحوم

غير طاهرة بطبيعتها؛ إنما تصبح غير طاهرة بالنسبة لضمير من يتناولها. ولماذا إذن حرم الله على اليهود الكثير من الأطعمة ؟ لكى يردع شهواتهم وشراهتهم المفرطة. إنه لو كان قد قال لهم بدون تحديد: لاتصنعوا لكم وجبات شهوانية، لما كانوا قد امتنعوا عن أكل أى شئ، لذلك وضع هذا النظام فى صورة أوامر ووصايا ملزمة تفرضها الشريعة حتى يكون أكثر حذراً وخوفاً. ولكى تعرفوا كم كانوا فريسة لشهوات بطونهم. ويوجد أيضا سبب آخر؛ الله إذ كان يعلم أن اليهود سيعيشون فى بلاد متزمتة حرّم عليهم أن يأكلوا حيوانات معينة.

٣ـ الإيمان والتقوى :-

ضعوا هذه الأمور تحت أعينكم وتأملوها، فهى التى يقصدها الرسول بهذه الكلمات "متربيا بكلمات الإيمان" تأملوها، ولاتكتفوا بأن تحثوا عليها الآخرين بل تأملوها بأنفسكم "متربيا بكلام الإيمان والتعليم الحسن الذى تتبعته، وأما الخرافات الدنسة العجائزية فارفضها": ولماذا لم يقل معلمنا بولس "امتنع عنها" وإنما قال "إرفضها" لاتتنازلوا وتجادلوا هؤلاء الأشخاص ولكن حثوا الذين وثقتم فيهم على رفض هذه التعاليم. لأنه ليست هناك أية فائدة من النضال مع الذين انحرفوا عن طريق الله، إلاّ إذا كان الأمر سيفضى إلى بدعة حتى لايُشك أننا نرفض المجادلة عن خوف وعجز. "وروض نفسك على التقوى" لأن التقوى تقود إلى الحياة الطاهرة والسلوك الممتاز. إن الذى يروض نفسه على المصارعات الرياضية يتصرف فى كل شئ كرياضى حتى فى غير الأوقات المخصصة للمصارعة، محتملا متطلبات الزهد، وقادرا على بذل الكثير من الجهد. يقول النص "روض نفسك على التقوى لأن الرياضة الجسدية نافعة لقليل ولكن التقوى نافعة لكل شئ إذ لها موعد الحياة

الحاضرة والعتيدة" لماذا ذكر هنا الرياضة الجسدية ؟ لكي يظهر بالمقارنة سمو الأخرى، لأن الرياضة الجسدية تتطلب متاعب كثيرة، دون فائدة ذات قيمة، بينما رياضة الروح تأتي بالفوائد الأزلية التي بلا حدود. وبالمثل يقول للنساء : أن يتزين لا بضفائر، أو ذهب أو لآلئ أو ملابس كثيرة الثمن، بل كما يليق بنساء متعاهدات بتقوى الله بأعمال صالحة.

"صادقة هي الكلمة ومستحقة كل قبول" لأننا لهذا "نتعب ونعير" كان بولس يتحمل الإهانات، وأنتم تجدون أنها غير محتملة؛ كان بولس يتحمل المشقات، وأنتم تريدون أن تعيشوا في التراخي الذي لو كان عاش فيه لما كان قد حصل على هذه الخيرات الكبيرة. لأنه إذا كانت خيرات هذه الحياة الزائلة والقابلة للفساد، لايمكن الحصول عليها دون عمل وعرق فكم بالحرى الخيرات الروحية ! ـ قد يقال يوجد كثيرون يحصلون على خيرات هذه الحياة بالميراث – حتى في هذه الحالة، فإن حراسة وحفظ الثروة لايتجردان من المشقة، والثرى لا يقاسى من المتاعب والأحزان أقل من الآخرين، وفضلا عن ذلك كم من الناس بعد كثرة من المتاعب والهموم شاهدوا ثرواتهم تتلاشى حيث هاجمتها بعنف في مدخل الميناء عاصفة من الهواء مفاجئة أغرقتها ومعها أجمل آمالهم. بالنسبة لنا لايحدث شئ من هذا : لأن الله هو صاحب الوعد "والرجاء لايخزى" (رو ٥:٥) .

ألا تعرفون يا من تهتزون بأمور هذه الحياة، كم من الناس بعد أعمال لايمكن حصرها لم يجنوا ثمرتها، سواء بسبب الموت الذي سبق فاختطفهم أو حدوث نكبة، أو أمراض فتكت بهم أو مفترين هاجموهم، أو أي سبب آخر (الحوادث البشرية كثيرة) أضحوا بعدها فارغي الأيادي ؟ ـ قد تردون قائلين : ألا ترى الذين ينجحون وبمجهود بسيط يحصلون على خيرات كثيرة ؟ أية خيرات ؟ الثراء، البيوت، قدر وقدر من مساحات

الأراضى؛ قطيع من العبيد، وزن ثقيل من الذهب والفضة ؟ هل هذه هى التى تسمونها ثروات ؟ وأنت يامن تعلمت فلسفة السماء؛ ألا تغطى وجهك وتخجل من أن تتذوق الأشياء الأرضية وتسميها خيرات وهى لاتستحق حتى الكلام عنها ؟ لو كانت هذه خيرات، لكان بالتالى من يمتلكونها يدعون أخيارا؛ لأن الذى يمتلك الخير كيف لا يكون خيراً.

آه : قولوا لى : عندما يكون هؤلاء الأغنياء ظلمة ولصوصاً هل نقول عنهم إنهم أخيار ؟ فإذا كان الثراء المكدس غشاً تعتبرونه خيرا، فبقدر مايزداد، يزداد الحكم معه على من يمتلكه بالصلاح وعلى هذا الأساس فإن الإنسان الشره الذى بلا مقود هو إنسان خيِّر، وإذا كانت الثروة صالحه، فالذى ينميها يزداد صلاحه، بقدر مايزداد غشه. ألا تلاحظون التناقض؟ - قد تقولون وإذا كان لم يسلب أحدا ؟ كيف يمكن ذلك والشهوة سيئة.

والسيد المسيح أوضح ذلك بقوله : "اصنعوا لكم أصدقاء من مال الظلم" (لو ١٦:٩) وإذا كان ورث عن أبيه ؟ - هذا حسن، فهو ورث ثمرة الظلم. إن أسرته لم ترث الثراء من آدم، والمحتمل أن الكثير من أسلافه عاشوا مجهولين، ثم وجد بينهم من أثرى مغتصبا خير الآخرين.

وهل إبراهيم أقتنى ثروة ظالمة ؟ وأيوب الرجل الذى بلا لوم، عادل وصادق، التقى الذى امتنع عن كل شر ؟ ثروتهما لم تتكون من الذهب والفضة، ولا من العمارات، بل من الأغنام، وثروة أيوب كانت من الله، إنه أثرى فى الأغنام ويظهر ذلك بوضوح من النص حيث عدّد الكاتب ماحدث لهذا الشخص القديس قائلا: إن جماله، عبيده، وحميره فقدوا، ولم يقل أن اللصوص أتوا لينهبوا ذهبه. إبراهيم كان ثريا فى الخدم. ماذا إذن هل اشتراهم ؟ كلاّ ولهذا يقول الكتاب : إن خدمه البالغين ثلاثمائه وثمانية

وُلدوا عنده. وكان له أيضا خراف وعجول. كيف إذن تمكن من إرسال حلى من الذهب لرفقه ؟ هذا كان قد قدموه له فى مصر. ولكنه لم يرتكب عنفاً ولا غشاً.

٤ـ ضد البخلاء :-

وأنتم قولوا لى: كيف أصبحتم أثرياء ؟ أنا ورثت هذه الخيرات. ومن ورثت عنه ممن استلمها ؟ من جدى ـ وذاك ممن تسلمها ؟ من أبيه ـ هل تستطيعون بصعودكم إلى عدة أجيال، أن تثبتوا لى أن ثرواتكم شرعية ؟ كلاّ لن تستطيعوا ذلك. إذ يجب أن يكون الجذر والأصل غير ملوثين بالظلم . وكيف ؟ لأن الله هو مصدر الأصل، ولم يخلق غنيا وفقيرا، ولم يعط واحد كتلة من الذهب، فى غفلة من الآخر، بل سلم للجميع نفس الأرض. وإذا كانت الأرض مشاعة فكيف يمتلك الواحد الكثير من المساحات والآخر لم يحصل حتى على قطعة واحدة ؟ ـ سوف تجيب أبى الذى نقلها لى . – وهو ممن أستلم ؟.– من أسلافه .– إلا أنه يجب الوصول إلى أول استحقاق.

يعقوب أصبح غنيا، ولكن بالحصول على مكافأة المشاق التى تحملها . ومع ذلك أنا لا أريد أن أبحث فى هذه الصعوبات، سواء : كانت الثروة نقية من كل سلب أو غير مشروعة أنت غير مسئول عما ورثته من مكاسب غير مشروعة عن والدك. أنت تملك ثمرة السلب، ولكنك لم تسرقها بنفسك، وسأوافقك أيضا أنه ليس والدك هو الذى سرقها، فقد وجد نفسه مالكاً لهذا الذهب الذى تدفق من باطن الأرض. فهل الثروة صالحة لهذا السبب ؟ ـ كلاّ، بلاشك سوف تقولون إن الثروة ليست رديئة على الإطلاق ـ هذا إذا كان صاحبها لم يحصل عليها ظلما، وأعطى جزءا منها للمحتاجين، ولكن إذا رفض ذلك فهى رديئة ومليئة بالفخاخ ـ ولكن طالما لم

تسبب شرا، هى ليست رديئة حتى ولم لم تكن سببا للخير. ـ فليكن؛ أليس الشر هو الإنفراد بأخذ مايخص الله، والاستمتاع الفردى الأنانى بما يخص الجميع ؟ والأرض أليست هى ملكاً لله بكل ماتحتويه ؟ فإذن مادامت ثرواتنا تخص رب العالم فهى تخص البشر الذين يخدمونه مثلنا، لأن كل مايخص السيد فهو لاستعمال الجميع. ألا تلاحظون فى البيوت الكبيرة، كل شئ موزع بنظام تام، فالغذاء موزع على الجميع بالتساوى، لأنه من مؤونة السيد، وبيته مخصص لرعاية الجميع. وكذلك بالنسبة لما يخص الدولة، فإن المدن والميادين والمتنزهات العامة فهى تخص الجميع؛ وكلنا لنا فيها نصيب متساو.

تأملوا التدبير الإلهى: الله لكى يخجل البشر، خلق بعض الأشياء للجميع معا يستفيدون منها بالتساوى كإخوة، مثل الهواء، الشمس، المياه، الأرض، السماء، البحر، النور، النجوم. الخالق أعطى الجميع عيونا، أجسادا، نفوسا، من نفس الطبيعة؛ ومع ذلك لاشئ من هذا كله يخجل جشعنا. كما وضع أيضا أشياء أخرى عامة، الحمامات، المدن والميادين والمتنزهات العامة. كلها أشياء لاتثيرا صراعات، الكل يستمتع بها فى سلام، ومتى حاول شخص ما أن يأخذ لنفسه شيئاً ليحتكره هنا يبدأ الشجار؛ كما لو كانت الطبيعة نفسها تسخط لأن الله جمعنا لنعيش فى شركة ونحن نتشاجر ونتقسم ونجزئ هذا الأشياء لكى نمتلكها، ونتداول هذه العبارات : هذا يخصك وذاك يخصنى. حينئذ ندخل فى مجال المصارعة والألم. وهذا لا يحدث بالنسبة للمنافع العامة، فلا نرى مصارعة ولاشجاراً. لماذا لم نسمع أبداً قضية موضوعها المكان العام ؟ لأنه مشترك بين الجميع، بينما نرى فى كل لحظة قضايا سببها التنازع على عقار أو نقود. فكل ماهو ضرورى أعطى لنا جميعا من الله مشتركا، لكننا لانعرف

أن نحافظ على التمسك بروح الجماعة فى أشياء قليلة الأهمية. الله سلم لنا كل هذا مشتركا، لكى يعلمنا كيف نتمتع فى شركة مع الآخرين، ومع كل هذا فنحن لم نتعلم بعد.

وكما قلت، كيف يمكن للذى يمتلك الثراء أن يكون صالحاً ؟ هذا مستحيل، إلا إذا أعطى جزءا من ثروته للآخرين، وإذا تجرد منها فيكون حينئذ صالحا. وطالما يتمسك بها فهو غير صالح. هل هو خير ذاك الذى يجعلنا فى مصاف الأشرار عند الأحتفاظ به، وفى مصاف الأبرار عندما نتجرد عنه ؟ إذا فليس الخير فى امتلاك الكنوز، بل يظهر الإنسان خيرا عندما لايمتلكها. إذن فإن الثروه ليست خيرا طالما أنك لاتصبح إنسانا باراً إلا إذا رفضتها وكان فى إمكانك الحصول عليها أنت لست سيد ذهبك لأنك تعتبره خيرا، وتستسلم للإعجاب به. نق مفهومك، وليكن حكمك سليماً، وستصبح حينئذ إنسانا فاضلاً، تعلم معرفة الخيرات الحقيقية. وماهى ؟ الفضيلة، الصلاح، هذه هى الخيرات وليست الثروة. بإتباع هذه القاعدة تصبح أكثر سخاء فى الصدقة، وإنسان الله بالحقيقة، وموضع احترام وتوقير البشر، على عكس ما لو احتفظت بثروتك. لنصبح فضلاء، حتى نحصل على الخيرات العتيدة فى المسيح يسوع ربنا، الذى له مع الآب والأبن والروح القدس، المجد والقوة، والعزة الآن وكل آوان وإلى دهر الدهور آمين.

+ + + + +

الموعظة الثالثة عشرة

"أوص بهذا وعلّم، لايستهن أحد بحداثتك بل كن قدوة للمؤمنين فى الكلام فى التصرف فى المحبة فى الروح فى الإيمان فى الطهارة. إلى أن أجئ أعكف على القراءة والوعظ والتعليم، لاتهمل الموهبة التى فيك المعطاة لك بالنبوءة مع وضع أيدى المشيخة". (٤ : ١١ - ١٤ حتى ٥ : ٧)

التحليل

١ـ واجبات الأسقف : السلوك الواجب نحو الشيوخ والشباب، نحو السيدات المسنات والشابات، نحو الأرامل.

٢ـ واجبات الأرملة.

٣، ٤ـ ضد الإفراط فى الأكل ـ تصوير مخيف.

١ـ واجبات الأسقف :-

توجد موضوعات تحتاج لأوامر وأخرى لتعاليم. فإذا أمرت بما يجب أن تعلم به، سيسخرون منك، ونفس الوضع إذا علمت بما يجب أن تأمر به. فعلى سبيل المثال : لاتكن فاسدا، ليس موضوع تعليم بل أمر مشدّد بالتحريم، فهى مادة للأمر. ولكن إذا تحدثت عن بسط الخيرات، أو حفظ البتولية، أو ناقشت موضوع الإيمان، هنا يلزم التعليم. لذا بولس أسس النوعين: يقول "أوص وعلّم" وعلى سبيل المثال، إذا حمل أحدا أحجبة أو مايشابه ذلك، وهو يعلم أنه يفعل شرا، فالموضوع هنا يحتاج إلى صيغة الأمر، أما إذا كان يفعل ذلك بجهل، فهنا يلزم التعليم.

يقول: "لايستهن أحد بحداثتك" الملاحظ هنا أن الأب الكاهن يجب أن

يأمر، ويتكلم بحزم، ولايعلم فى كل الأوقات. الشباب بالنسبة لحداثته دائما مستهان به لسبق الحكم عليه من قبل العامة. ولهذا يقول "لايستهن أحد بحداثتك" لأنه يجب أن يكون المعلم مكرماً. قد يقال : كيف يتفق التمسك بطول الأناة والترفق مع الإستهانة والتحقير ؟ نرى أنه فى الأمور التى تتعلق بشخصه وتخصه، عليه أن يحتمل معاناة الإستهانه به، لأنه بالتحلى بطول الأناة يكمل التعليم المسيحى. أما فيما يخص الغير، فالأمر على خلاف ذلك، إذ أن الأمر سوف لايكون ترفقا وإنما تراخيا وعدم إهتمام. إذا أخذ بالثأر عن السفاهة والشتائم والإثارات الموجهة ضده، فمن الحق لومه، ولكن إذا كان الموضوع يتعلق بخلاص الآخرين. فعليه أن يتكلم بسلطة، ويجمع مابين القوة والفطنة، فهو محتاج فى هذه الحالة للقوة وليس للوداعة، حتى يتفادى الخسارة العامة. "لايستهن أحد بحداثتك" لأنه فى الواقع من يعيش حياة تتسامى فوق طياشة هذا السن، فهو يكتسب وقاراً سامياً بدلا من الاستهانة به. "بل كن قدوة للمؤمنين فى الكلام فى التصرف فى المحبة فى الروح فى الإيمان المستقيم (الأرثوذكسى) فى الطهارة". "مقدما نفسك فى كل شىء قدوة للأعمال الحسنة" (تى٢ :٧) أى أن تكون نموذجا كاملاً للسلوك، وكصورة مرئية أمام الجميع، قانونا حيا، مثالاً لحياة صالحة وأن يكن لكلامك طابع الرقة، لأن هذه هى صفات المعلم.

"إلى أن أجئ، إعكف على القراءة، والوعظ، والتعليم" الرسول يأمر تيموثيئوس أن يعكف على القراءة ليتنا نسمع هذا الكلام ونتعلم عدم الإهمال فى التأمل فى الأمور الروحية. يقول أيضاً: "إلى أن أجئ" أنظروا كيف يواسيه لأن هذا التلميذ اليتيم محتاج لسيده. "أعكف على

قراءة الكتب الإلهية" "والوعظ والتعليم" "لاتهمل الموهبة التى فيك المعطاة لك بالنبوة" إنه يتكلم عن موهبة التعليم. "مع وضع أيدى المشيخة" وليس من قس بسيط، بل من أسقف، لأنه لم يكن الكهنة هم الذين يقيمون الأسقف؛ بل الأسقف هو الذى يقيم الكهنة.

"اهتم بهذا كن فيه" أنظروا كيف يعود الرسول ويقترب إلى تلميذه تيموثيؤس بنفس التوجيهات مظهرا له أن هذا هو الموضوع الرئيسى لحماس الذى يعلم.

"لاحظ نفسك والتعليم وداوم على ذلك" أى لاحظ نفسك ثم علم الآخرين. "لأنك إذا فعلت هذا تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضا" لأن الذى يتربى بكلمات التعليم هو أول من يقطف الثمرات، إذ وهو يُعلِّم الآخرين يلمس بكلامه قلبه هو أولاً. ماقاله الرسول لم يقله لتيموثيؤس وحده بل للجميع. إذا كان الرسول يتكلم هكذا مع شخص كان يقيم الأموات فمن أين لنا أن نصل إلى هذا ؟ قال السيد المسيح: "يشبه رجلا رب بيت يخرج من كنزه جددا وعتقاء" (مت ١٣ : ٥٢) ويقول الطوباوى بولس بدوره : "حتى بالصبر والتعزية بما فى الكتب يكون لنا رجاء" (رو ١٥ : ٢٤) وخاصة أنه مارس هذا بنفسه، عندما كان يتعلم شريعة أبائه عند رجلى غمالائيل. فهو منذ ذلك الوقت كان يعكف على القراءة، وبلاشك كان يوجه لنفسه التحذيرات التى وجهها بعد ذلك للآخرين. أنتم ترونه دائما يذكر شهادات الأنبياء فاحصا معانيها الخفية. هكذا كان بولس يعكف على القراءة؛ والفائدة التى توجد فى الكتب ليست بقليلة، ومع هذا فإننا نهملها.

"لكى يكون تقدمك ظاهرا فى كل شىء"هو يريد لتلميذه أن يصل بهذا التقدم والتفوق حتى يكون عظيما وجديرا بالإعجاب، إذ أن تيموثيؤس كان فى حاجة إلى هذا التوجيه. "لكى يكون تقدمك ظاهراً فى كل شىء" ليس فقط فى سلوكه بل أيضا فى أحاديث تعليمه.

"لاتزجر شيخا" (٥ : ١) هل يقصد هنا الكاهن ؟ لا أعتقد ذلك : هو يقصد كل من هو متقدم فى السن. كيف ذلك ! هل إذا كان محتاجا للتقويم ؟ إسلكوا تجاهه طبقا لتوجيه بولس، كما تجاه أب أرتكب خطأ، كلموه بنفس الطريقة "والعجائز كأمهات، والأحداث كأخوة، والحدثات كأخوات بكل طهارة" الزجر فى طبيعته قاس، وأقول إنه لايتخذ إلا للضرورة؛ وإذا وجه من شاب إلى شيخ يكون الخطأ مضاعفا لكن يمكن أخذ الأمور دون تجريح إذا روعى الحذر فى التطبيق باستخدام اللطف.

"الأحداث كإخوة" ماسبب هذا التوجيه الذى يوجهه بولس لتيموثيؤس؟ لأنه يريد أن يفهمنا أن الشباب متكبر ومعتد، ويلزم إذن هنا تلطيف الزجر بأسلوب معتدل. "والحدثات كأخوات" ويضيف "بكل طهارة" لاتتجنبوا فقط العلاقات الآثمة، بل كل ما يثير الشكوك، وحيث أن العلاقات مع الحدثات تثير دائما الشكوك، ومع هذا لايقدر الأسقف أن يتجنب التعامل معهن، لذا قال الرسول: "بكل طهارة" ولكن يابولس لماذا توجه هذه التعليمات لتيموثيؤس؟ يجيب الرسول إننى أفعل ذلك لأن بمخاطبتى معه إنما أخاطب العالم كله. فإذا كان يتكلم هكذا مع تيموثيئوس، فلكى يفهم كل منا ما يجب أن يكون عليه، رافضين كل مايثير الشك غير معطين ظلاً من العذر للذين يريدون الأفتراء علينا.

"أكرم الأرامل اللواتى هن بالحقيقة أرامل" لماذا لم يتكلم هنا عن البتولية، لم يقل حتى أكرم العذارى ؟ على مايظهر أن البتولية لم تكن قائمة وقتئذ، أو أنهن قد سقطن. إذ يقول : إبليس جذب الكثيرين إلى حاشيته. "أكرم الأرامل اللواتى هن بالحقيقة أرامل" لأنها ممكن أن تكون بلا زوج وليست أرملة، كما أن بتولية البتول ليست فى عدم زواجها، بل يجب أن تكون بلا لوم مجتهدة فى تطبيق واجباتها، هكذا أيضا بالنسبة للترمل: فإن ما يجعل المرأة أرملة ليس هو فقد الزوج، بل حياة العفة وضبط النفس عن الشهوة والصبر والعزلة. أولئك هن الأرامل اللواتى يطالب الرسول بتبجيلهن بحق. فى الواقع أنه يجب إكرام هؤلاء السيدات، بما أنهن وحيدات، ليس لهن رجل يحميهن، وفى المجتمع حالتهن معرضة للوم، ويظهرن سيئات الحظ. ولهذا يريد الرسول أن يكن مكرمات جدا من الكاهن ليس فقط لأجل الأسباب التى ذكرت، بل لأنهن جديرات بالوقار.

"ولكن إن كانت أرملة لها أولاد أو حفدة فليتعلموا أولا أن يوقروا أهل بيتهم ويوفوا والديهم المكافأة". تأملوا حذر بولس فى توجيهاته وكيف أنه فى نصائحه يدعوا دائما إلى العلاقات الإنسانية. هو لم يأت هنا بفكرة كبيرة وسامية ولكن شيئا فى متناول الجميع : "يوفوا لوالديهم المكافأة" كيف ذلك ؟ أنت تربيت، وكبرت وتمتعت بالكرامه التى تركوها لك. وهم فارقوا هذا العالم، وأنت لم تتمكنى بدورك من السداد، لأنك لم تعطيهم لا الحياة ولا الغذاء، ردى لهم هذا المعروف فى خلفائهم، سددى دينك هذا فى أولادك. "فليتعلموا أولا أن يوقروا أهل بيتهم" الرسول يوضح كل الواجبات فى عبارة واحدة، إذ يقول: "لأن هذا صالح ومقبول لدى الله". وعندما قال : "اللواتى هن بالحقيقة أرامل" يوضح ماهى الأرملة الحقيقية

فى قوله: "التى هى بالحقيقة أرملة ووحيدة فقد ألقت رجاءها على الله وهى تواظب الطلبات والصلوات ليلا ونهارا أما المتنعمة فقد ماتت وهى حية" كذلك يقول لنا الرسول : التى لم تختار الحياة الدنيوية والتى تعيش فى الوحدة، هذه هى الأرملة الحقيقية. وهى التى ألقت رجاءها على الله كما يجب، وانهمكت بالطلبات والصلوات ليلا ونهاراً؛ هذه هى الأرملة؛ وهذا لايعنى أن التى لها أولاد لاتكون بالحقيقة أرملة، لأن الرسول يعجب أيضا بالتى تربى أولادها. كما يجب عليها، إنما هو يتكلم هنا عن التى ليس لها أولاد، الوحيدة، فهو بعد ذلك يواسيها لحرمانها من الأولاد، يقول لها إنها بالحقيقة أرملة، لأنها ليس حرمت فقط من السلوى التى كان يعطيها لها زوجها، ولكن أيضا من التى كان يعطيها لها أولادها، ولها الله الذى يعوضها عن الجميع. لأن المحرومة من الأولاد ليست أقل من الأخرى، بل يملأ الرسول بتعزياته الفراغ الذى تعانيه من جراء هذا الحرمان. يقول لها: لاتحزنى، عند سماعك هذه العبارة الخاصة بتربية الأولاد، وأنت ليس لك أولاد، مما يجعلك تعتبرين نفسك أقل استحقاقا؛ لأنك بالحقيقة أرملة.

٢ـ واجبات الأرملة :ـ

"أما المتنعمة فقد ماتت وهى حية" فى الواقع أن هناك كثيرات عندهن أولاد ويفضلن حياة الترمل، لا لكى يحرمن أنفسهن من متع الحياة، بل بالأحرى لكى يعشن أكثر استقلالاً ويعطين لأنفسهن فرصة أكبر للتعلق بالعالم، لذلك يقول لهن بحق "أما المتنعمة فقد ماتت وهى حية" ماذا هل يجب ألا تعيش الأرملة فى التنعم ؟ نعم بالتأكيد وكلام الرسول هنا يؤكد ذلك. لنرى ماذا يفعل الأحياء وماهى حالة الأموات، وفى أى الرتب يجب أن نضعها. الأحياء هم الذين يعملون للحياة العتيدة، أى

الحياة الحقيقية. وماهى الحياة العتيدة التى يجب أن نشغل بها أنفسنا دون توقف ؟ إسمعوا قول السيد المسيح : "تعالوا إلى رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم لأنى جعت فأطعمتمونى، عطشت فسقيتمونى" (مت ٢٥:٣٤، ٣٥) هل الأحياء لايتميزون عن الأموات إلا برؤية الشمس والسموات، أقول لا ليس هذا هو الفرق، بل هو ممارسة الخير، فإن لم يمارسوه فهم ليسوا أفضل من الأموات.

٣ـ ضد الإفراط :-

ولتعليمكم إسمعوا كيف يمكن أن نعيش ونحن أموات. يقول الإنجيل: "ليس الله إله أموات بل إله أحياء" (مت ٢٢ : ٣٢) قد يقال هذا لغز آخر. حسنا ! فلنوضحهما هما الإثنين. هذا الذى يعيش فى التنعم هو ميت مع أنه حى. وكيف؟ لأنه لايعيش إلا ببطنه وليس بحواسه الأخرى، فلا ينظر مايجب أن ينظره، ولايسمع مايجب أن يسمعه، ولاينطق بما يجب أن يتكلم به، ومايجب أن يراه ويسمعه ويتكلم به الأحياء، مثل رجل ممدد على سريره، مغلقا عينيه لايرى شيئا مما يمر به، هذه هى حالة الإنسان الذى يعيش فى التنعم، أو أنه فى حالة أسوأ بكثير. لأن الأول تتساوى عدم حساسيته فى الخير والشر، أما الآخر فلا يحس سوى بالشر، أما إحساسه بالخير فهو لايزيد عما تحس به الجثه. لا يشغل نفسه بشىء عن الحياة العتيده، إذن بهذا فهو ميت، إن شهوته تحضنه بين ذراعيها وتقوده إلى مأوى مظلم، فى وكر دنس، وتجعله يبقى فى الظلمات، كالأموات فى قبورهم.

فى الواقع عندما يمض كل وقته على المائدة أو فى السكر أليس هو

فى الظلمات ؟ أليس هو ميتا ؟ وحتى فى الصباح الذى يبدو فيه صائما، فصراحة ليس هو بصائم، لأن الخمر التى شربها فى المساء لازالت باقيه معه، هو فريسة لرغبة عنيفة فى الفساد الذي سيزاوله، إذ يمضى السهرة ونصف اليوم في الولائم، يقضى طول الليل وأجمل أوقات النهار فى نوم ثقيل. قولوا لى هل يحسب هذا الإنسان فى عداد الأحياء ؟ وماذا يقال عن عواصف النفس الناتجة عن الشهوة، والتى تنتشر حتى تصل إلى الجسد ؟ مثل كتلة من السحاب لاتسمح بشعاع الشمس أن يمر، هكذا الأبخرة الناتجة عن اللذة والخمر تشغل المخ، وتتكثف به كسحابه عميقة، لاتسمح للعقل أن يظهر ويظل الذى فى هذه الحالة فى ليل عميق. يا لها من عاصفة تعصف بصاحبها من الداخل.

وبالمثل كما يحدث فى الفيضانات عندما تجتاز المياه أعتاب المنازل وتجتاحها، نشاهد السكان يسرعون مرعوبين يمسكون الأطباق والجرار، والإسفنج، وأشياء أخرى حتى يمنعوا المياه من هدم أساساتها، ويضعوا خارجا كل الأشياء غير المستعملة التى يحتويها المنزل؛ هكذا الشهوة عندما تنزلق من كل ناحية فى النفس تربك القدرات العقلية، وتعجزها من التخلص مما غزاها، لأن الغزو مستمر، والعاصفة مرعبة. لاتنظروا للوجه الضاحك والمضئ، بل إبحثوا الداخل وسوف ترون إنسانا محطماً بالحزن الذى يملأه. ولو كان فى الإمكان إخراج النفس من الجسد وعرضها أمام أعيننا، لكنتم رأيتم نفس الشهوانى كم هى كئيبة حزينة، مجهده، وبقدر مايسمن ويغلظ الجسد، تضعف النفس وتجهد.

كما أن قرنية العين إذا غلظت، لاتتمكن الأشعة البصرية من النفاذ

منها وغالباً مايحدث العمى. بالمثل عندما يسمن الجسد فإنه يسد الطريق إلى النفس. وكما أن أجساد الأموات تفسد وتتعفن والدم الفاسد يخرج منها، هكذا نرى فى الأشخاص المستسلمين للحياة الشهوانية إنهم يصابون بالزكام والإلتهاب، والبلغم، والقئ والتكرع، وسأترك الباقى الذى أخجل من ذكره. هنا نتيجة تحكم الشهوات التى تسبب لهم ما لا نجسر عن التعبير عنه. يفوح من أجسادهم أيضا الفساد من كل جانب - لكنهم يأكلون ويشربون ؟ هل هذه هى الحياة الإنسانية ؟ أليست البهائم أيضا تأكل وتشرب ؟ فمتى ماتت النفس فما هى الحاجة للطعام والشراب ؟ عندما يصبح الجسد جثة فالملابس المعطرة التى تغطيه لاتنفعه بشىء، وبالأكثر إذا ماتت النفس فإنها لاتستفيد البتة من عطر الجسد. إذا كان فكره لاينشغل سوى بالطباخين ورؤساء الخدم وبالخبازين، إذا كان لاينطق بعبارة فيها تقوى أليس هو ميت ؟ ما هو واقع الإنسان ؟

الفلاسفة الوثنيون يقولون لنا إنه حيوان عاقل، فان، قابل للمعرفة والعلم، ولكن الأمر ليس بشهادتهم هم، بل الكتاب المقدس هو الذى يحدد طبيعته. كيف يحددها ؟ يقول : "وكان هذا الرجل كاملا ومستقيما يتقى الله ويحيد عن الشر" (اى ١ : ١) ولكن الذين ليسوا كذلك حتى ولو كانوا موهوبين بالذكاء وصالحين للعلم ألف مرة فإن الكتاب المقدس لايعترف بهم كبشر بل كلاب، أفاعى، حيات وثعالب. فإذا كان الكتاب المقدس قد حدد طبيعة الإنسان الكامل، إذن فالشهوانى ليس إنسانا. كيف يكون إنسانا وهو لايهتم بأى من هذه الصفات ؟ لايمكن لإنسان أن يكون شهوانيا ومعتدلاً. فالصفة الأولى تستبعد الثانية. والوثنيون أنفسهم يقولون ذلك.

لا وجود للنفس الرقيقة إطلاقا مع البطن الغليظ

والكتاب بين جيدا الأشخاص المجردين من النفس بهذه الكلمات "لأنه بشر" (تك ٦ : ٣) مع أنهم كانت لهم نفس إلا أنها كانت ميتة. مثلما نقول عن الناس الفضلاء، إنهم عبارة عن نفس، عبارة عن روح رغم أن لهم جسد فهذا أفضل من أن يقال عنهم إنهم عبارة عن جسد. وهكذا قال بولس الرسول "وأما أنتم فلستم فى الجسد" (رو ٨ : ٩) لأنهم لم يكملوا أعمال الجسد. وبالمثل الشهوانيون هم ليسوا فى الروح ولا فى النفس.

تصوير مخيف :-

"أما المتنعمة فقد ماتت وهى حية" إسمعوا يا من تقضون كل أوقاتكم فى الولائم والسكر، ولاتوجهون أنظاركم قط للفقراء الذين يعيشون فى الوهن ويموتون جوعا، وأنتم تعيشون دائما فى التنعم. وبإفراطكم تسببون موتا مضاعفا، موت هؤلاء البؤساء وموتكم أنتم؛ ولو أضفتم فائضكم إلى بؤسهم لأوجدتم حياة مضاعفة. لماذا تتخمون معدتكم بإفراطكم وتتسببون فى سقم ووهن الفقير من فرط حزنه ؟ أنتم تفسدون معدتكم بتجاوز المعيار، وبتجاوزه أيضا تعملون على جفاف معدة الفقير. فكروا فيما هى الأطعمة وكيف تتحول وماذا تصبح. آه هل كلامى هذا يجرح شعوركم ؟ لماذا كل هذا الإسراع أثناء إبتلاع الغذاء، هل للحصول على أكبر قدر منه؟ الطبيعة لها حدودها، ومن يتجاوزها لاينتفع من زيادة الغذاء، بل أن زيادته مؤذية وغير نافعة. غذوا جسدكم ولاتقتلوه. الغذاء ليس معناه القتل، بل ما يكفى للتغذيه وأعتقد أن الجهاز الهضمى معد هكذا، حتى لا نكون أصدقاء للإفراط. نحن شديد الشره أمام لذات

المائدة، وكثيرا ما ننفق فى وليمة تركة بأكملها. نحن نفسد أنفسنا باستسلامنا لهذا الإفراط حيث يصبح جسدنا شبيها بقربة يتصاعد منها الخمر. شىء محزن، أننا نهتم بوقاية المجارى من الإنسداد حتى لا تطفح ونهتم كثيرا بتنظيفها بمخالب وفئوس، أما بالنسبة لأوعية المعدة فبدلا من أن نتركها خالية فإننا نزحمها ونسدها : القانورات تصعد إلى مقر الملك، أقصد المخ، ونحن لانبالى. نحن نتصرف كما لو كان لايوجد هنا ملك يحب اللياقة، بل يوجد كلب نجس. إن الخالق عزل هذه الأعضاء بعيداً حتى لاتضايقه، ولكننا نربك وظيفتها ونفسد كل شىء بإفراطنا. ماذا يقال عن الأضرار الناتجة عن ذلك ؟ إردموا قنوات البالوعات، وسوف ترون بعد فترة بسيطة تولد الطاعون.

أليس الذى يحجزه الجسد فى الداخل ولا مخرج له ينتج عنه آلاف الشرور للنفس والجسد ؟ الشىء المخيف هو أن الكثيرين يتذمرون ضد الله من الضرورات الخاضع لها جسدنا، وهم أنفسهم ينمونها. الله أعطانا هذه الشرائع حتى نحيد عن الإفراط، وأنتم ليس فقط لا تتحولون عن الإفراط، بل تغوصون فيه حتى السحر لطول فترة الوجبه، ألا تنتهى حاسة التذوق بمجرد تجاوز الأطعمة اللسان والحلق ؟ إن الإحساس يختفى حينئذ ولكن التوعك يستمر لأن المعدة لا تعمل أو تعمل بمشقه.

إذن الرسول قال بحق "أما المتنعمة فقد ماتت وهى حية" لأن النفس التى تعيش هكذا لايمكن أن تسمع ولاتقدر أن تسمع، هى نفس مرتخيه، عديمة السخاء والشجاعة والحرية، خجولة قليلة الحياء، ساقطة متملقة، جاهلة، غضوبة، شرسة، ومليئة بكل الشرور، ومجردة من كل الحسنات.

"وأما المتنعمة فقد ماتت وهى حية" فأوص بهذا لكى يكنّ بلا لوم (اتى ٥:٦، ٧) إذن هذه شريعة فلايتركهن لإختيارهن بل يقول له أوصيهن أن لا يعشن فى التنعم، لأنه شر بالتأكيد، ولا يجوز للمتنعمات أن يشتركن فى الأسرار الإلهية؛ ترون إذن أنه يضع هذا السلوك فى عداد الخطايا.

فطاعة للرسول، نحن أيضا ننذركم بأن الأرامل اللائى يعشن فى التنعم لايحسبن في عداد الأرامل لأنه إذا كان الجندي الذي يعطى كل وقته للحمامات والمسارح، والأعمال الخاصة به، ينظر إليه كهارب من الجندية، فكم بالحرى يجب أن يقال هذا عن الأرامل ؟ ليتنا لا نبحث عن راحتنا هنا حتى نجدها فى الحياة الأخرى، ليتنا لا نعيش هنا فى التنعم، حتى ننعم فى الحياة الأخرى بمتع حقيقية، مسرات حقيقية لاينتج عنها أى شر، بل تمكننا من الحصول على الكثير من الخيرات، التى أتمناها لكم جميعا فى المسيح يسوع ربنا الذى له مع الآب والروح القدس، المجد والقوة، والعزة، الآن وكل آوان، وإلى دهر الدهور آمين.

+ + + + +

الموعظة الرابعة عشرة

"وإن كان أحد لايعتنى بخاصته ولاسيما أهل بيته فقد أنكر الإيمان وهو شر من غير المؤمن. لتكتتب أرملة إن لم يكن عمرها أقل من ستين سنة إمرأة رجل واحد. (٥ : ٨ ـ ١٠)

التحليل

١ـ الأهتمام بخلاص الأقرباء واجب دقيق.

٢ـ عن الأرامل.

٣، ٤، ٥ ـ عن ممارسة الصدقة ـ حياة المتوحدين العجيبة.

٦ـ يوجد أيضا قديسون فى الحياة العامة المشتركة.

١ـ الأهتمام بخلاص الأقرباء :-

كثيرون يعتقدون أن فضائلهم الشخصية تكفى لخلاصهم وإنهم، إذا نظموا جيدا حياتهم لاينقصهم شيء لإصلاحهم. هؤلاء هم مخطئون. ومثلهم مثل الإنسان الذى طمر وزنته الوحيدة وقدمها لسيده دون نقص أو زيادة. وهذا أيضا مايرينا إياه الطوباوى بولس بقوله : "إذا كان أحد لايعتنى بخاصته". هو يقصد بهذا النص كل أنواع العناية، العناية بالروح بقدر العناية بالجسد "بخاصته ولاسيما أهل بيته" أى أسرته "وهو شر من غير المؤمن" وهذا مايقوله أشعياء النبى أكبر الأنبياء "لاتتغاضى عن لحمك" (أش ٥٨ : ٧) لأن الذى يهمل احتياجات أقربائه بالميلاد، المتحدين بصلة القرابة الدموية، كيف يكون حنونا تجاه الآخرين؟ أليس الذى يوجه

إهتمامه للآخرين وهو مهمل وعديم الشفقة تجاه خاصته يعتبر عمله من أعمال الزهو وماذا يظن فى الذى يعلم الإيمان للغرباء، ويترك نويه فى الخطأ وخاصة إذا كان تعليمهم أكثر سهولة بالنسبة له، ومتى كان هذا العمل الصالح تقتضيه بالأكثر مطالب العدالة ؟ فهل هذا إنسان خير بالحقيقة ؟ قد يقال كلاً بالتأكيد، إن المسيحيين الذين يتركون نويهم دون عناية ليسوا خيرين. يقول الرسول: "هو شر من غير المؤمن" لماذا ؟ لأن غير المؤمن إذا أهمل الآخرين فهو لايهمل أقاربه. وهكذا فالذى لايوفى بهذا الواجب، يخالف الشريعة الإلهية، والشريعة التى للطبيعة. فإذا كان الذى لايعتنى بخاصته قد أنكر الإيمان وهو شر من غير المؤمن، فكم بالحرى الذى أرتكب أخطاء ضدهم ؟ وفى أى درجة سيكون ؟ هو أنكر الإيمان، وكيف ؟ لأنه طبقا لقول الرسول : "يعترفون بأنهم يعرفون الله ولكنهم بالأعمال ينكرونه" (تى ١ : ١٦) وبماذا أوصى الله من جهة إيمانهم ؟ أوصاهم بعدم إهمال نويهم.

لنفهم نحن الذين كثيرا مانهمل احتياجات أقاربنا، حتى نوفر ثرواتنا. أن الله أسس الروابط العائلية حتى يكون لدينا بواعث مضاعفة لفعل الخير لبعضنا البعض. فإذا كنتم لا تطبقون فضيلة يطبقها غير المؤمن ألستم تنكرون الإيمان ؟ لأن الإيمان ليس أقوالاً تخرج من الفم، بل أن تعمل أعمالاً جديرة به. لأن الإيمان وعدم الإيمان يطبقان على كل شىء. فالرسول بعد أن تكلم عن حياة الرخاوة، وعن الأرملة التى تعيش فى التنعم، يقول لنا إنها لاتهلك فقط بسبب شهواتها، بل أن شهواتها هذه تجبرها على إهمال أسرتها. وهذه حقيقة، لأنها تعيش لبطنها، وبذلك تهلك ما دامت تنكر إيمانها. "وهو شر من غير المؤمن" لأن الخطأ فى إهمال احتياجات القريب والصديق لايتساوى مع خطأ إهمال إحتياجات الغريب وغير الصديق، إذ أنه مع الأقارب والأصدقاء يستوجب لوما أكثر.

"لتكتتب أرملة إن لم يكن عمرها أقل من ستين سنة إمرأة رجل واحد مشهود لها فى أعمال صالحة" كما سبق أن قال الرسول: "ولكن إن كانت أرملة لها أولاد أو حفدة فليتعلموا أولاً أن يوقروا أهل بيتهم ويوفوا والديهم المكافأة" (اتى ٥ : ٤) كما قال أيضا : "أما المتنعمة فقد ماتت وهى حية" (اتى ٥ : ٦) وأيضا أن "الذى لايعتنى بخاصته ولاسيما أهل بيته فقد أنكر الإيمان وهو شر من غير المؤمن" (١اتى ٥ : ٨) لقد أوضح الرسول الأخطاء التى تجعل المرأة غير جديرة بأن تكتتب بين الأرامل، والآن يوضح الشروط الواجب عليها. ولكن ماذا ؟ هل نختارها حسب سنها ؟ وما هى الحكمة فى ذلك ؟ وهل الأمر يتطلب أن يكون سنها ستين سنة ؟ كلاً فليس الأمر مرهونا فقط بسنها، فحتى إذا بلغت هذه السن وهى لاتملك الفضائل التى يتطلبها الرسول، لاتكتتب مع الأرامل. ولكنه سيقول لنا لماذا يطلب سنا معينا والباعث لذلك الأرامل أنفسهن.

إسمعوا ما سيأتى فيما بعد "مشهودا لها فى أعمال صالحة" أية أعمال ؟ "أن تكون قد ربت الأولاد" وهذا العمل قيمته ليست قليله، لأنه لايتعلق فقط بتغذيتهم، بل بتهذيبهم كما سبق أن قال الرسول : "إن ثبتن فى الإيمان والمحبة والقداسة مع التعقل" (اتى ٢ : ١٥) تلاحظون كيف أن الرسول فى كل مجال يقدم عمل الخير لأقاربها قبل الآخرين لأنه قال أولا: "أن تكون قد ربت الأولاد" ثم "أضافت الغرباء، غسلت أرجل القديسين، ساعدت المتضايقين اتبعت كل عمل صالح" وكيف يمكنها ذلك إذا كانت فقيرة ؟ هذا لا يمنعها عن تربية أولادها وضيافة الغرباء ومساعدة المتضايقين. هل هى أكثر احتياجا من تلك التى ألقت الفلسين (لو ٢١) وحتى لو كانت فقيره فلديها مسكن؛ فهى لاتسكن فى الهواء الطلق. "غسلت أرجل القديسين" فهذا لايستوجب نفقات كثيرة. "أتبعت كل

عمل صالح" بماذا يتعلق هذا الأمر ؟ إنه يتعلق بالقيام بخدمات بدنية، لأن النساء على وجه الخصوص نظيفات ويجدن تنظيم الأسرّه وتقديم مايكفل الراحة.

٢ـ عن الأرامل :-

آه ! إن الرسول يطالب الأرملة بالمواظبة على واجباتها تقريبا بقدر مايطالب الملتزم بالأسقفية. لأن هذه العبارة "أتبعت كل عمل صالح" تعنى أنها حتى لو كانت لم تستطع بمفردها إتمام هذا العمل، فهى قد ساعدت فيه. بهذا يبعد عنها الرخاوة، فهو يريد أ ن تكون متيقظه، صالحة، مقتصده، مداومة على الصلاة. هكذا كانت حنة. تأملوا مدى الكمال الذى يطالب به الرسول الأرامل، إنه أكثر مما يتطلبه من العذارى أنفسهن اللائى يطلب منهن كمالاً سامياً.

لأنه عندما يقول : "كمن رحمه الرب أن يكون أمينا" (١كو ٧ : ٢٥) عبارة تتلخص فيها الفضيلة كلها. تلاحظون أن عدم عقد الزواج الثانى لايكفى لتكتتب ضمن الأرامل، بل هناك شروطا أخرى. ولماذا لايتزوجن ثانية ؟ هل الرسول يدين هذا الفعل؟ كلاً : بل هذا القول يعتبر هرطقة، لكن الذى يريده الرسول أن تتفرغ للأعمال الروحية، وتكرس نفسها كلية للفضيلة. فالزواج ليس دنسا، إلا أنه يحول دون الاستخدام الحر للوقت، لذلك يقول الرسول: لكى تتفرغ (للصلاة) وليس لكى : تتطهر. لأن الزواج فى الحقيقة يسبب مشغوليات متواصلة. فإذا رفضت الزواج، لكى تعطى وقتك لمخافة الله، ولم تنفذى ذلك، فلن تستفيدى شيئاً، بإعطاء عنايتك للغرباء والقديسين. وحينئذ بإهمالك هذه الأعمال التى هى ثمرة مخافة الله تظهرين أنك بالأحرى قد ابتعدت عن الزواج لأنك تدينينه. وهكذا فإن

البتول التى لم تصلب فعلا، إنما امتنعت عن الزواج، لاعتقادها أنه آثم وغير طاهر.

تلاحظون أن الرسول يتكلم عن إضافة الغرباء وليس مجرد حسن الإستقبال البسيط، بل عن المحبة المندفعة بحماس الناتجة عن إرادة بشوشة، متممة عملها كما لو كانت تستقبل المسيح نفسه. والسيد المسيح لايريد أن هذه العناية تسند للخدم، بل تتم بواسطتهن لأنهن قد تدربن على الضيافة : "فإن كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض (يو ١٣ : ١٤).

فمهما كانت المرأة ثريه، ومهما كان لها من اعتبار تنعم به، عندما تتباهى بنبالة أسلافها، فمع كل ذلك لاتصل إلى الفارق الذى بين السيد المسيح وتلاميذه. فإذا استقبلتن ضيفا كما لو كنتن تستقبلن السيد المسيح نفسه، فلا تخجلن، بل لتكن بالحرى فخورات بالعناية التى تعطينها له، وإذا لم تستقبلنه كالمسيح؛ فلا يعد هذا استقبالا "من يقبلكم يقبلنى ومن يقبلنى يقبل الذى أرسلنى" (مت ١٠ : ٤٠) فإذا لم تستقبلن هكذا ضيفكن لن تحصلن على المكافأة إبراهيم إعتقد أنه يستقبل مسافرين فى الطريق، ومع ذلك لم يترك كل شىء لخدمه، بل أمر زوجته أن تعجن الدقيق، وهو الذى كان عنده ثلاثمائة وثمانية عشر خادما وبالتأكيد كان بينهم خادمات، لكنه أراد أن يحصل بنفسه هو وزوجته على المكافأة، ليس فقط عن النفقات بل أيضا عن الخدمات.

هكذا يجب أن تكون الضيافة، أن نعمل كل شىء بأنفسنا، حتى نكون مكرسين وتكون أيادينا مباركة. إذا أعطيتم الفقراء لاتهملوا أن تعطوا بأنفسكم لأنكم لا تعطونهم هم بل المسيح. وليس هناك من هو أسوأ حالا ممن لايمد يده ليعطى المسيح. هذه هى الضيافة، هنا العمل الحقيقى

لله. وإذا أردت أن تكرم ضيفك بالجلوس فى الصف الأول فلتحرص أن يكون ذلك بلطف وليس بأمر. لتراع كيف تقلل بقدر إمكانك من حرجه وخجله، لأن خجل الضيف من حسن استقباله هو أمر طبيعى، ولكى تقلل من خجله من كرم استقبالك له فلتشعره أنك أنت الذى سعدت وأخذت أكثر مما أعطيت. أما الذى يعتقد أنه تكبد خسارة أو أنه محسن، فقد فَقَدَ كل شىء، والذى ينظر فى نفسه أنه سعيد بما قدمه قد أخذ أكثر مما أعطى. "المعطى المسرور يحبه الله" (٢ كو ٩ : ٧) أنتم ملتزمون قبل الفقراء بالإعتراف بالجميل أكثر من التزامهم قبلكم، لولا الفقراء لما تمكنتم من محو كثرة خطاياكم، هم أطباء جراحاتكم، وأياديهم الممتدة هى الدواء الذى يعطونه لكم. اليد التىيمدها الطبيب للمريض، والأدوية التى يقدمها له لاتكون سببا فى شفائه وإزالة آلامه أكثر من يد الفقير الممتدة لك لأخذ صدقتك. مثل الكهنة "يأكلون خطية شعبى" (هو ٤ : ٨) وهكذا أنتم تأخذون أكثر مما تعطون، الفقير هو بالأحرى المحسن وفاعل الخير. أنتم تقرضون الله وليس الإنسان بفائدة مضاعفة أنتم تنمون ثروتكم بدلا من أن تخفضونها، سوف تنقصونها إذا لم تأخذوا منها شيئا للعطاء.

٣ـ ممارسة الصدقة :-

يقول الرسول: "أضافت الغرباء غسلت أرجل القديسين" أى قديسين؟ الذين يعانون من محنة وليسوا مجرد قديسين، لأنه يمكن للقديس أن يحظى بإكرام عالى. لاتكن صلتكم بالذين فى رخاء، بل بالذين هم فى محنة، مجهولين أو معروفين من قلة. يقول السيد المسيح : ما فعلتموه بأحد هؤلاء الأصاغر فبى فعلتم. لا تكلف الذين على رأس الكنيسة أن يوزعوا صدقتك، بل إخدم بنفسك الفقراء حتى تأخذ المكافأة ليس فقط عن تقدماتك، بل أيضا عن خدماتك، إعط بيديك، أبذر بنفسك،

فالأمر لايحتاج هنا إلى محراث وتعليق البقر فى العربة، وانتظار الفصول، وشق الأرض، ومقاومة الجليد، كل هذه العناية المضنيه لاتحتاج البذور إليها. لأنك تبذر فى السماء حيث لايوجد جليد، ولاشتاء، ولا أى شيء مشابه، أنت تبذر فى النفوس حيث لايوجد من يغتصب الحبة فهى محفوظة بالتأكيد. أبذر، لماذا تحرم ذاتك من المكافأة ؟ وهى كبيرة، حتى لو تمت بتنظيم ما أعطى بواسطة الآخرين. فالمكافأة ليست فقط بإعطاء ما يخصنا، بل أيضا بتدبير صدقات الآخرين. لماذا لا نحصل على الجزاء ؟ نعم هذه الخدمة لها جزاء. إسمعوا : الرسل كما يعلمنا الكتاب، أقاموا استفانوس لخدمة الأرامل. كونوا مدبرى أنفسكم. إن الإنسانية ومخافة الله تؤهلكم لذلك. هذا العمل لايلحقه المجد الزائل، يعطى راحة للنفس، يقدس الأيادى، يهدم الكبرياء، يعلم المحبة والحكمة، ينمى الحماس ويؤهل للحصول على البركات. إنك ستترك الأرامل ورأسك محملة ببركاتهم. كن أكثر حماسا فى الصلاة، انشغل بالقديسين أقصد القديسين الحقيقيين، الذين يعيشون فى البرارى ولا يستطيعون أن يطلبوا شيئا، معتمدين على الله، لاتبخل فى أن نسير طريقا طويلا وأن تعطى بيديك، لأنك بهذا العطاء تحصل على الكثير. إذا رأيت خيمة أو خلوة للضيافة، برية أو ديراً؛ فعند ذهابك إعط دائما صدقات، إعط هناك نفسك كلها، أنت أصبحت أسير غريب فى العالم. إن زيارة الفقراء لشيء عظيم. يقول الكتاب: "الذهاب إلى بيت النوح خير من الذهاب إلى بيت الضحك" (جا ٧:٢) لأنه فى بيت الضحك تنتفخ النفس فإذا استطعت مجاملتهم بالضحك ستصل إلى الرخاوة؛ وإذا لم تستطع ستسبب لهم ألماً. لا يوجد شيء من ذلك فى مسكن النوح، فإذا كنت ممن لا يتهافتون على إرتياد أماكن المسرات سوف لا تُصدَم، وإذا كنت على عكس ذلك، فلتعمل على قمع رغبتك.

٤ـ الحياة العجيبة للمتوحدين :-

البيت الحقيقى للنوح هو الدير، حيث يوجد الجوال والرماد، وهناك توجد الوحدة، حيث لايوجد الضحك إطلاقا ولا ضجة الأعمال العالمية، بل الصوم، وفراش من العشب الممتد على الأرض، هناك كل شىء نقى من دخان اللحم ودم الحيوانات، كل شىء خالٍ من الإضطرابات والقلق والهياج. إنه ميناء دائم الهدوء، والذين يسكنونه كالمنارات المرتفعه فى الأعالى، يسطعون عن بعد أمام عيون الوافدين ويجذبون الجميع إلى مياهه الهادئة لينجيهم من الغرق ويبدد لهم الظلمات.

إذهب إلى سكانه واكرمهم، تقدم إلى القديسين وأسجد أمام أرجلهم، لأن لمس أرجلهم أكرم من لمس رؤوس الآخرين. قل لى، إذا كان البعض يقبل أرجل التماثيل، لمجرد أنها تمثل صورة الإمبراطور وأنت الذى تجد فى هؤلاء الناس شخص المسيح، ألا تمسك بأرجلهم لتخلص ؟ أقدامهم مقدسة، وإن كانت تظهر عادية أمام الآخرين، بل الرأس نفسها غير موقرة فى نظر الدنيويين. أقدام القديسين لها قوة كبيرة، لأنها تجلب المجازاة بالعقوبة عندما ينفضوا عنها التراب. فعندما يوجد بيننا قديس، فلا نخجل أن نفعل معه هكذا كل هؤلاء هم قديسون يظهر فى حياتهم الإيمان الأرثوذكسى، حتى لو لم يعملوا معجزات، أو يخرجوا شياطين. إذهبوا حيث خيام القديسين. القديس الذى لجأ إلى الدير كمن يفر من الأرض إلى السماء. هناك لا تشاهدون ما ترونه فى مساكنكم، هذا المكان طاهر من كل دنس، هناك يسود السكون والهدوء، لا تسمع فيه عبارة "هذا يخصنى وذاك يخصك" وإذا أقمت فيه يوما أو أكثر سوف تشعر بسعادة أكبر. النهار يقبل أو بالأحرى قبل ذلك صياح الديك. إنه ليس مظهر منزل، حيث الخدم لا زالوا يغطون فى النوم، حيث الأبوات مغلقة وكل

السكان نائمون يشبهون الموتى وحيث سائق البغال يحرك أجراسه. هنا لا يوجد ما يشبه ذلك. بل الكل فى خشوع دون تأخير يقطعون نعاسهم ويقومون عندما يوقظهم رئيسهم، وحينئذ يقفون مشكلين خورس مقدس، باسطين أيديهم، مرتلين بالتسابيح المقدسة. لا يلزمهم مثلنا ساعات كاملة يطردون فيها النعاس وثقل الرأس. فإننا لا نكاد نقوم من فراشنا حتى نسقط ثانية، لكى نبسط ذراعينا طويلا وبعد فترة نغسل وجوهنا وأيدينا ثم نأخذ أحذيتنا وملابسنا، وبكل ذلك يمر وقت طويل.

هناك لا شيء من ذلك، لا يوجد خدم تنادى عليهم، كل واحد مكتفٍ بذاته، لا حاجة للملابس الكثيرة، ولا لزمن لطرد النعاس، بل بمجرد ما تنفتح عيون سكان الدير الزاهدين، ينهضون كما لو كانوا استيقظوا من وقت طويل، لأنه عندما يكون القلب غير مثقل وغير مائل إلى الأرض بالأطعمة التى تملأ المعدة، فلا يلزم الراهب سوى زمن بسيط لكى يجمع أفكاره. كل شيء يتم بسرعة مع الإعتدال، الأيادى نظيفة، النوم بنظام تام، لايسمع أثناءه غط ولا نهج. لم يقع أحد من سريره كما لم يكشف أحد عن غطائه أثناء النوم. ولكنهم كلهم يبدون فى وضع أكثر حشمة من بعض ناس يقظين. وكل هذا بفضل النظام الدقيق الذى يسود فى نفوسهم. هم حقا قديسون وملائكة بين البشر. خوفهم الكبير من الله لا يسمح لهم أن يغُطوا فى النوم ويدفنوا ذكائهم. أحلامهم ليست من صنع الخيال المشوش أو الغريب.

ولكن كما قلت، الديك صاح وقد استيقظ الرئيس وتمشى ليلمس بكل بساطة رجل كل راهب نائم، وأيقظ الجميع وحالما يستيقظون يقفون، مرتلين أناشيد الأنبياء فى توافق تام وتلحين موزون، لا قيثارة ولا مزمار ولا أية آلة موسيقية يمكن أن تنتج تلك الأصوات التى نسمعها عندما يرنم

هؤلاء فى وحدتهم فى هدوء عميق، ترانيم شافية ينبعث منها حب الله. يقول الكتاب: "فى بيت الرب بالليالى إرفعوا أيديكم نحو القدس وباركوا الرب" (مز ١٣٤) وفى موضع آخر : "فى الليل أيضا بروحى فى داخلى إليك أبكر لأنه حينما تكون أحكامك على الأرض يتعلم سكان المسكونة العدل" (أش ٢٦:٩) مزامير داود تنتج ينابيع من الدموع عندما نرتلها: " تعبت فى تنهدى أعوّم فى كل ليلة سريرى بدموعى أنوب فراشى" (مز٦:٦) "إنى قد أكلت الرماد مثل الخبز" (مز ١٠٢:٩) "فمن هو الإنسان حتى تذكره" ؟ (مز ٨:٤) "الإنسان أشبه نفخةً أيامه مثل ظل عابر" (مز١٤٤:٤) "لاتخش إذا استغنى إنسان إذا زاد مجد بيته" (مز٤٩:١٦) "سبع مرات فى النهار سبحتك على أحكام عدلك" (مز ١١٩:١٦٤) "فى منتصف الليل أقوم لأحمدك على أحكام برك" (مز ١١٩:٦٢) "إنما الله يفدى نفسي من يد الهاوية" (مز ٤٩:١٥) ـ أيضا إذا سرت فى وادى ظل الموت لا أخاف شرا لأنك أنت معى" (مز ٢٣:٤) لا تخشى من خوف الليل ولا من سهم يطير فى النهار ولا من وباء يسلك فى الدجى ولا من هلاك يفسد فى الظهيرة" (مز ٩١:٥، ٦) "قد حسبنا مثل غنم للذبح" (مز ٤٤:٢٢) وعندما يرنمون مع الملائكة، لأن الملائكة أيضا ترنم معهم "سبحوا الرب سبحوه فى الأعالى" (مز ١٤٨:١) وهذا فى وقت نحن نتثاءب فيه، أو نغط فى النوم، أو ممتدون على فراشنا حيث ندبر آلاف الخدع، وماذا عن هؤلاء الناس الذين يقضون لياليهم فى قداسة كاملة ؟

عندما يبدأ النهار فى الظهور يستريحون قليلا، وفى الساعة التى نبدأ نحن فيها أعمالنا، هى وقت الراحة بالنسبة لهم فمتى بدأ النهار وكل واحد منا ينادى الآخر، يحسب النقود الموزعة، يجرى إلى الميدان، يبحث عن قاض، يرتبك ويخاف من تقديم الحسابات، واحد يذهب إلى المسرح،

والآخر إلى أعماله، أما بالنسبة للرهبان فبعدما ينتهون من صلواتهم الصباحية وأناشيدهم، يعكفون على قراءة الكتب، ومنهم أيضا من تعلم نسخ الكتب. ينسحب كل واحد إلى حجرته المحددة له ويمكث فيها فى هدوء دون أن يثرثر ولا حتى يتكلم. يصلون الثالثة والسادسة والتاسعة وصلوات المساء، يقسمون اليوم إلى أربعة أقسام، وفى نهاية كل قسم، يسبحون الله بأناشيدهم. فبينما الآخرون من البشر يناولون العشاء، يضحكون، يلعبون، ويبتلعون الأطعمة، نجد أنهم يجتهدون فى تلحين المدائح. لايوجد وقت مطلقا للذات المائدة والحواس. بعد وجبة الطعام يستسلمون لنفس الأعمال بعد أن يستريحوا قليلا. فبدلا من أن أهل العالم ينامون فى النهار هم يسهرون الليل. حقا هم أولاد النور. أهل العالم بعد ضياع وقت طويل فى النوم، يمشون مثقلين أما هم فدائما متزنون، يمكثون وقتا طويلا دون غذاء، منهمكين فى تلحين الأناشيد. عندما يأتى المساء، يذهب الآخرون للإستجمام والراحة؛ بينما هم بعد الإنتهاء من أعمالهم، يقتربون من المائدة دون تشغيل قطيعا من العبيد، دون ضجة بالمنزل، وبنظام تام، ولا يحملون موائدهم بالأطباق الفاخرة التى تفوح منها رائحة اللحوم بل يكتفى البعض بالخبز والملح، والبعض يضيف زيتا، والبعض الآخر الأكثر ضعفا يستعملون الأعشاب والخضروات. ثم بعد أن يمضوا وقتا قليلا جالسين يتممون يومهم بالأناشيد، كل واحد يذهب إلى فراش من الورق أعد للراحة وليس للترف.

٥- هناك لا خوف من القضاء، ولا وجود لكبرياء أحمق من السادة، لارعب للعبيد، ولا هياج للنساء، ولا ضجيج للأولاد، ولا مجموعة من الخزائن، ولا ملابس احتياطية دون استعمال، لا ذهب ولافضة، لاحارس ولا احتياطات، لا منصب ولا أى شىء مشابه ذلك؛ الكل تفوح منه رائحة

الصلاة والأناشيد والرائحة الروحية الجميلة، لايوجد ما يثير الشهوة. هم لا يخشون اللصوص، حيث لايوجد ما يخشى عليه، لاثراء، فهم لايملكون سوى أرواحهم وأجسادهم. وإذا أنتهت حياتهم فلا يجدون فى ذلك خسارة بل بالحرى ربحا. "لأن لى الحياة هى المسيح والموت هو ربح" (فى ١:٢١) حينئذ سيتخلصون من رباطاتهم. حقا، "صوت ترنم وخلاص فى حياة الصديقين" (مز ١١٨: ١٥) لاتسمع شكوى ولا نحيب، سقفهم بعيد عن هذه المشقات والصيحات. يموتون ولهم نفس الشعور، لأن أجسادهم ليست خالدة، والموت فى نظرهم ليس موتا يرافقون الموتى بالأناشيد ويسمون هذه الشعائر توصيلا وليس جنازات.

إذا علموا بموت هذا أو ذاك يفرحون، ولا يجسرون حتى على القول: بأنه مات بل بالأحرى أنهى مسيرة حياته. ثم يطوبونه بابتهاج، ويصلى كل منهم إلى الله لكى تكون نهايته مشابهه، فيخرج كذلك من المعركة، ليرى المسيح بعد نهاية معاركه وكفاحه. وإذا كان أحدهم مريضا، فليس المجال مجال الدموع والنحيب بل الصلوات، وغالبا ليس هى عناية الأطباء، بل بالإيمان وحده يشفى المريض. وإذا احتاج الأمر للأطباء، توجد هناك فلسفة وثبات عظيمان فلا يرى بجانب المريض سيدة تشد شعرها، ولا أولاد ييكون مسبقا لأنهم سيتيتمون، ولا خدم يتوسلون للمحتضر لكى يوصى بهم لسيد صالح، الروح متحرره من كل هذه المناظر، ولاتفكر سوى فى اللحظة الأخيرة وكيف تظهر أمام الله فى حالة مرضية. أما عن المرض فلا يكون سببه الشراهة ولا ثقل الرأس، ولكن أصل المرض جدير بالثناء وليس بالعار. فهو يرجع إلى الإفراط فى السهر، أو الصوم أو أى شىء مشابه، فلذلك هو سهل الشفاء، وعلاجه الراحة فهى الكفيلة بأن تخلص المريض من متاعبه.

٦- يوجد أيضا قديسون فى الحياة العامة المشتركة :-

قد تسألون أين القديسون أمثال هؤلاء لكى نغسل لهم أرجلهم ؟ يوجد منهم فى الكنيسة أخشى أن يكون وصفنا لحياة المتوحدين يجعلكم تستصغرون القديسين الذين فى الكنائس. كثيرون من القديسين أمثال هؤلاء يعيشون بين المؤمنين، لكنهم متوارون، فلا نستصغرهم لأنهم يسكنون البيوت ويظهرون فى الأماكن العامة ويزاولون بعض الأعباء. الله نفسه هو الذى أمرهم: "أقضوا لليتيم حاموا عن الأرملة" (أش ١٧:١).

الفضيلة لها دروبها العديدة وصورها المتنوعة، مثل اللآلئ التى تختلف الواحدة عن الأخرى، ومع ذلك فكلها لآلئ واحدة مضيئة ومستديرة تماما، والأخرى ليس لها نفس الجمال، بل جمال من نوع آخر. كيف ذلك؟ كالإبداع الذى نراه فى شعب المرجان الطويلة بزواياها المنسقة تنسيقا يكسبها لونا أخضر جميلاً أبهى بكثير من اللون الأبيض؛ وكما أن هناك حجر كريم من الأحمر الدموى الساطع، والآخر أزرق وأكثر زهوا من أحجار البحر، وثالث يفوق الأرجوان فى بهائه. وكما أن فى الأزهار وألوان الشمس يمكن أن نجد ألوانا كثيرة مختلفة، فهكذا أيضا بالنسبة للقديسين، البعض يسلك طريق النسك والبعض الآخر يشيد الكنائس.

"إذا كانت غسلت أرجل القديسين ساعدت المتضايقين" فلنسرع، ونعمل ذلك حتى نستطيع أن نبارك فى السماء لأننا غسلنا أرجل القديسين. وإذا كان يجب غسل أرجلهم، فيجب أيضا وعلى الأخص أن تمتد لهم يدنا بالصدقة يقول الإنجيل: "لا تعرف شمالك ما تفعل يمينك" (مت ٦:٣) لماذا كل هذه الشهود ؟ لو كان فى إمكانك فلا تعرف زوجتك ولا خادمك. وغالبا زوجتك مع أنها لم تكن يوما عقبة أمام صدقتك، ولكنها قد تكشف عنها وتفشيها رغبة فى المباهاة والزهو، أو لأجل أسباب أخرى.

إبراهيم الذى كان له إمرأة ممتازة، أخفى عنها أنه سيقدم أبنه ذبيحة لأنه كان يجهل ما سيحدث وكان يعتقد أن الذبيحة ستتم فعلا. أى رجل فى مكانه ذو عواطف غير سامية ماذا كان سيقول ؟ سيقول: لم يحدث أن أحدا عمل مثل هذا العمل، يا للقسوة ! يا للبربرية ! هذا الرجل الصالح لم يفكر قط فى مثل هذه الأمور، وحبه لأبنه لم يدفعه إلى هذا الفكر ودون أن يسمح للأم أن تنظر لأبنها النظرة الأخيرة وتسمع آخر كلماته، وتلتقط آخر خفقاته، أخذ إبنه كأسير لم يكن أمامه سوى شىء واحد هو تنفيذ الأمر الإلهى. لا زوجته ولا أبنه كانا فى ذهنه. الإبن يجهل ما سيحدث له، وإبراهيم بذل كل جهده ليقدم ذبيحة طاهرة، غير ملوثة بالتذمر والتمتمة. قال له إسحق : "هوذا النار والحطب ولكن أين الخروف للمحرقة يا أبى ؟ (تك ٢٢:٧) وبماذا أجاب الأب ؟ "الله يرى له الخروف للمحرقة يا ابنى" (تك ٢٢:٨) إنه كلام نبوى لأن الله فى تدبيره مزمع أن يقدم أبنه محرقة وفدية، وذهب إبراهيم فى طريقه.

- قل لى يا إبراهيم لماذا تخفى عن إبنك أمر تقديمه ذبيحة ؟ لأنى أخشى أن يضعف ويظهر بأنه غير جدير بها. تلاحظون أن ابراهيم نفذ بدقه هذا النص "لاتعرف شمالك ما تفعل يمينك" أى أننا : لانحاول دون ضرورة أن نُعَرِف ذوينا؛ إذ أن النتائج سوف تكون سيئة. فنجد أنفسنا منساقين نحو الزهو والغرور وكثيرا مانقابل عقبات. فلنخف قدر استطاعتنا كل شىء داخل ذواتنا، حتى نحصل على الوعود الخيرة فى المسيح يسوع ربنا، الذى له مع الآب والروح القدس، المجد والقوه، والعزه، الآن وكل آوان وإلى دهر الدهور آمين.

+ + + + +

الموعظة الخامسة عشرة

"أما الأرامل الحدثات فارفضهن لأنهن متى بطرن على المسيح يردن أن يتزوجن ولهن دينونة لأنهن رفضن الإيمان الأول. ومع ذلك أيضا يتعلمن أن يكن بطالات يطفن فى البيوت ولسن بطالات فقط بل مهذارات أيضا وفضوليات يتكلمن بما لا يجب. فأريد أن الحدثات يتزوجن ويلدن الأولاد ويدبرن البيوت ولايعطين علة للمقاوم من أجل الشتم. فإن بعضهن قد إنحرفن وراء الشيطان". (١١:٥ ـ ١٥ حتى ٢١)

التحليل

١ـ الحذر من الأرامل الحدثات ـ الفراغ يعلم كل الرذائل.

٢ـ كل عامل يستحق أجراً، عامل التبشير ليس أقل من الآخرين.

٣، ٤ـ عدم ثبات وفناء الأشياء البشرية.

١ـ الحذر من الأرامل الحدثات :ـ

يعطى بولس أهتمام كبيرا للأرامل، وقد حدد عمرهن بقوله: "إن لم يكن عمرها أقل من ستين سنة" وعرُف الصفات التى يجب أن يحملنها بقوله: "أن تكون قد ربت الأولاد، أضافت الغرباء، غسلت أرجل القديسين" والآن يقول أيضا: "أما الأرامل الحدثات فأرفضهن".

من حيث العذارى على الرغم من أن وضعهن أكثر صعوبة، فإنه لم يتعرض لهن. لماذا ؟ لأنهن جندن أنفسهن لجيش أرفع، لينفذن فكرا أسمى. هذه الكلمات "أضافت الغرباء، غسلت أرجل القديسين" وما يتبع ذلك، قد تضمنه النص "أتبعت كل عمل صالح" وأيضا النص الآتى: "غير المتزوجة تهتم فى ما للرب" (١كو ٣٤:٧) وقد قلت فى مكان آخر إن فكرا

ساميا هو الذى دفعهن لاختيار البتولية. زيادة على ذلك كانت قد حدثت سقطات لبعضهن، ويظهر هذا جليا فى النصين الآتيين: "لأنهن متى بطرن على المسيح يردن أن يتزوجن" وأيضا "فإن بعضهن قد انحرفن وراء الشيطان".

"أما الأرامل الحدثات فارفضهن" لماذا هذه الكلمات ؟ "لأنهن متى بطرن على المسيح يردن أن يتزوجن" وماذا تعنى لأنهن بطرن ؟ عندما تكن أنيقات، مستسلمات للذات، تشبهن من تترك زوجها لتصير لرجل آخر. ويوضح الرسول هنا إنها أعتنقت الترمل بدون قرار مدروس. إن الأرملة الحقيقية هى التى تصبح زوجة للمسيح فى ترملها. والكتاب يقول: "هو أبو اليتامى وقاضى الأرامل" (مز ٦٨ : ٥، ٦) يريد الرسول أن يظهر أنهن حقيقة لم يخترن حياة الترمل، بل استسلمن للرخاوة. ولكن فى مكان آخر يقول للكورنثيين "لأنى خطبتكم لرجل واحد لأقدم عذراء عفيفة للمسيح" (٢ كو ١١:٢) "وبعد أن أكتتبن فى قوائم الأرامل يردن أن يتزوجن ولهن دينونة لأنهن رفضن الإيمان الأول" "الإيمان" يقصد به العهد، لقد كذبن، تركن المسيح، نكصن بتعهدهن.

الفراغ يعلم الرزائل :-

"يتعلمن أن يكن بطالات" لأن العمل ليس للرجال فقط بل للنساء أيضا، لأن البطاله تعلم كل الرزائل. وهن لسن مسئولات عن أخطائهن فقط بل عن أخطاء الآخرين. وإذا كان لا يليق بإمرأه متزوجه أن تتنزه من منزل لآخر، فكم بالحرى الأرمله ! "ولسن بطالات فقط بل مهذارات أيضا وفضوليات يتكلمن بما لا يجب" "أريد إذن أن الحدثات يتزوجن ويلدن الأولاد ويدبرن البيوت". ماذا يحدث لو أن إمرأه لا تهتم قط بزوجها ولا يملأها الفكر الإلهى ؟ طبيعى ستصبح فى بطالة مهذارة وفضولية. لأن

الذى لا ينشغل بما نعنيه، ينشغل دائما بأمور تخص الآخرين، كما أن الذى يفكر فيما يعنيه، لايهتم ولايكون فضوليا بما يخص الآخرين.

"يتكلمن بما لا يجب" لايوجد ما هو أكثر مخالفة للأدب من المباحثات التى تجريها المرأة بفضول لا طائل منه، وليس المرأة فقط بل الرجل أيضا، لأن فى ذلك برهانا كبيرا على الوقاحة وعدم الحياء. "أريد إذن" ما دمن يردن ذلك، أريد أنا أيضا . "أن الحدثات يتزوجن ويلدن الأولاد ويدبرن البيوت" ويتمسكن بها هذا أفضل بكثير من سلوكهن هذا. كان يجب عليهن الإنشغال بخدمة الله، فى حياة أمينة له، ولكن طالما الأمر ليس كذلك، فمن الأفضل أن يتزوجن؛ إذ أن الترمل بهذه الكيفية لا يثمر ثمرا حسناً، بل على العكس الزواج فى هذه الحالة له ثمار أفضل إذ أنه يشغلهن عن الثرثرة والكسل. ولماذا بعد علمه بسقوط الكثيرات، لم يطالب بتوفير عناية أكبر لهن حتى لا يسقطن فى سقطة بائسة كهذه، وإنما ينصحهن بالزواج؟ لأن الزواج غير محرم. "ولايعطين علة للمقاوم من أجل الشتم فإن بعضهن قد انحرفن وراء الشيطان" يعترض الرسول إذن على هذه الصورة من الترمل، فهو لا يريد أرامل حدثات، يتعرضن للزنى، ولابطالات يتكلمن بما لايجب، ولافضوليات يعطين فرصة للشيطان، فلو لم تكن هذه الظواهر حادثة، ما كان الرسول قد اعترض على بقاء هؤلاء الأرامل دون زواج.

"إن كان لمؤمن أو مؤمنة أرامل فليساعدهن ولايثقل على الكنيسة لكى تساعد هى اللواتى هن بالحقيقة أرامل" يعود الرسول ويسمى اللائى يعشن فى الوحدة وليس لهن من يواسيهن أنهن بالحقيقة أرامل. النصيحة التى يقدمها الرسول هنا ممتازة، إذ أنها تؤدى إلى نتيجتين كبيرتين تتيح للبعض الفرصة لأن يقدموا خيراً بإعالة الأرامل كما أن الكنيسة لا تثقل بهذه المسئولية. ويضيف الرسول "إن كان لمؤمن أو مؤمنة" لأنه لا يليق أن

يقوم غير المؤمنين بإعالة الأرامل المؤمنات. ويلاحظ أن الرسول لم يكن متشددا فى طلبه، بل قال فقط: "فليساعدهن ولايثقل على الكنيسة لكى تساعد اللواتى هن بالحقيقة أرامل". وصانع الخير سيكون له أجر مضاعف؛ لأنه بمساعدة الواحدة يساعد الآخريات أيضا، وذلك بتوفير فرصة أكبر للكنيسة لتساعدهن بأكثر سعة. "أريد أن الأرامل الحدثات" وماذا تريد ؟ هل يعشن فى الرخاوة وفى اللذات ؟ كلاً "بل يتزوجن يلدن الأولاد يدبرن البيوت" كيف يدبرونها ؟ فحتى لايظن أنه يدعوهن إلى حياة رخوة يضيف: "ولايعطين علة للمقاوم من أجل الشتم" (أى القدح والذم) كان يجب عليهن أن يكن فوق مستوى التفكير الدينوى، ولكن ما دمن قد نزلن عن هذا المستوى، فليعرفن على الأقل أنه ينبغى أن يسلكن بحرص وتدقيق.

٢ـ كل عامل يستحق أجراً :-

"أما القسوس المدبرون حسنا فليحسبوا أهلاً لكرامة مضاعفة ولاسيما الذين يتعبون فى الكلمة والتعليم". لأن الكتاب يقول: "لاتكم ثوراً دارسا والفاعل مستحق أجرته" ومن كلمة كرامة تفهم العناية والإهتمام اللازمين لإمدادهم بما يسد احتياجاتهم، مثلما رأينا فى النصوص السابقه التى توصى بإكرام الأرامل، عندما قال: "أكرموا الأرامل" ويتكلم أيضا عما يلزمهن لقوتهن، إذ يقول: "ولا يثقل على الكنيسة لكى تساعد هى اللواتى هن بالحقيقة أرامل" أى اللائى يعشن فى فقر لأنهن أكثر ترملا. ويذكر كلمات من الشريعة ومن السيد المسيح وكلها كلمات تتفق مع بعضها البعض، لأن الشريعة تقول: "لاتكم الثور فى دراسه" (تث ٢٥:٤) وبهذا التشبيه أراد الرسول أن يوضح مقدار المشقة التى يعانيها القائمون بالتعليم. هذا هو قول الناموس، أما السيد المسيح فقد قال:

"لأن الفاعل مستحق أجرته" (لو ١٠:٧). فسبيلنا أن لا ننظر إلي الأجرة فقط ونتراضي والسيد المسيح وضح ذلك بقوله: "لأن الفاعل مستحق طعامه" (مت ١٠:١٠) أى أن الذى لا يعمل بل يعيش فى الرخاوة والكسل لايكون مستحقا.

فإذا كان الثور الذى لا يشتغل فى الدراسة، ولا يسحب النير الثقيل، فى جو خانق عبر الأشواك، ولا يثابر حتى يتمم عمله ويدخل الغلة إلى الأجران، لايستفيد من الطعام الذى أعد له. فبالتأكيد أن الذين يقومون بالتعليم يجب أن تتوافر لهم إحتياجات الحياة حتى لا يسقطوا من التعب، وحتى لا يكون انشغالهم بالأشياء الصغيرة، يصرفهم عن قيامهم بالأمور الكبيرة، وينبغى أن يكرسوا أنفسهم لرسالتهم الروحية، دون التفكير فى إحتياجات هذه الحياة.

هكذا كان اللاويون، لم يفكروا فى وسيلة الحياة، فالشعب كان هو الملتزم بهم، والشريعة تأمر بدفع العشور من الدخل، وتقدمات عن الأشياء الذهبية، والبكور والنذور، وأشياء أخرى كثيرة. وهذه الميزات كانت مكفولة بأحكام الشريعة يوفرها لهم أناس آخرون يعملون وينتجون كافة ما تتطلبه هذه الحياة من احتياجات؛ ولكننى لا أطلب للذين يدبرون شئون الكنيسة أكثر مما يكفل لهم القوت والكسوة، حتى لايستغرقوا بأفكارهم فى مباهج هذه الحياة. وما هى الكرامة المضاعفة ؟ مضاعفة عن التى للأرامل، والشمامسة، أى كرامة كبيرة. لانقف عند عبارة كرامة مضاعفة، بل إلى ما أضافه إليها الرسول: المدبرون حسنا، ومن هم هؤلاء ؟ لنسمع قول السيد المسيح: "أنا هو الراعى الصالح والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف" (يو ١٠:١١) المدبر حسنا هو الذى لا يضن بشئ فى سبيل العناية بقطيعه. ولاسيما الذين يتعبون فى الوعظ والتعليم. ـ وأين هم الذين

يقولون بعدم الحاجة إلى كلام ولا تعليم ؟ أعطى الرسول هذه التوجيهات لتيموثيئوس قائلا: "أهتم بهذا كن فيه".

وفي موضع آخر: "لاحظ نفسك والتعليم وداوم على ذلك لأنك إذا فعلت هذا تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضا" (١ تى ٤:١٥) هؤلاء هم الذين يريد الرسول أن يكرمهم أكثر من الآخرين، ويذكر الباعث الحقيقى لذلك: هو أنهم يحتملون متاعب كبيرة. فكيف يتساوى الذى لا يسهر ولا يدرس بل يركن إلى الراحة والهدوء دون خوف، ولا هم، مع الذى يضنى نفسه فى الخدمة ألا يجب أن يكرم هذا كرامة كبيرة أكثر من الكل، لأنه يحمل نفسه الكثير من المشقات ؟ هو تعرض لعدة ألسنة، الواحد تصدى له باللوم، والآخر مدحه، والثالث سخر منه، والرابع هاجم أسلوبه أو منهجه، فهو يلزمه الكثير من القوة حتى يحتمل كل ذلك. إن إجادة التعليم هى أمر هام جدا لبناء الكنيسة وإدارتها، حتى لا تتعرض للهدم. لذلك مع الصفات الأخرى التى ذكرها، الضيافة والاعتدال، ومطالبة الأسقف أن يكون بلا لوم، يضيف الرسول: أن يكون "صالحا للتعليم" معلم الحكمة يجب أن يطبقها أولا فى حياته فهذا أفضل الطرق للتعليم، وفى الوقت نفسه يعلمها بمناقشاته. لهذا يقول الرسول: "ولاسيما الذين يتعبون فى الكلمة والتعليم" لأنه متى تعلق الموضوع بشرح العقائد أية حياة تغنى عن الكلمات : أية كلمات ؟ ليست الكلمات ذات الجاه والمكسوه بالزخرفة العالمية، بل الكلمات المملوءة بالقوة، والنور، والحذر. الذى يلزم ليس فن الأسلوب واللغة، بل يلزم التفكير فى الطرق التى توضح بها، ليس فن الإنشاء بل فن الحكمة فقط.

"لا تقبل شكاية على شيخ إلا على شاهدين أو ثلاثة شهود" هل يجب إذن قبول الشكاية ضد شاب حديث السن أو أى شخص آخر دون شهادة؟

هل يجب ألا يقام لهذه الشكايات وزن ؟ وماذا إذن يقصد الرسول ؟ إنه لا يجب قبول مثل هذه الإتهامات ضد أى شخص، وعلى الأخص ضد أحد الشيوخ. وهو لا يتكلم هنا عن الوقار الكهنوتى، ولكن عن السن، لأن الشباب أكثر سهولة فى الوقوع فى الخطأ عن الشيوخ - الذين يخطئون وبخهم أمام الجميع لكى يكون عند الباقين خوف" أى لا ترفضهم بسرعة، بل أفحص كل شئ بدقة كبيرة، وبعد أن تتأكد بوضوح من القضية، حاسب بكل حماس، حتى يصبح الآخرون أكثر تحفظاً، لأنه إذا كان من الضرر أن تدين دون سبب، فلا تقف دون تصرف ضد الأخطاء الواضحة، لأن هذا يفتح الطريق أمام الآخرين، فيتجاسرون ويعملون نفس الشئ. لا يقول فقط وبخهم، بل لتعمل ذلك بقسوة حتى يشعر الباقين بالخوف. لماذا إذن قال السيد المسيح : "إن أخطأ إليك أخوك فأذهب وعاتبه بينك وبينه" (مت ١٨:١٥). بينما بولس سمح باتهامه أمام الكنيسة ؟ ألا يكون هنا فضيحة أكبر ؟ لماذا ؟ قد تكون الفضيحة أكبر إذا عرف الخطأ دون أن توقع العقوبة. وإذا ظلت الأخطاء دون عقاب، فسوف يتضاعف المجرمون، كما أن الردع يصلح الكثيرين. وهذا هو مافعله الله عندما عاقب فرعون، ونبوخذ نصر وآخرين، أمام أعين الجميع، ونحن نرى مُدنا وأفراداً قد تحملوا قصاص جرائمهم.

يريد الرسول إذن أن الجميع يهابون الأسقف وأن تكون له السلطة فوق الجميع. ويقول أن الأتهامات غالبا ما تنشأ نتيجة الضغينة، لذلك يجب أن يكون هناك شهود، أناس يدلون بمعلوماتهم عن المشكو ضده طبقا للشريعة القديمة. "على فم شاهدين أو على فم ثلاثة شهود يقوم الأمر" (تث: ١٩:١٥) "لا تقبل شكاية على شيخ" لم يقل: لا تحاكم : بل وحتى لو هى شكاية، لا تحولها إلى محاكمة دون سماع شهود. وإذا كان

الشاهدان يكذبان ؟ هذا يندر، والمحاكمة كفيلة بالكشف وإلقاء الضوء على الحقيقة.

ويجب أن نكون سعداء بوجود شاهدين، لأن الأخطاء ترتكب سرا وفى الخفاء، بحيث أننا نجد أن الموضوع يحتاج إلى دراسة مستفيضة. وماذا لو عرفت الأخطاء ولا يوجد شهود والرأى العام سيئ ؟ سبق أن قال الرسول : "يجب أيضا أن تكون للأسقف شهادة حسنة من الذين هم من خارج".

ليكن لدينا المحبة ومخافة الله. لا توجد شريعة للإنسان الصالح، ولكن الأغلبية يتبعون الفضيلة جبرا وليست اختياراً، ويجنون من خوفهم ثمارا كثيرة. وغالبا ما يقمعون رغباتهم السيئة. ولهذا السبب فلنسمع التهديدات التى توجه إلينا من جهنم لكى نجنى الثمار الثمينة لهذا الخوف. وإذا كان الله الذى سوف يلقى بالخطاة فيها، لم يكن قد هددنا بها مقدما لسقط فيها الكثيرون. ومع أننا الآن تهتز نفوسنا خوفا منها، إلا أنه يوجد كثيرون يخطئون بكل سهولة، كما لو كانت جهنم ليس لها وجود، وأية جرائم كنا سنرتكبها لو لم يكن لدينا الوحى والوعيد؛ ولذلك أقول ما أقوله دائما إن جهنم بتهديدها ووعيدها إنما تبرز عناية الله بنا ومحبته لنا بصورة لا تقل عما تبرزه مواعيد ملكوت السموات لنا. والمحصلة النهائية هى أن جهنم بوعيدها وتهديدها، والملكوت بوعوده ومواعيده يعملان معا على نجاتنا من الهلاك.

لا تعتقدوا أن هذا عمل كائن قاس وعديم الشفقة، بل بالأحرى هو عمل الرحمة والصلاح الفائق، هو الحماس الذى يريد به أن يجذبنا إليه. لو لم تهدد نينوى وتنذر بالهلاك بواسطة يونان لهلكت بالفعل، لو لم نكن قد هددنا بجهنم لسقطنا جميعا فيها، لولا الوعيد بالنار لما نجا أحد.

إن الله يهدد بغير ما يريد حتى يتمم ما يريد : فهو لا يريد موت الخاطئ، ويتكلم عن موت الخاطئ، حتى لا يلقى بنفسه فى الموت. هذا الكلام ليس بسيطاً هو يظهر لنا الحقيقة حتى نتحاشاها.

٣ـ عدم الثبات والتغير فى الأمور البشرية :-

وحتى لا يظن أحد أن هذا الوعيد لا فائدة منه لمعرفة الحقيقة، فإن ما حدث فى هذا العالم يجعله واضحاً. الطوفان الذى أهلك البشرية أليس هو صورة لجهنم النار ؟ يقول الإنجيل : كما كانت أيام نوح .. يأكلون ويشربون ويتزوجون ويزوجون ... كذلك يكون أيضا" (مت ٢٤:٣٧) قد تنبأ نوح بهذه الحادثة قبل وقوعها بزمن طويل، ولم يكترث أحد بتهديداته، الكل ينظر لها وكأنها قصة خرافية، وموضوع للسخرية، لم يخف أحد ولم يبك خطاياه، لم يقرع أحد على صدره. إن نهر النار يغلى، واللهيب ترتفع، ونحن نضحك ونعيش فى الملذات، ونخطئ بلا خوف. لا يفكر أحد فى هذا اليوم الأخير، ولا فى الحياة الحاضرة التى سوف تمضى، وأن كل ما نراه له وقت محدد، وها هى الأحداث كل يوم تنذرنا وتسمعنا صوتها. الذين يموتون قبل الآوان، التغيرات التى تحدث فى حياتنا؛ كل هذه لا تعلمنا، ولا حتى ما يصيبنا من أمراض مختلفة. وليس فى أجسادنا فقط بل فى العناصر الطبيعية أيضا يمكن أن نرى التغيرات التى تحدث: كل شئ يعطينا فرصة للتأمل حتى فى شبابنا، فى كل مكان وفى كل شئ التغيير يعطى علاماته.

هل يتبقى شئ مما نرى ؟ كلاً، لا شئ سوى أنفسنا، ونحن نهملها، نحن نهتم كثيرا بما يتغير، ولكن ما يبقى إلى الأبد لا نكترث به ـ فلان قوى ـ نعم، إلى حين، ثم سوف يهلك كأمثاله الذين كانوا أقوى منه ثم أختفوا. الحياة مسرح، حلم مثلها مثل الممثلين، عندما يزال المسرح

تختفى الأدوار المتنوعة، وكالأحلام التى تنقشع عندما تظهر أشعة الصباح، هكذا نحن عندما ينتهى دورنا فى الحياة العامة أو الخاصة الكل ينقشع ويختفى. الشجرة التى زرعتها، المنزل الذى شيدته سيبقى بعدك، المهندس المعمارى والفلاح وغيره زالوا وماتوا. ومع أننا نحن شهود لكل ذلك، إلا أننا لا نتغير قط، نحن نعد كل شئ كما لو كنا خالدين، ونعيش فى الترف والرخاوة.

٤- إسمعوا ما يقوله سليمان:-

الذى اختبر بنفسه أمور الحياة الحاضرة: "فعظمت عملى بنيت لنفسى بيوتا غرست لنفسى كروما عملت لنفسى جنات وفراديس جمعت لنفسى فضة وذهبا اتخذت لنفسى مغنيين ومغنيات ... (جا ٢:٤ - ٨) لم يتمتع أحد بهذا القدر من الملذات، لم يصل أحد إلى هذا الحد من الشهرة والحكمة، لم يبلغ سيد هذه السلطة. ولكن ماذا ؟ ألم يرضيه كل ذلك ؟ وماذا قال بعد أن تمتع بكل هذا ؟ "باطل الأباطيل الكل باطل" (جا ١:٢) ليس باطل فقط، ولكن أفصح عن رأيه بحماس كبير. أتوسل إليكم أن تصدقوه، إنه إنسان مختبر، لنسمعه، ولنتمسك بما هو غير باطل، حيث تكمن الحقيقة، حيث كل شئ ثابت ومستقر، حيث كل شئ مؤسس على الصخر، لا يشيخ شيئاً ولا يزول، كل شئ مزدهر وشباب، لا تأثير للزمن عليه ولن يختفى. أتوسل إليكم لتكن رغبتنا خالصة فى الله، ليس خوفا من جهنم، ولكن رغبة فى الملكوت الأبدى.

قل لى: هل توجد سعادة تشبه تلك التى نحظى بها عند رؤيتنا للمسيح؟ بالتأكيد لا توجد سعادة تضارعها. هل يوجد مايشبه المتعة بالخيرات السماوية ؟ بالتأكيد لا شئ. "مالم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه" (١ كو ٢ : ٩).

فلنجتهد للحصول على الخيرات السماويه، ولنحتقر المباهج الأرضية. ألا نشكو كثيرا من أن حياة الإنسان لا تساوى شيئا ؟ لماذا إذن هذا التهافت من أجل لا شئ ؟ لماذا نرهن أنفسنا لأجل شئ لا قيمة له ؟ أنتم تتأملون المساكن الفاخرة فهل هذه النظرة هى التى تخدعكم ؟ إرفعوا أعينكم نحو السماء، قارنوا جمالها بهذه الأحجار والأعمدة، وسترون أن الأخيرة ليست سوى عمل يصنعه النمل والبعوض. إعكفوا على التأمل، إرتفعوا إلى الأشياء السمائية، ومنها تعرفوا قيمة المبانى الفاخرة، وسوف ترون أنها ليست سوى لعب أطفال صغار ألا تعرفون أن الهواء بقدر ما يرتفع يصبح أكثر رقة وخفة، أكثر نقاء وشفافية ؟ هكذا الذين يعملون أعمال الرحمة لهم مساكنهم وهياكلهم. كل مسكن أرضى سوف ينهدم فى يوم القيامة، بل وقبل القيامة، إذ أن الزمن فى مساره يهدمه، يذيبه ويجعله يختفى؛ وغالبا قبل فعل الزمن، وهو فى بريق حداثته، هذه أرضية تهدمه، حريق يلتهمه، لأنه تحدث وفيات مبكرة للمبانى كما يحدث بالنسبة للبشر. كثيرا ما يحدث زلزال للأرض نجد أن المبانى البالية بالزمن تبقى فى توازن، والمبانى المتينة والمشيدة حديثا، تهتز وتنقلب.

الله وضع هذا النظام بلاشك حتى لا يدخلنا الغرور والكبرياء بسبب مبانينا. هل تريدون أن لا تثبط عزيمتكم ؟ إذهبوا إلى المبانى العامه حيث تستمتعون بها مثل الآخرين، لأنها ليست مسكنا قط، والمسكن مهما بلغت فخامته، لا يمكنه أن يتساوى مع هذه الأبنية العامة؛ أمكثوا فيها بقدر ما يعجبكم، فهى لكم مثل ما هى للآخرين، هى عامة وليست خاصة. قد تقولون إن هذا لا يرضيكم؛ إنكم تقولون هذا بفعل شهوة الإقتناء والطمع إذ أن الطمع هو الذي يعطي اللذة بالشئ وليس جماله الخاص، اللذة فى الطمع وتملك ما للآخرين.

آه ! إلى متى سنظل مقيدين وملتصقين بالأرض ؟ إلى متى سنستمر في الوحل مثل الديدان ؟ الله صنع لنا جسدا من التراب حتى نسمو به إلى السماء، وليس لنخفض به أنفسنا إلى الأرض؛ حقا أن جسدى هو أرضى من التراب، ولكن إذا أردت، يمكن أن أصيره سماويا . أنظروا أية كرامة أعطانا الله إذ استأمنا على عمل عظيم كهذا .

يقول الرب: أنا الذى صنعت السماء والأرض وها أنا أجعلك شريكا في الخلقة. إجعل من الأرض سماء، فأنت قادر على ذلك. قيل عن الله إنه يصنع ويغير كل شئ. (عاموس ٥:٨) وقد أعطى هذه القوة للبشر كأب مملوء بالحنان ويجيد الرسم، فيريد أن يعلم أبنه أيضا هذا الفن. ويقول لنا: قد أعطيتك جسدا جميلا، وأوكلت لك تكملة عمل أكبر؛ أن تصنع نفسا جميلة. قد قلت: "لتنبت الأرض عشبا .. وشجرا ذا ثمر" (تك ١:١١) قل أنت أيضا: لتنبت الأرض ثمرها وكل ما تريد أن تعمل سوف يثمر. أنا أصنع الحرارة والضباب، أنا صانع الرعد وخالق الهواء، أنا كونت الوحش أى الشيطان لكى أسخر منه، إسخر أنت منه أيضا إذا كنت تريد ذلك، لأنك تقدر على ربطه كعصفور صغير، ولن أحسدك قط على هذه السلطة.

أشرقت شمسى على الأبرار والأشرار قلدنى إعط جزءا من خيراتك للأبرار والأشرار. أنا صبور على احتمال الإهانة، وأردها خيرا لمن يوجهها إلىّ؛ تمثل بى فأنت قادر على ذلك. أنا أعمل الخير ليس بقصد أن يرد لى، قلدنى: أوقدت مصابيح للسماء : أو قد أنت مصابيح أكثر لمعانا منها لأنك قادر على ذلك. أنر للذين فى الخطأ؛ العمل الحسن الذى تعمله لتقود الناس إلى نور معرفتى، ورؤيتى، لهو أبهى بالحق من رؤية الشمس ذاتها . أنت لا تستطيع أن تخلق إنسانا ولكنك تقدر أن تغيره

ليصبح صالحاً ومرضياً لله، أنا خلقت جوهره، فاعمل أنت على تجميل إرادته؛ أنظر كم أنا أحبك، وكم أعطيتك من قدرات تتناسب مع الأمور الكبيرة التى أسندتها إليك، أنا أملك على الملائكة، وكذلك أنت تملك معى منذ أن أخذت طبيعتك وصرت أنت شريكا لطبيعتى فقمت معى وأصعدت باكورتك معى وأجلستها عن يمين الآب فى السماويات حيث جلست أنا : "وأقامامنا معه وأجلسنا معه فى السماويات فى المسيح يسوع" (١ ف ٦:٢).

الشاروبيم والسيرافيم، وكل صفوف الملائكة، الأمراء والقوات العروش، السلاطين ينحنون كلهم أمامك لأنك صرت فى مكرما وممجدا. لا تدين جسدك الذى يتمتع بمثل هذا الشرف والذى تبجله القوات الروحانية. ولكن ماذا أقول ؟ ليس بهذا فقط ولكن أيضا بالامى. لقد بُصِق على وجهى من أجلك، دبرت محبتى أن تربحك، صُفعت على خدّى، تركت مجدى، وإنى بنزولى من إقامة أبى، أتيت نحوك، أنت الذى أبغضتنى وتحولت عنى بعيدا غير راغب حتى أن تسمع اسمى؛ ركضت وراءك لأمسك بك، وربطتك بى قائلا : كل جسدى واشرب دمى، إنى أرفعك إلى السماء وأجئ لك على الأرض لأقبلك. لم أكتف بهذا بل اخترقت كيانك إذ أنت أكلتنى وصرت فُتاتا صغيراً، ليكون امتزاجى بك أكثر، واتحادى بك أكمل وأبلغ، حتى لا يكون أنفصال فيما بعد، بعد أن صرنا أنا وأنت واحداً.

بمعرفتنا ذلك، وبإدراكنا كم كان حنان الله عظيما نحونا، فلنعمل جاهدين حتى نكون مستحقين للحصول على هذه الهبات العظيمة فى شخص المسيح يسوع ربنا الذى له مع الآب والروح القدس المجد، والقوة، والعزة، الآن وكل آوان وإلى دهر الدهور آمين.

+ + + + +

الموعظة السادسة عشرة

"أناشدك أمام الله والرب يسوع المسيح والملائكة المختارين أن تحفظ هذا بدون غرض ولا تعمل شيئاً بمحاباة، لا تضع يدا على أحد بعجلة ولا تشترك فى خطايا الآخرين إحفظ نفسك طاهراً لا تكن فيما بعد شراب ماء بل إستعمل خمراً قليلا من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة ". (٥:٢١ - ٢٣ حتى ٦:١)

التحليل

١- عن السيامات، يجب أن لا تتم بعجلة ودون فحص دقيق.

٢- واجبات الخدام- التشجيع الأدبى لخدمة الله.

١- السيامات :-

بعد أن تكلم الرسول عن الأساقفة والشمامسة، والرجال والنساء، والأرامل والشيوخ وعن الكل؛ وبعد أن أبرز سلطات الأسقف بصفته حاكما، يضيف الرسول: "أناشدك أمام الله والرب يسوع المسيح والملائكة المختارين أن تحفظ هذا بدون غرض ولا تعمل شيئا بمحاباة" يواصل الرسول أوامره بلهجة صارمة، وإن كان تيموثيؤس هو ابنه الحبيب، إلا أنه لا يتردد لهذا السبب.

فالذى لم يخش أن يقول عن نفسه: "أخشى بعد ما كرزت للآخرين أصير أنا نفسى مرفوضا" (١ كو ٩ :٢٧) لم يتردد فى إسداء النصح لتلميذه تيموثيؤس. وإذا كان يناشده أمام الآب والإبن، فلماذا يضيف الملائكة ؟ موسى قال نفس المعنى: "أشهد عليكم اليوم السماء والأرض"

(تث ٤:٢٦) حتى لا ينطق إسم الرب؛ وجاء أيضا: "إسمعى أيتها الجبال ويا أسس الأرض" (ميخا ٦:٢) بولس أتخذ الآب والأبن شهودا على كلامه مبرراً نفسه أمامهم لليوم الآتى، فإذا نتجت بعض المخالفات فى الواجبات فكل مسئول عن نفسه. - "أن تحفظ هذا بدون غرض ولا تعمل شيئا بمحاباة" أى تضع نفسك فى مرتبة الذين حاكمتهم أنت، حتى لا يدركك أحد ويسبقك فى أن يكون سيدا على حكمك. ولماذا يقول : "الملائكة المختارين" لأنه يوجد غير مختارين. يعقوب أيضا استشهد بالرب والتل. وهكذا نحن أيضا كثيرا ما نستشهد بأشخاص بارزين وآخرين أقل منهم. حتى تكون الشهادة أكثر قوة. كما لو كان يقول: فإنى أستشهد بالله وبإبنه وخدامه عن المبادئ التى أعطيتها لك، لأنى أعطيتها لك فى حضورهم، وبذلك يوحى بالخوف لتيموثيئوس.

ثم يواصل الرسول حديثه متناولا موضوعاً أكثر ملاءمة لسلام الكنيسة وهو السيامة (الرسامة) "لا تضع يدك على أحد بالعجلة ولا تشترك فى خطايا الآخرين" ماذا يعنى "بالعجلة" يعنى أنه لا يكفى الاختبار الأول ولا الثانى ولا الثالث؛ بل يلزم دراسة متكررة وإمتحان عميق، لأنه عمل فيه خطورة. لأنك سوف تكون مسئولا عن أخطاء الكهنة، الذين أقمتهم ورسمتهم؛ سواء عن تلك التى اقترفوها قبل رسامتهم أو التى تلت رسامتهم. لأنك كنت قد تساهلت معهم بالنسبة لاخطائهم السابقة لرسامتهم، والتى لم تكن لهم معك فرصة لكى يندموا ويتوبوا عنها، أما اللاحقة فستكون مسئولا عنها، لأنك أنت فى الواقع هو المسبب لها لأنك أقمتهم رعاة. لأنه كما أنك لك نصيب فى الفوائد الروحية التى يجنيها تلاميذك، فأنت تشاركهم أيضا المحاسبة عن أخطائهم.

"احفظ نفسك طاهرا" يتكلم هنا عن العفة. "لا تكن فيما بعد شراب ماء بل استعمل خمرا قليلا من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة" وإذا كان الرسول يصف لتيموثيئوس الإعتدال وهو رجل مولع بالصيام، وكان يستعمل المياه بإفراط، مما سبب له أسقاما كثيرة، فالرسول هنا يأمره بالإعتدال.

وإذا كان تيموثيئوس لا يرفض ذلك فكم بالحرى يجب علينا ألا نمتعض إذا وجهت إلينا بعض التوجيهات. قد يقال لماذا لم يشف معدة تلميذه، وهو الذى كانت ملابسه تقيم الموتى وواضح أنه كان يستطيع ذلك؟ لماذا إذن لم يفعله ؟ حتى إذا رأينا اليوم أناسا عظماء وفضلاء يصابون بالأمراض، لا نعثر لأن ذلك حدث لأجل فائدتهم. فإذا كان أحد ملائكة الشيطان لطم بولس لئلا يرتفع من فرط الإعلانات، (٢ كو ١٢:٧). فالخوف الأكثر على تيموثيئوس إذ هو أيضا كان يجرى معجزات قد تقوده إلى الإرتفاع والكبرياء فتركه يخضع لقوانين الطب حتى تتضع أفكاره ولا يعثر الآخرون، بل يتعلمون أن بولس وتيموثيئوس كانا من نفس طبيعتنا، وهما اللذان أحرزا هذا التقدم فى الفضيله. لأنه يبدو أن تيموثيئوس كان سقيما، وهذا ما يفهم من قول بولس "من أجل أسقامك الكثيرة" إذ أنه كان يعانى من سقم معدته وأسقاماً أخرى بجسمه؛ إلا أنه لم يسمح له أن يشرب من الخمر دون اعتدال فقد سمح له بالقليل فقط من أجل صحته، وليس من أجل الرخاوة.

"خطايا بعض الناس واضحة تتقدم إلى القضاء وأما البعض فتتبعهم" الرسول عندما تكلم عن وضع الأيدى (الرسامات) قال: لا تشترك فى خطايا الآخرين" قد يقال وإذا كنت أجهلها ؟ خطايا البعض معروفه

لأنها مقدمة للمحاكمة، والبعض الآخر من الخطايا غير معروفة لأنها خلفية. يريد الرسول أن يقول: أن بين الأعمال الرديئة، توجد المكشوفة والمستترة، ولكن يوم المحاكمة، لا يختفى شيئاً، صالحا كان أم رديئا.

"جميع الذين تحت نير فليحسبوا سادتهم مستحقين كل إكرام، لئلا يفترى على اسم الله وتعليمه" (١:٥) فليحسبوهم مستحقين كل إكرام لا تفتكر نفسك حر لأنك مؤمن، إذ أن الحرية الحقيقية هى أن تحب الخدمة، لأن غير المؤمن إذا رأى عبيده المؤمنين يسلكون بوقاحة، سوف ينطق بتجاديف، قائلا: أن الإيمان المسيحى يسمح بالتمرد على السلطة؛ أما إذا رآهم مطيعين، سوف يتحول بسهولة ويعد ذاته لكلام الله. وقد يقال وماذا إذا كان السادة مؤمنين ؟ حينئذ تجب الطاعة أيضا لأجل إسم الله. "والذين لهم سادة مؤمنون لا يستهينون بهم لأنهم أخوة بل ليخدموهم أكثر، لأن الذين يشتركون فى الفائدة هم مؤمنون ومحبوبون".

٢ـ واجب الخدام :ـ

إذا كان لكم شرف الخدمة عند سادة مؤمنين فهذا يلزمكم بأن تكونوا أكثر خضوعا لهم. "سابقة للقضاء" يريد الرسول أن يقول : أن بين الأعمال الرديئة، توجد المكشوفة والمستترة، ولكن يوم المحاكمة، لا يختفى شئ، صالحا كان أم رديئا. ولماذا يقول الرسول ذلك ؟ لأن بعض هذه الخطايا قد يتمكن أصحابها من إخفائها هنا فى هذه الدنيا ولكنهم لن يمكنهم ذلك فى يوم الدينونة العظيم حيث كل شئ سيكون عرياناً ومكشوفاً؛ كذلك أيضا الأعمال الصالحة واضحة ولا يمكن أن تخفى؛ هنا يوجد تشجيع كبير للصالحين. وبين الأوامر السابقة مثل : ولا تعمل شيئاً

بمحاباة ... إلخ وأيضا : جميع الذين هم عبيد تحت نير، فبين الإثنين تتابع طبيعى وضرورى؛ والأخيرة تشرح الأولى. وهل الأخيرة تخص الأسقف ؟.نعم بلا شك وذلك أنه يجب عليه إصدار تعليماته للخدام.

ونلاحظ أن الرسول فى كل مرة يوجه أوامره للعبيد أكثر من السادة، مبينا لهم طرق الخضوع معطيا إياهم إهتماما كبيرا. وللسادة يقول: "تاركين التهديد" (١ف ٦:٩) لماذا هذه التوجيهات ؟ غير المؤمنين كانوا فى حاجة لها، ولكنه لم يستطع سوى مخاطبة الذين اقتنوا الإيمان. وماهى حاجة السادة المؤمنين إلى ذلك ؟ لأن السادة يعطون العبيد أكثر مما يعطى العبيد لسادتهم. السادة ملتزمون برعاية عبيدهم، وتدبير كل احتياجاتهم، من ملبس ومأكل وغيره؛ بمعنى أن السادة هم بالأحرى الذين يخدمون عبيدهم، وهذا ما يريد أن يوضحه الرسول بقوله: "إن الذين يتشاركون فى الفائدة هم مؤمنون ومحبوبون" هم يتعبون ويتحملون المشقات من أجل راحتهم؛ ألا يجب أن يكونوا مكرمين من خدمهم ؟

وإذا كان الرسول قد أمر العبيد أن يكونوا هكذا مطيعين، فكروا فى كيف يجب أن نسلك نحن تجاه سيدنا الذى خلقنا من العدم، الذى يعطينا الغذاء والملبس. لنخدمه على الأقل كما يخدمنا خدمنا. أليسوا هم يبذلون حياتهم إلى النهاية لتحقيق ما يريح سادتهم ؟ اهتماماتهم وحياتهم مكرسة لتحقيق منافع سادتهم. أليسوا هم ينشغلون طوال اليوم غير مبقين لراحتهم سوى جزءا بسيطا من الليل ؟ نحن على العكس ننشغل بصفة مستمرة بمصالحنا، ولا نعطى سيدنا حتى جزءاً قليلا من النهار، ومع ذلك هو لا يطالبنا بما هو علينا، كما يطالب السادة عبيدهم، رغم أن الذى نقدمه له ترجع فوائده ومكاسبه إلينا. السادة فى العالم يستفيدون من

أعمال عبيدهم، أما في مجال الخدمة وعبادة الله فالمستفيد هو الخادم نفسه، أما الرب فلا ينتفع شيئاً. يقول المرتل: "أنت لست محتاجا لصلاحي" قل لي أية فائدة تعود على الله من كوني صالحا ؟ وماذا يخسر الله لو كنت غير صالح ؟ أليس جوهره ثابتاً لا يتأثر ولا يتغير ؟ أليس جوهره فوق كل ألم. إن العبيد لا يملكون شيئاً، كل شئ ملك لسيدهم مهما أصبحوا أثرياء، أما نحن فلنا أشياء كثيرة خاصة بنا، وليست هذه هي الكرامة الوحيدة التي نحصل عليها من ملك الكون. أي سيد أعطى أبنه الوحيد لأجل خادمه ؟ لا أحد، بل بالأحرى الكل يعطون خدمهم لأجل أولادهم. هنا العكس تماما. الله لم يضن بابنه الوحيد، بل أسلمه من أجلنا كلنا، من أجل أعدائه، من أجل الذين يبغضونه. العبيد حينما نعطي لهم تعليمات قاسية لا يغضبون، بل يظهرون معترفين بالجميل، ونحن نعترض متعللين بألف سبب. السيد لا يعد خدامه بالمكافآت التي وعدنا بها الله. بماذا يعد السيد عبيده ؟ بالحرية وهي غالبا ما تكون أصعب في تحملها من العبودية. وكثيرا تحت تأثير الجوع نجدها أكثر مرارة عليهم من العبودية؛ إذ ستتركهم يهلكون جوعا، فلن تكون بالنسبة لهم هبة أو منحة بأي حال. أما في مجال الله فليس هناك شئ زائل ولا قابل للفساد. فبماذا وعدنا ؟ "لا أعود أسميكم عبيدا بل سميتكم أحباء" (يو ١٥:١٥).

لنخجل ونخشى يا أحبائي، نحن ملزمون بخدمة سيدنا على الأقل مثلما يخدمنا خدمنا؛ ولكن في معظم الوقت لا نقدم له خدماتنا. هؤلاء هم فلاسفة رغما عنهم، لأنهم لا يملكون سوى الملبس والغذاء، بينما نحن نهين الله برخاوتنا. إذا كنا لم نتعلم بعد الحكمة عن طريق آخر فلنتعلمها منهم. الكتاب المقدس يوجه الناس ليتعلموا ليس من العبيد فقط بل من

كائنات غير عاقلة، مثلما يأمرنا بتقلييد النحل والنمل. أما أنا فأحثكم على تقليد خدمكم. نعمل على الأقل بخوف من الله كل ما يعملونه هم بخوف من سادتهم، لأننى ألاحظ أنكم لا تعملون ذلك. هم دائما بسبب الخوف يستسلمون للإهانة فى هدوء أكثر من أى فيلسوف، يُشتمون بالحق وبالباطل دون تذمر، بل يطلبون العفو، وغالبا دون أن يكونوا قد اقترفوا ذنبا. لا يحصلون إلا على الضرورى وغالبا على أقل منه ويصبرون، وينامون على حصيرة من القش، وغذاؤهم قاصر على الخبز، كل معيشتهم فى فقر، ولا يطالبون بشئ ولا يغضبون، لأنهم يخشوننا. متى أودعناهم نقودا يردونها لنا بالكامل: "لا تكلموننى عن الفاسدين بل عن الذين لم يتمادوا فى الشر فهم يخضعون عند أول تهديد. أليست هذه فلسفة ؟ لا تقولوا إنهم بفعلون ذلك بحكم الضرورة لأنكم أنتم أيضا لديكم ضرورة، وهى تجنب جهنم، ومع ذلك غير حذرين ولا تقدمون لله كرامة بقدر ما هم يقدمون لكم. كل واحد منهم له مسكنه المحدد، ولا يعتدى على ما يخص زميله، حتى لو طمع فيه زميله فهذا لا يدفعه للوقوع فى الخطأ. خوفهم من سيدهم يربطهم بالواجب. نادراً ما يحدث أن يسئ خادم منهم إلى الآخر ويسبب له خسارة.

ولكن بين الأحرار يحدث العكس، نحن نتقاتل، نفترس بعضنا البعض، لا نخاف سيدنا، نسلب ما يخص خدماً مثلنا، نسرق، نضرب كل هذا تحت نظر الله لا يوجد عبد يفعل ذلك، إذا ضرب فبعيدا عن أعين سيده، وإذا شتم فبعيدا عن سمعه، ونحن نجسر على كل ذلك، مع أن الله يرانا ويسمعنا. إن مهابة السيد دائمة حاضرة فى أذهانهم، أما نحن، أبدا. ولذلك نرى فى كل مكان الإنقلاب والفوضى والفساد، ولا نفكر فى

خطايانا، وإذا أرتكب خدمنا أخطاء ولو صغيرة جدا نحاسبهم بشدة. لا أقول ذلك لكى أعلم العبيد الكسل، بل لنطرح عنا كسلنا، لنوقظ عدم اكتراثنا، حتى نكون بالنسبة لله على الأقل مثل العبيد بالنسبة لنا، هم من نفس طبيعتنا ولم يحصلوا منا على خيرات تقارن بما قدمه الله لنا - هم أيضا أحرار بالطبيعة. النص الوارد فى سفر التكوين : "يتسلطون على سمك البحر .. إلخ (تك ١: ٢٦) قيل لأجلهم أيضا العبودية لا تأتى من الطبيعة؛ بل من العقوبة والظروف السيئة، ومع ذلك هم يقدمون لنا احتراما كبيرا. هم ينفذون بدقة كل ما يختص بخدمتنا، أما نحن فنختلس معظم الوقت الذى يخص الله، والذى ترجع فائدته كلها علينا. لأنه بقدر ما نكون متحمسين لهذه الخدمة بقدر ما يكون لنا سعادة وربح. ليتنا لا نحرم أنفسنا من هذه الفائدة، لأن الله مكتف بذاته، وليس فى حاجة إلى أى شئ. المكافأة والمكسب سيعودان علينا. وفى الواقع إننا لا نخدم الله، بل نخدم أنفسنا، لنطيعه بخوف ورعدة، حتى نحصل على الخيرات الموعودة بواسطة المسيح يسوع ربنا، الذى له مع الآب والروح القدس، المجد، والقوة، والكرامة، الآن وكل آوان وإلى دهر الدهور آمين.

+ + + + +

الموعظة السابعة عشرة

"علم وعظ بهذا إن كان أحد يعلم تعليما آخر ولا يوافق كلمات ربنا يسوع المسيح الصحيحة والتعليم الذى هو حسب التقوى. فقد تصلف وهو لا يفهم شيئا بل هو متعلل بمباحثات ومماحكات الكلام التى فيها يحصل الحسد والخصام والإفتراء والظنون الردية. ومنازعات أناس فاسدى الذهن وعادمي الحق يظنون أن التقوى تجارة تجنب مثل هؤلاء. وأما التقوى مع القناعة فهى تجارة عظيمة. لأننا لم ندخل العالم بشئ وواضح أننا لا نقدر أن نخرج منه بشئ". (٦ : ٢ - ٧ حتى ١٢)

التحليل

١- المكلف بالتعليم يلزمه السلطة والرقة - الكبرياء تولد الجهل.

٢- الطمع عدو الإيمان والخلاص.

٣- هو أصل لكل الشرور.

١- المكلف بالتعليم يلزمه السلطة والرقة :-

الذى يعلم لا يحتاج فقط للسلطان، بل لقدر كبير من الرقة، كما أن الرقة وحدها لا تكفى، بل يلزم معها أيضا السلطان. كل هذا يعلمه الطوباوى بولس بقوله تارة: "علم وعظ بهذا" وتارة أخرى "علم بهذا وشجع على إتمامه" لأنه إذا كان الأطباء يحثون مرضاهم على الشفاء، هكذا نحن يلزمنا بالأكثر أن نحث الذين نعلمهم. الطوباوى بولس فى الواقع لا يرفض الخدمة عندما يقول : "فإننا لسنا نكرز بأنفسنا بل بالمسيح يسوع ربا ولكن بأنفسنا عبيدا لكم من أجل يسوع" (٢كو ٤:٥) وفى موضع آخر: "أبولس أم أبلوس كل شئ لكم" (١ كو ٣: ٢٢) هكذا هو يخدم بقلب كبير، لأن الخدمة ليست عبودية، بل هى حالة أفضل من الحرية، يقول الكتاب: "من يعمل خطية هو عبد للخطية" (يو ٨: ٣٤).

"إن كان أحد يعلم تعليما آخر ولا يوافق كلمات ربنا يسوع المسيح الصحيحة والتعليم الذى هو حسب التقوى فقد تصلف وهو لا يفهم شيئا" إذن ليس العلم هو الذى يقود إلى الكبرياء بل الجهل. لأن الذى يعرف التعليم الصحيح الذى هو حسب التقوى، يعرف كيف يكون معتدلا تماما. الذى يعرف التعاليم الصحيحة نفسه ليست مريضة. وكما تصاب الأجساد بالإلتهاب هكذا تصاب النفوس بالكبرياء، وكما لا يمكننا القول عن إنسان مريض بالإلتهاب إنه سليم هكذا لا يمكن القول عن المتكبر أنه سليم، ونرى هنا بوضوح أن الكبرياء ينشأ من الجهل. السيد المسيح بذل ذاته ومن يعرف ذلك لا ينتفخ أبدا. لأن كل ما يملكه الإنسان هو من الله. "وأى شئ لك لم تأخذه" (١ كو ٤:٧) المسيح نفسه غسل أرجل تلاميذه، من يعرف ذلك وينتفخ بالكبرياء ؟ لهذا قال: "متى فعلتم كل ما أمرتم به فقولوا أننا عبيد بطالون (لو ١٧:١٠) مدح العشار لأجل تواضعه فقط، والفريسي هلك بسبب كبريائه. إذن الذى يستكبر لا يعرف شيئا من ذلك. والسيد المسيح قال أيضا: "إن كنت قد تكلمت رديئا فأشهد على الردئ وإن حسنا فلماذا تضربنى" (يو ١٨:٢٣).

يقول الرسول: "هو متعلل بمباحثات ومماحكات الكلام" إذن الذى يتعلل بالمباحثات هو مريض؛ نعم بلاشك، لأن النفس المحمومة هى التى تتعلل بالبحث؛ أما إذا كانت بصحة جيدة تقبل الإيمان بثقة. المباحثات ومماحكات الكلام لا توصل لشئ. لأن الذى يعلنه الإيمان، تعمل المباحثات على اخفائه عنا فهى لا تظهره لنا ولا تدعنا نفهمه. إذا أراد شخص ما أن يبحث عن شئ ليجده وهو مغلق العينين يسقط فى حفرة، ويفقد مكان البحث ولا يستطيع أن يجد شيئا، هكذا من كان بعيدا عن الإيمان لا يكتشف شيئا، ولابد أن تولد الاضطرابات.

"الإفتراء والظنون الرديئة" أى الآراء والتعاليم الفاسدة الناتجة عن

هذه المباحثات، وحينئذ نشك بالنسبة لله فيما لا يجب أن نشك فيه. "منازعات أناس فاسدى الذهن" أى المشادات الكلامية غير المفيدة. أو ربما يريد أن يقول أيضا: مثل الحملان السقيمة التى تنقل مرضها للصحيحة. فهكذا أيضا بالنسبة للرجال الفاسدين. "وعادمى الحق يظنون أن التقوى تجاره" تلاحظون مدى المصائب التى يذكرها الرسول الناتجة عن مماحكات الكلام: الشراهة المخجلة للربح، الجهل، الكبرياء الناشئ عن الجهل. إبعدوا عن هؤلاء الناس لا تلتقوا بهم قط. "الرجل المبتدع بعد الإنذار مرة ومرتين أعرض عنه" (تى ٣:١٠) يريد الرسول أن يوضح لنا أن جهلهم ناتج على الأخص عن عدم اكتراثهم. هل يمكنكم أن تجذبوا أناسا يكافحون من أجل الغنى ؟ كلا لن تستطيعوا إلا بإعطائهم المزيد، ومع هذا لن تقدروا أن تشبعوا رغباتهم.

"عين الشره جشعه لا تسر بنتيجة جزئية" (يشوع بن سيراخ (١٤:٩) يجب الابتعاد عن غير القابلين للإصلاح. وإذا كان الرسول ينبه من هو بالضرورة ملتزم بالنضال أن يتحاشاهم ولا يكون على علاقة بهم، فكم بالحرى ينبهنا نحن الذين فى مرتبة التلاميذ البسطاء.

وإذ قال إن هؤلاء الناس عادمى الحق يظنون أن التقوى تجارة، وخشى أن تلميذه يخور ويقع فى الوهن بسبب فقره. أضاف "أن التقوى مع القناعة فهى تجارة عظيمة" نعم هى نوع منها ولكن من طبيعة أخرى أسمى وأعظم، وعظمتها ليست بامتلاك الثراء، بل بعدم امتلاكه، وبذلك قد قلل من قدر الأولى ومزاياها، ممجدا الأخرى ورافعا من شأنها. الغنى هنا لا يساوى شيئاً : هو يبقى على الأرض، لا يتبعنا ولا يرحل معنا. وما هو البرهان على ذلك ؟ أننا دخلنا العالم بلا شئ، وواضح أننا سنخرج منه بلا شئ، عريانا جاء جسدنا، وعريانا سيذهب. إذن لسنا فى حاجة لفائض، مادمنا لم نحضر للعالم بشئ وسوف نغادره أيضا دون شئ، كما

يقول الرسول: "فإن كان لنا قوت وكسوة فلنكتف بهما" ويجب أن نأكل فقط ما يلزم لغذائنا ونلبس فقط ما يلزم لتغطية عرينا، ليس أزيد من ذلك.

٢ـ الطمع عدو الإيمان والخلاص :-

يدفعنا الرسول بعد ذلك إلى التخلص من الإرتباطات الأرضية بقوله: "أما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء" لم يقل الذين هم أغنياء، بل الذين يشتهون الغنى. لأنه من الممكن أن يمتلك شخصا مالا ويستخدمه استخداما حسنا، دون أن يبالغ فى تقييمه له، بتوزيعه على الفقراء، مثل هذا لا يلام، إنما يلام من يرغب فى الغنى. ويقول عن الذين يريدون أن يكونوا أغنياء إنهم "يسقطون فى تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبية ومضرة تغرق الناس" نعم تغرقهم بحيث لا يستطيعون أن ينهضوا. "فى العطب والهلاك" فى هذا العالم وفى العالم الآخر "لأن محبة المال أصل لكل الشرور الذى إذا إبتغاه قوم ضلُّوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة" وهنا يشير الرسول إلى مصيبتين، ولكنه يضع فى المؤخرة تلك التى تظهر لهم أكبر وهى الأوجاع الكثيرة. ولا يمكن معرفة مدى أنين وبكاء الأغنياء دون القرب منهم.

"أما أنت يا إنسان الله" هنا وقار عظيم لأنه إذا كان كل البشر يخصون الله بالخلقه، إلا أن الصالحين منهم لا يخصونه فقط بالخلقه؛ بل برابطة المحبة أيضا يقول له : إذا كنت أنت إنسان الله، فلا تبحث وراء ما هو زائد عن حاجتك، ولايقود قط إلى الله. ويضيف "إهرب من هذا واتبع البر" والإثنين إفعلهما بحماس. لأنه لم يقل له : ابتعد ولا اقترب، بل : "إهرب واتبع البر" حتى لا ترتكب غشا؛ "والتقوى" فى العقيدة، "والإيمان"، وهو على عكس المباحثات؛ "المحبة والصبر والوداعة" "جاهد جهاد الإيمان الحسن، وامسك بالحياة الأبدية" (هذا هو الثمن)، "التى إليها دعيت أيضا واعترفت الإعتراف الحسن"، أملاً فى الحياة الأبدية.

"أمام شهود كثيرين" أى لا تخزى اعترافك الكريم. ولماذا كنت قد تكبدت متاعب لا فائدة منها ؟

وماهى التجربة والفخ اللذان يقصدهما الرسول والمعرضون لهما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء ؟ هى الشهوات التى تحولهم عن طريق الإيمان، حيث تحيق بهم المخاطر، وتصيرهم فى خجل.

والرسول عبر عن ذلك بكل دقة: "ضلوا عن الإيمان" لأن الطمع جذب أنظارهم، ولم يسمح لهم أن يعرفوا طريقهم، وشيئا فشيئاً أبعدهم عن الحق. كإنسان يسلك طريقا سليما، ثم إنشغل فكره بشئ ما فأنحرف لا إراديا وبلا شعور عن طريقه؛ هكذا يفعل الجشع متى أصاب إنسانا. "طعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة" تلاحظون ما يقصده الرسول بكلمة "طعنوا" كالأشواك: من يمسكها تجرح يديه وتدميها. هذا يبرهن على أن الذى يستسلم للطمع: يضع نفسه داخل شبكة مؤلمة مليئة بالأحزان. كم من الهموم والآلام يعانى منها هؤلاء. ولذا يضيف الرسول "اهرب من هذا واتبع البر والتقوى والإيمان والمحبة والصبر والوداعة" من المحبة تنشأ الوداعة. والرسول يمدح أيضا الإخلاص الجرئ وشجاعة تلميذه واعترافه الحسن أمام شهود كثيرين. ويذكره بتعليمه ويقول له: "امسك بالحياة الأبدية".

فلا يكتفى إذن بالإعتراف بالإيمان؛ بل بممارسته بالصبر والمداومة عليه وأن نحتمل من أجله الدخول طوعا فى معركة شرسة، نجاهد فيها بالعرق، والكفاح، ونصمد حتى لا نرتد عن الإيمان، فالشكوك والعوائق والعثرات كثيرة. ولهذا فإن الطريق ضيق وكرب، فيجب أن يكون متاعنا فيه خفيفا حتى تتسنى لنا سرعة الحركة؛ من كل جانب؛ آلاف اللذات تُعرض لتغرى أعين النفس: لذات الحواس، الثراء، التكاسل، الرخاوة، الشهرة، السلطة، الغضب، الطموح كل هذه اللذات تظهر بشكل براق وجذاب يمكن

أن يسحر ويستميل الذين لا تتوافر لديهم الرغبة الحقيقية للحق، والمحبة للحقيقة ذاتها. لأن الحقيقة فى ذاتها جافة وليس فيها ما يجذب ويغرى لماذا؟ لأنها لا تعد راغبيها سوى بأمجاد بعيدة يتحقق نوالها فى المستقبل، بينما هذه اللذات التى تنافسها تقدم لنا الشرف والكرامه والملذات والراحة، وإن كانت ليست حقيقية، بل مغطاة بألوان زائفة. والإنسان اللين والضعيف ينجذب إليها ويرتبط بها تاركا حياة الجهاد ورافضا حياة العمل. هكذا فى معارك عبادة الأوثان، فالذى لايرجو بحرارة أن يحصل على الأكاليل يستسلم للولائم والخمر، وهذا ما يفعله الملاكمون الذين ليس لهم عزيمة ولاشجاعة. أما من كانت عينه مركزة على الإكليل فهو يفضل أن يحتمل ويتقبل الضربات الكثيرة من أجل المكافأة إذ أن رجاء المواعيد بهذه المكافأة المستقبلة يقويه وينهض به.

٣ـ هو أصل لكل الشرور:-

لنبتعد عن أصل الشرور، ولنرفضها كلها. يقول الرسول: "لأن محبة المال أصل لكل الشرور" إن بولس هو الذى قال ذلك أو بالأحرى السيد المسيح. ونرى أن الحياة نفسها تبرهن على هذا وتؤكده. وفى الواقع أى شر لا ينتج عن الغنى، أو بالأحرى ليس عن الغنى فى حد ذاته بل عن الإرادة الرديئة للذين لا يعرفون كيفية استخدامه؟ كان من الممكن استخدامه فى القيام بما هو عليهم من واجبات ويحصلون بواسطته على ميراث ملكوت السموات. ولكن اليوم فإن ما اعطى لنا لمواساة الفقراء ومساعدتهم، ولتخفيف ثقل الخطايا عنا، ولإكرام الله ومرضاته، نحن نستخدمه ضد الفقراء والبوساء، بل وضد نفوسنا، ولإهانة الله. الإنسان الذى يجرد قريبه مما يملكه ملقيا به فى الشقاء، هو يلقى بنفسه فى الموت؛ فالذى سلب يقاسى من البؤس، والسالب يعاقب بالهلاك الأبدى. أليس هو أيضا بائس؟ وما هى الشرور التى لا تنشأ من ذلك ؟ أليست

العواقب هى الغش والإغتصاب والبكاء والكراهية والصراع والشجار؟ تمتد يده حتى إلى الأموات، وإلى أبيه وأخيه، يحتقر وصايا الله وقوانين الطبيعة، كل شئ يصير منقلبا عنده. وبإختصار أليس هو الطمع الذى يستبد بالناس هكذا؟ أليس هو السبب فى قيام المحاكم ؟ أزيلوا محبة الثراء وحينئذ ستنتهى الحرب والصراع والكراهية والمشاحنات والشجار كل هذا يصبح لا وجود له. إن مثل هؤلاء الناس يجب طردهم من الأرض، كالكوارث العامة والذئاب. كما أن الرياح العاصفة والمضادة التى تقع على بحر هادئ تثيره وتعكره إذ تخلط مياهه بالرمال الموجوده فى قاعه هكذا المحبون للغنى يعكرون صفو العالم. مثل هذا الإنسان الطامع لا يعرف له صديقا، ولماذا أقول صديقا؟ وهو لا يعرف الله نفسه !! تحت سيطرة شهوته أصبح عديم الإحساس.

مالذى يمكن عمله؟ كيف نطفئ هذا اللهيب؟ حقا أنه قارب أن يصل إلى السماء، فإذا أردنا أن نتحكم فيه فالإرادة تكفى لذلك، فكما أن الإرادة هى التى أشعلت هذه النار فهى قادرة وحدها على إطفائها، أليست إرادتنا الحرة هى التى أوجدتها ؟ فهى تقدر أيضا أن تطفئها، فقط علينا أن نوقظها. ولكن كيف تتولد فينا هذه الإرادة ؟ إذا فكرنا فى تفاهة هذه الشهوة وبطلانها، وأن الغنى سوف لا يتبعنا فى الحياة الأخرى، بل قد يتركنا ونحن لا نزال فى هذه الحياة، وأن هذه الشهوة سوف نتركها وراءنا هنا، ولكن الجراح التى تسببها لنا، سوف نحملها معنا فى العالم الآخر؛ وأيضا إذا قارنا غنى السموات بغنى الأرض فسوف يظهر لنا أن غنى الأرض أكثر خسة من الطين وينطوى على مخاطر كثيرة، وأن الشهوة زائلة ومخلوطة بالإشمئزاز، وإذا تأملنا فى غنى الحياة الأبدية، فسوف نحتقر غنى هذا العالم، لاسيما حينما نراه ضارا بسمعتنا وصحتنا، وكثيرا ما يؤدى إلى الهلاك والدمار.

اللؤلؤة جميلة، ألا تفكرون أنها من مياه البحر، وكانت قبلا مطروحة فيه ؟ الذهب والفضة بشكلهما الجميل أما فكرتم فى أنهما من التراب والرماد؟ الملابس الحريرية الزاهية ألا تفطنوا أنها من نتاج الديدان؟ إن هذا الإحساس وذلك التقدير لهذا الجمال يستوليان على أفكاركم، وتتأثرون بهما إعتباطا، وبناء على أحكام مزيفة قد سادت على عقولكم بصورة زائفة مغشوشة رأيتم من خلالها هذا الجمال. إذا رأيتم مثلا قطع من النحاس مغشاة بقشرة رقيقة من الذهب فسوف تعجبون بها وتقدرونها، معتبرين إياها ذهبا خالصا؛ ولكن متى نبهكم أرباب المهنة وكشفوا لكم عن هذا الغش سيزول إعجابكم وإنبهاركم. وهكذا فى حياتكم تبهرون بأمور كثيرا ما تكون غاشة ومخادعة على مثال قطعة النحاس هذه المطلاة بالذهب، ومثيلتها قطعة القصدير المطلاة بالفضة لذلك يجب أن تتفطنوا وتتعلموا حتى تعرفوا ماهو جدير حقا بالإعجاب والتقدير، فالعيون بنظرتها السطحية لا تكفى للمعرفة وللحكم الصائب على طبيعة الأشياء. ألا تلاحظون أن هذا الجمال الزائف والمخادع ليس له وجود فى الطبيعة بصفائها ونقائها ؟ فإذا شاهدتم مثلا وردة أو زهرة، فأنتم لستم فى حاجة إلى من يعرفكم نوعها وإسمها، وتعرفون أن تميزوا جيدا وبحق بينها وبين أى وردة أو زهرة أخرى؛ فهذه زهرة الريح، وأخرى زهرة الياسمين وثالثة زهرة البنفسج، وهكذا دون أى لبس أو شك.

فلنفيق إذا من هذا السكر، ونفكر، فيما هو حقا جميل، ماهو جميل بطبيعتة: التقوى، الصلاح، حتى ننال الخيرات الموعودة التى أتمناها لكم جميعا بنعمة ورأفة ربنا يسوع المسيح الذى له مع الآب والروح القدس المجد والقوة والكرامة الآن وكل آوان وإلى دهر الدهور آمين.

+ + + + +

الموعظة الثامنة عشرة

"أوصيك أمام الله الذى يحيى الكل والمسيح يسوع الذى شهد لدى بيلاطس البنطى بالإعتراف الحسن. أن تحفظ الوصية بلا دنس ولا لوم إلى ظهور ربنا يسوع المسيح. الذى سيبينه فى أوقاته المبارك العزيز الوحيد ملك الملوك ورب الأرباب الذى وحده له عدم الموت ساكنا فى نور لا يدنى منه الذى لم يره أحد من الناس ولايقدر أن يراه الذى له الكرامة والقدرة الأبدية. آمين". (٦ : ١٣ ـ ١٦ إلى آخر الإصحاح)

التحليل

١ـ الرسول يلجأ إلى الله ليعطى وزنا أكبر لنصائحه ولكى يكون لها أثر أكبر على ذهن تلميذه.

٢ـ الإلتصاق بالإيمان لا بالعلم البشرى ـ عدم ثبات الأشياء هذا العالم.

١ـ الرسول يلجأ إلى الله ليعطى وزنا أكبر لنصائحه :ـ

الرسول هنا أيضا يُشهد الله كما فعل من قبل، حتى يجعل كلامه أكثر خوفا، ويؤكد أكثر لتلميذه، أن هذه الأوامر ليست أوامر بشرية، يريد فى الواقع أن يشعره أن هذه الوصية من السيد نفسه، "أوصيك أمام الله الذى يحيى الكل" هنا تشجيع له لمواجهة المخاطر وتذكره له برجاء القيامة ـ "والمسيح يسوع الذى شهد لدى بيلاطس البنطى" هنا أيضا تشجيعا مشتقا من السيد المسيح نفسه. إنه يريد أن يحثه أنه كما سلك السيد ينبغى هكذا أن نسلك نحن مقتفين آثاره. وهذا يطابق ما قاله الرسول فى رسالته إلى العبرانيين: "ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع الذى من

أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهينا بالخزى فجلس عن يمين عرش الله". "فتفكروا فى الذى احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه لئلا تكلوا وتخوروا فى نفوسكم" (عب ١٢: ٢، ٣). والذى كان الرسول يسير بمقتضاه، كان يلقنه لتلميذه تيموثيئوس، كما لو كان يقول له: لا تخف من الموت لأنك خادم الله الذى يحيى الكل.

"أجاب يسوع لهذا أتيت إلى العالم لأشهد للحق" (يو ١٨: ٣٧) وما هى هذه الشهادة العظيمة؟ لما قال له بيلاطس: "أفأنت إذا ملك" (يو ١٨: ٣٧) أجاب يسوع: "لهذا قد ولدت أنا" (يو ١٨: ٣٧) وقال لرئيس الكهنة: "إسأل الذين قد سمعوا ماذا كلمتهم" (يو ١٨: ٢١) ولما سأله عما إذا كان هو ابن الله كان يجيب "أنت قلت" (مت ٢٦: ٦٤) توجد أشياء كثيرة أكدها وأعلنها :-

"أن تحفظ الوصية بلا دنس ولا لوم إلى ظهور ربنا يسوع المسيح" أى حتى موتك، حتى خروجك من هذا العالم لكنه لم يوضحها له هكذا بل قال: "إلى ظهور" حتى يحفز تلميذه بالأكثر. وكيف تحفظ الوصية بلا دنس؟ أى لاينكمش لا فى الإيمان ولا فى سلوكه. "إلى ظهور ربنا يسوع المسيح الذى سيبينه فى أوقاته، المبارك، العزيز، الوحيد، ملك الملوك ورب الأرباب الذى له وحده عدم الموت، ساكنا فى نور لا يدنى منه" عمن يقول الرسول هذا ؟ هل عن الآب؟ هل عن الأبن؟ نعم عن الأبن. "الظهور الذى سيبينه فى أوقاته، المبارك العزيز الوحيد" هذه الأقوال لتعزية تيموثيئوس حتى لايوحى له ملوك الأرض بالخوف ولا الرهبة". "وفى أوقاته" أى فى الوقت المناسب، واللازم، حتى لا يحزن تيموثيئوس حينما يرى أن هذا الظهور لم يتم بعد. "المبارك" الذى هو مُطوّب وسعيد بذاته. لأنه لا يوجد فى السماء أى شئ مؤلم أو متعب. "المبارك العزيز الوحيد" خلافا لوضع

الناس، لأنه لابداية له. "الذى له وحده عدم الموت" هل الابن يملك ذلك وبذاته كيف لا يمتلكه وهو من جوهر الآب؟ "ساكنا فى نور لا يدنى منه" وهل النور الذى يسكنه مخالفا لنوره هو؟ هل هو محدد فى مكان ما؟ كلاً، وهذه الفكرة بعيدة عنا. والرسول بكلامه هذا لايوحى لنا بها، وإنما يريد أن ندرك عمق الله، لهذا قال معبرا: "ساكنا فى نور لايدنى منه" الرسول يتكلم عن الله بقدر ما تسمح له إمكانياته البشرية. أنتم تلاحظون كيف أن اللسان يعجز وتنقصه القوة حينما يتكلم عن الأمور السامية غير المدركة- "الذى لم يره أحد من الناس ولايقدر أن يراه الذى له الكرامة والقدرة الأبدية. آمين"

إنها فلسفة لاهوتية جميلة كان لابد أن تذكر هنا. وبما أنه اتخذ الله شاهدا، فالرسول يحيل إلى هذا الشاهد، حتى يكون لحديثه تأثير قوى على تلميذه. المجد لله، هذا كل ما نقدر أن نقوله ونعمله، دون أن نبحث بفضول ما هو. إذن مادامت قوته أبدية، لاتخافوا لو أن ظهوره لم يتم بعد، له الكرامة والقدرة الأبدية.

"أوص أغنياء الدهر الحاضر أن لا يستكبروا" الرسول قال بحق "الدهر الحاضر" لأنه يوجد أيضا أغنياء فى الدهر الآتى. لايوجد شئ قدر الغنى يسبب التشامخ وجنون الكبرياء، والغطرسة. وفى الحال يحط من قدر الغنى بقوله: "ولايلقوا رجاءهم على غير يقينية الغنى" لأن من هنا يأتى جنون الكبرياء. لأن الذى يضع رجاءه فى الله لا يستكبر قط. كيف يضع الإنسان رجاءه فى الغنى الذى يتغير ويتنقل باستمرار؟ كيف نلقى رجاءنا على ما لا يوحى بالثقة؟ وكيف يتسنى للأغنياء ألا تنتفخ قلوبهم؟ يمكنهم ذلك إذا أيقنوا أن الغنى متقلقل وسريع الزوال، وأن الرجاء بالله أفضل، إذ هو الذى منحهم هذا الغنى ..- "بل على الله الحى الذى

يمنحنا كل شئ بغنى للتمتع" نعم كل شئ للتمتع؛ يريد أن يتكلم عن مختلف فصول السنة، عن الهواء، عن النور، عن المياه، وعن كل ما يتبقى. أنتم ترون عظمة وسخاء هباته. إذا بحثتم عن الثراء، ابحثوا عن الثراء الدائم، الراسخ الذى نحصل عليه بالأعمال الحسنة.

وماهى هذه الأعمال ؟ يلخص الرسول هذه الأعمال بقوله: "أن يصنعوا صلاحا وأن يكونوا أغنياء فى أعمال صالحة وأن يكونوا أسخياء فى العطاء كرماء فى التوزيع مدخرين لأنفسهم أساسا حسنا للمستقبل" حيث كل شئ مؤكد وثابت وأساسه متين، وله الرسوخ والدوام. "لكى يمسكوا بالحياة الأبدية" لأن ممارسة الأعمال الصالحة هى التى تجعلنا نمسك بالحياة الأبدية ونتمتع بها.

٢ـ الإلتصاق بالإيمان لا بالعلم البشرى :-

"يا تيموثيئوس احفظ الوديعة" لا تتهاون ولاتفرط فيها، فهى ليست ملكك وحدك، إنما هى وديعة تخص الآخرين أودعت بين يديك فاحرص عليها واحفظها كاملة. "معرضا عن الكلام الباطل الدنس" "مخالفات العلم الكاذب الإسم" نعم فحيث لايوجد الإيمان لايوجد العلم الحقيقى، لأن كل ما ينتج عن أفكار بشرية ليس هو بالمعرفة الحقة، ومثلنا على ذلك أولئك الناس الذين يعتقدون أن الخلاص يُكتسب بالمعرفة فقط دون الحاجه إلى الإيمان. ومع ذلك يلقبون أنفسهم بالعارفين كما لو كانت معرفتهم مميزة عن معرفة الآخرين. "الذى إذ تظاهر به قوم زاغوا من جهة الإيمان" تلاحظون أنه يأمر أيضا بعدم التلاقى بهم، أو الدخول فى مجادلات معهم، إذ أن مناقشتهم قد تعود علينا بالأضرار، فقد تفقدنا إيماننا، وتهز يقيننا وسلامنا. ليتنا لا نتصل بهذه المذاهب بل نلتصق بصخرة إيماننا الذى لا يتلاشى. لاتصادم الأنهار، ولا عواصف الهواء تقدر على

إتلافه، نحن راسخون على هذه الصخرة. فإذا اخترنا فى حياتنا هذا الأساس الحقيقى نثبت راسخين دون مخاوف، لأن الهدف من هذا الأساس إنما هو غنى ومجد وعظمة الحياة الأخرى، وهذه كلها ثابتة ومؤكدة، وغير قابلة لأى تغيير خلافا للذات هذه الحياة القابلة دائما للتغيير والتبديل. إذن فما الذى ترغبونه فيها ؟ المجد؟ يقول الكتاب: "لأن عند موته كله لا يأخذ ولاينزل وراءه مجده" (مز ١٧:٤٩) وغالبا ما يكون هذا المجد الدنيوى غير وفىّ لصاحبه حتى فى حياته. ولكن ليس الأمر كذلك فيما يختص بالفضيلة حيث كل شئ ثابت ودائم.

الغنى تهاجمه اللصوص والخونة فيصبح فجأة فقيراً. ولكن فى وجود الفضيلة ليس الأمر كذلك: الرجل الساهر على حياته يعيش معتدلا قانعا لا يستطيع أحد أن يسلبه اعتداله، أو أن يحرمه من أن يكون سيدا لنفسه. وبالفحص الدقيق قد تدركون أن هذه السلطة أعلى من الأخرى. قولوا لى ما هى الفائدة فى أننا نتسلط على شعب بأكمله، ونعيش مستعبدين لرغباتنا ؟ أية خسارة تصيبنا إذا نحن تخلينا عن أن نكون سادة آمرين وناهين غيرنا، وألا نكون مستبدين ؟ إنها ليست خسارة على الإطلاق إنما هى الحرية والسلطة، والملك، والقوة؛ أما هناك فإنها العبودية حتى لو كانت الرأس محملة بالتيجان لأنه عندما تسيطر على النفس حشود من الطغاة، أقصد محبة المال، ومحبة اللذات والغضب والشهوات الأخرى. فما هى فائدة التيجان ؟ إن استبداد الشهوات هو الأقوى. وحتى التاج لا يمكنه أن يخلصنا من تسلطها. مثل رجل صار عبدا عند البرابرة، وهؤلاء إمعانا فى إذلاله والسخرية منه، تركوا له لباسه الأرجوانى والتاج، فى الوقت الذى سخروه فيه بالقيام باحضار المياه معهم، وتجهيز الطعام والقيام بكافة أعمال العبودية الأخرى، وذلك لكى يضاعفوا من كرامتهم ويزيدونه

خجلا، إن مثل هذا الرجل لهو أقل استعباداً من عبوديتنا نحن حينما نكون خاضعين لنير شهواتنا ومستعبدين لسلطانها. الذى يحتقر الشهوات سيسخر أيضا من البرابرة؛ أما الذى يخضع لها سيقاسى من وضع أفظع بكثير مما كان البرابرة سيخضعونه له. ولكن مهما كانت قوة هؤلاء البرابره فهى لا يمكن أن تمس سوى الجسد؛ أما الشهوات هى التى تعذب النفس وتمزقها من كل ناحية. ومهما بلغت قوة البربرى فإنها لايمكن أن تؤدى سوى إلى الموت المؤقت، أما الشهوات فهى تؤدى إلى الموت الأبدى. كل من يتحرر من عبودية هذه الشهوات ولايخضع لها يتمتع حقا بالحرية الحقيقية. مهما كان السيد عديم الإنسانية فلن يستبد بعبيده بالقدر الذى تستبد به هذه الشهوات التى تقودنا إلى كل ماهو بذئ، وفى سفاهة تقول: إهتك نفسك دون سبب أو باعث، أهن الله، تمرد على الطبيعة بإهانتك لأبيك وأمك، ضعهما تحت قدميك.

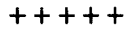
كن معاديا للكل وعدوا للجميع، للطبيعة نفسها ولله؛ قدس الذهب، ليس لكى تتمتع به، بل لإكتنازه ولزيادة العذاب. لأنه لا يمكن للإنسان أن يكون بخيلا وأن يتمتع بثروته، فالبخيل يخشى دائما أن ينقص ذهبه، وتنضب كنوزه. والبخل يوسوس قائلا: اطرد النعاس، الق الشكوك على الكل أصدقاء وخدم، اقتن لنفسك ما للآخرين، وإن رأيت فقيرا يموت من الجوع لاتعطيه صدقة، وإن أمكنك جرده من جلده، إكذب، إحلف، إتهم، لاترفض السير فى النار، ولا ما يعرض نفسك للموت، ولا الموت من الجوع، ولا الكفاح ضد المرض. أليست هذه هى الشرائع التى يسنها البخل؟ كن وقحا وقليل الحياء دون خجل، جريئا، خبيثا، وشريرا، بلا وفاء أو إحساس، غير ملتزم بصداقة، كن بلا إيمان، بلا قلب، قاتلاً، حيوانا متوحشا أفضل من أن تكون إنسانا، كن أكثر شرا من الثعبان، أكثر

إفتراسا من الذئب، وأكثر نفورا من هذه الحيوانات. لا ترفض إذا لزم الأمر أن تحاكى فساد الشيطان، تنكر لمن صنع معك خيرا. أليس هذا ما يقوله وما نسمعه ؟

أما الله فيقول العكس تماما: كن صديقا للكل ومحبوبا من الجميع، لا تهن أحدا، أكرم أباك وأمك، إحرص على اقتناء السمعة الحسنة، لاتكن إنسانا بل ملاكا، لا تنطق بلفظ كاذب أو بذئ بل إطرده من فكرك، ساعد الفقراء، لاتعتقد بأنه للحصول على الثراء يلزم النهب، لا تكن ظالما ولا سفيهاً، ولكن لا يستمع أحد إليه.

أليس هؤلاء المخالفين مستحقين لعذاب نار جهنم التى لا تُطفأ وبدودها الذى لا يموت؟ إلى متى سنجرى إلى الهاوية ؟ إلى متى نستمر فى السير على الأشواك، وفى تثقيب أنفسنا بالمسامير ونرغب فى هذه الآلام؟ إلى متى نظل خاضعين للطغاة المتوحشين ونرفض سيدنا الطيب الذى لا يعرف اللغة البغيضة قط، وليس عنده غضب ولا استبداد، ولا بربرية متعسفة، وخدمته دائما مثمرة لحياتنا، وتعود علينا بفوائد وخيرات جزيلة.

لنستيقظ ونهتد ونعد أنفسنا لحياة أفضل؛ لنحب الله كما يليق به أن يُحب، فنحصل على مواعيده الخيرّه التى وعد بها الذين يحبونه، بنعمة وصلاح ربنا يسوع المسيح الذى له مع الآب والروح القدس المجد والقوة والعزة الآن وكل آوان وإلى دهر الدهور آمين.





الفهـــرس

أبانا القديس يوحنا ذهبي الفم ...

يا مـن كـنت بطـريركـا بـارزا و لامـعا ، و معـلما لاهوتيا بارعا ومنارا هـاديـا ساطـعـا ، أنـار بوميض تعاليمـه وعظاته آفـاق الأرض ، ولازال ينيرها ، فاستحققت أن تصير كوكبا في سماء المجد ...

إن هذا الكتاب هـو ترجمـة لأحـدي دررِك التفسيرية الكتابيـة ، وكنوزك الثمينة اللاهوتية التي وضعتها بإرشاد الروح القدس الذي نطق علي فمك ، فصار نطقك ذهبا خالصا صافيا ، حتي تفردت بلقب « فم الذهب ». وصرت تعرف بهذا اللقب بين كل الألسنة واللغات.....فباليـونانيـة تلقب CHRYSOSTOM وبالأنجليزية Golden Mouthed ، و بالفرنسية Bouche D'or ...

نضرع إلي الرب الذي منحك روحه لتعطي كل هذه الروائع أن يعمل بروحه في حياة و قلوب قراء هذا الكتاب الذي لا يبغي شئ من ترجمته و إصداره سواء إفادة و إشباع أبناء الكنيسة ، ليصيروا وهم متذوقين حلاوة كلمة الرب متلاقين مع الرب و مختبرين بهاء الحياة في محبته و عشرته ، و ممجدين لاسمه القدوس الذي له المجد دائما أبديا آمين .

يطلب من :

+ مكتبة القديسين مارمرقس و ماربطرس – بسيدى بشر بالأسكندرية
+ مكتبة الأنبا رويس بالعباسية
+ مطرانية الجيزة – شارع مراد
+ مكتبـــة المحبـة
+ مكتبـــة دار الثقافة
+ مكتبـــة النيـل
+ وسائر المكتبات المسيحية

السعر ٢٣٠ قرشا